التعليقات الجياد

على كتاب الإمام ابن قدامة

لمعة الاعتقاد

تأليف

أبي عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البغدادي

دار الحديث السلفية بباب

التعليقات الجياد

على كتاب الإمام ابن قدامة

لمعة الاعتقاد

تأليف

الشيخ الفقيه المحدث

محمد بن علي بن حزام البعداني

مكتبة العلوم السلفية

اليمن – إب

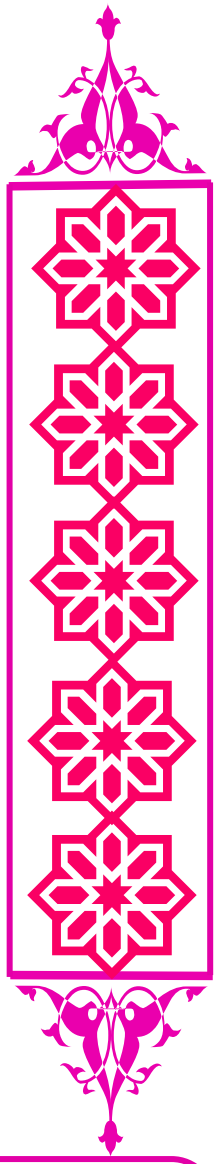

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ-٢٠٢٠م

مكتبة العلوم السلفية
اليمن – إب (جوار دار الحديث – مطلع بعدان)
هاتف : ٠٤٨٤٩٠٥٥ – جوال: ٧٧٧٤٢٧٢٥٨ـ ٧٧٢٦٤٩٢٤٧
aloloom١٤٣٧@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله نحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سنبدأ من هذا اليوم إن شاء الله تعالى في قراءة لمعة الاعتقاد للإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من أئمة الحنابلة.

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، إمام مشهور، أشتهر بكتاب عظيم ألفه ووفقه الله لتأليفه، **فما هو هذا الكتاب؟**

كتابه "المغني" على مذهب الإمام أحمد، ولكنه لا يقلد الإمام، ويخالف الإمام أحمد في بعض المسائل ويرجح في بعض المسائل أقوال الأئمة الأخرين كالشافعي ومالك وغيرهم فليس مقلدا رَحِمَهُ اللَّهُ، و"المغني" هو أشهر كتاب له، كتاب كبير واستفاد منه العلماء قديما وحديثا ولنا تحقيق على كتاب "المغني" لابن قدامة في تخريج الأحاديث المرفوعة، والآثار الموقوفة على الصحابة، نسأل الله أن يجزي خيرا كل من تعاون على نشره وتوزيعه بين المسلمين.

ترجمة صاحب المتن

أخذنا بعض الترجمة من المقدمة التي كتبناها في الكتاب [يعني في تحقيق الشيخ عَلَى المغني]، له أربعة كتب مشهورة في الفقه:

أوسعها "**المغني**" وهو الذي اشتهر، وله كتاب أقل منه سماه "**الكافي**" في فقه الإمام أحمد يذكر فيه القولين أو الروايتين في المذهب، وكتاب أيضًا أقل منه في الفقه سماه "**المقنع**"، وهو أيضًا يذكر فيه القولين أو الروايتين أو الوجهين في المذهب، والفرق بينه وبين "**الكافي**" أن الكافي يتوسع بذكر الأدلة و"**المقنع**" جعله كالمتن بدون ذكر الأدلة، وكتاب ثالث أختصر فيه على المذهب الراجح في مذهب الإمام أحمد سماه "**عمدة الفقه**"، أربعة كتب في الفقه ألفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا الكتاب الذي بين أيدينا الذي أردنا قراءته هو في المعتقد، في معتقد أهل السنة والجماعة، قد وفق فيه، وسار فيه على مذهب أهل السنة والجماعة.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "**ذيل طبقات الحنابلة**": هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بْن مقدام بْن نصر بْن عَبْد اللَّهِ المقدسي، ثُمَّ الدمشقي، الصالحي الفقيه، الزاهد الإِمام، شيخ الإِسْلام، وأحد الأعلام، ولد فِي شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بجماعيل، وقدم دمشق مَعَ أهله وَلَهُ عشر سنين، فقرأ الْقُرْآن، وحفظ مختصر الخرقي، واشتغل، وسمع من والده. انتهى. ثم ذكر مشايخه.

وَقَالَ سبط ابْن الجوزي: كَانَ إماما فِي فنون، وَلَمْ يكن فِي زمانه - بَعْد أخيه أَبِي عُمَر والعماد - أزهد ولا أورع منه، وَكَانَ كثير الحياء، عزوفًا عَنِ الدنيا وأهلها هينًا، لينًا، متواضعًا، محبًا للمساكين، حسن الأخلاق، جوادًا سخيًا. من رآه كأنه

رأى بَعْض الصَّحَابَة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ كُل يَوْم وليلة سُبعاً من الْقُرْآن، ولا يصلِّي ركعتي السنة فِي الغالب إلاَّ فِي بيته؛ اتباعا للسنة.

وَقَالَ أَبُو شامة: كَانَ شيخ الحنابلة موفق الدين إماما من أئمة الْمُسْلِمِينَ، وعلماً من أعلام الدين فِي العلم والعمل، صنف كتبًا حسانًا فِي الفقه وغيره، عارفًا بمعاني الأخبار والآثار. ا.هـ

والثناء عليه كثير وإنما نختار منها بعضًا منها.

وقال الإمام أَبِي الْعَبَّاس ابْن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: مَا دَخَلَ الشام - بَعْد الأوزاعي - أفقه من الشيخ الموفق.

قَالَ الضياء **المقدسي**: كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إماما فِي الْقُرْآن وتفسيره، إماما فِي علم الْحَدِيث ومشكلاته، إمامًا فِي الفقه بَل أوحد زمانه فِيهِ، إماما فِي علم الخلاف، أوحد زمانه فِي الفرائض، إماما فِي أصول الفقه، إماما فِي النحو، إماما فِي الحساب.

عقيدته عقيدة السلف:

سنقرأ هذا الكتاب الذي يدل على عقيدةٍ صحيحة، **وأخطأ من رمى ابنَ قدامةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بالتفويض، بأنه مفوض، هذا خطأ، لم يفهم كلامه،** حصل في موضع من كتاب اللمعة سيأتي معنا إن شاء الله ذكر: أنه تُثبت الصفات بلا معنى، ومقصده بلا معنى أي بلا تأويل بمعاني تخالف ظاهرها، وليس مقصده نفي المعنى بالكلية وسيأتي أيضًا بينه -هو نفسه-، له كلام في نفس الكتاب يبين أنه يرى: أنها تُثْبَتُ المعاني، واستدل أيضًا بقول الإمام مالك: "**الاستواء معلوم والكيف مجهول**"،

فكيف يستدل بقول الإمام مالك الاستواء معلوم ثم ينسب إليه أنه على مذهب المفوضة، فهذا بعيد، وكلامه سيمر معنا إن شاء الله.

فابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب السلف بعيد من التفويض، وهذا كلامه في اللمعة سيأتي، وإنما تعجلناه حتى نبين إن عقيدته صحيحة عقيدة السلف، بعيدًا عن مذهب المفوضة.

ومعنى التفويض: يقولون صفات الله لا معاني لها، ليس لها معنى، هذا كلام باطل، الاستواء معلوم والنزول معلوم، معلوم المعنى، الإتيان معلوم، اليد معقولة المعنى، والوجه معقول المعنى، كل ما أثبته الله من صفاته معقول المعنى، وإلا لما فهمنا صفات الله جل وعلا، قال ابن قدامة بعد أن ذكر أدلة الصفات، قال: فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدِّلت رواته، نؤمن به، ولا نرده ولا نجحده **ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره،** ولا نعتقد فيه تشبيهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين، بل نؤمن بلفظه، **ونترك التعرض لمعناه، قراءته تفسيره.**

انظر إلى قوله **ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره**؛ يعني له تأويل على ظاهره وهذا الذي عليه السلف، كانوا يقولون في آيات وأحاديث الصفات أمروها كما جاءت، أي على ظاهرها ولا يثبت لها معاني تخالف المعنى المفهوم من ظاهرها.

ونترك التعرض لمعناه؛ هي هذه العبارة التي بعضهم قال انه يفوض، ولكنه قال: **قراءته تفسيره**؛ أي على ظاهرها ما نفهم منها إلا ما فُهِمَ عند القراءة لا نأتي بأقوال أخرى: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤]، على ظاهره يدان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **قراءته تفسيره**؛ هذا كلام واضح.

ثم بعد أن ذكر جملة من الصفات قال: نؤمن بذلك ونتلقاه بالقبول من غير رد له ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا نتعرض بكيف. انتهى.

ثم ذكر كلام الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن كلامه في اللمعة أيضًا كما سيأتي معنا والذي يدل على أنه بعيد من التفويض بعد أن ذكر صفة الإتيان: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ** ﴾ [البقرة:٢٣].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدري ما هو ولا يُعقل معناه. انتهى.

قد وجد أيضًا كلام للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنفس الكلام، يقول: نثبتها بلا كيف ولا معنى. انتهى.

وبيَّنَ أهل العلم أن مراد الإمام أحمد **ولا معنى** أي من المعاني المحدثة التي أحدثها المُحرِّفة، مما يخالف ظاهر الأدلة والنصوص.

إثبات هذا الكتاب

وقد أثبت هذا الكتاب، عامة من ترجم للإمام، فعامة من ترجم له يذكر أن له جزءا في الاعتقاد، يريدون به هذا الكتاب: "**لمعة الاعتقاد**"، **وقد شرحه عدد من أهل العلم** لأهمية هذا الكتاب، كثير من أهل العلم يشرحونه، **وهو مناسب للمبتدئين،** فلذلك اخترنا تدريسه وقراءته للاستفادة منه، وإن شاء الله بعده نقرأ: "**القواعد المثلى**"، للإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهي كتب مهمة نحتاج إليها في باب الصفات، وفي عقيدة أهل السنة والجماعة.

سؤال: ما أصل كلمة (لمعة)، ما المراد بها؟

المعروف إنها تُطلق على ضوء أو بياض يسير يخالط بقية الجسد، يقال لمعة، كما قال في ذلك الحديث: «أَنَّه رَأَى رَجُلًا فِي رِجْلِهِ لُمْعَةً لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ»، والمعنى إشارة إلى أن هذا الجزء إنما هو شيء يسير ولكن فيه الخير، "لمعة الاعتقاد" أي جزء يسير في اعتقاد أهل السنة والجماعة.

* * *

المقدمة

قال الراوي عن الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ الإِمَامُ الْعَالِمُ الأَوْحَدُ: شَرَفُ الإِسْلامِ مُفْتِي الْفِرَقِ وَقُدْوَةُ الأَنَامِ، أَوْحَد الزمانِ مُوفَّقُ الدِّينِ أَبُو مُحَمّدٍ عُبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ محمدِ بنِ قُدَامةَ المقدسِي قَدَّسَ اللهُ تعالى رُوَحَهُ وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ.

الشرح:

التعبير **بالأوحد** يريد به كثير ممن يطلقه وحيد زمانه، مقيد، ومع ذلك التطرق إلى ذلك ينبغي تركه وهو خير، ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف:٧٦]، أنكر الله على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ**»، قَالَ فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فكيف يجزم أحدنا أن فلان هو وحيد الزمان، فترك هذه العبارة هو الذي ينبغي، ولكن قد تُتأول وحيد زمانه أي بعلمي أو بطلاعي ونحو ذلك، ومع ذلك الترك هو الذي ينبغي كما سمعتم، فقد عَتَبَ اللهُ عَلَى موسى إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، **وكذلك الأوصاف التي تكثر لأهل العلم خيرها ما جاء وصفه في كتاب الله جل وعلا، وصفهم الله**: بالعلم: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ**

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨]، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]، وبالإمامة في الدين، فالوصف بما جاء في الكتاب والسنة أفضل من غيره، عالم، إمام: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]، يعني إذا وصل إلى هذه الرتبة، رتبة العلم ورتبة الإمامة في الدين.

* * *

المقدمة وتتضمن (الثناء على الله تعالى وتنزيه صفاته سبحانه عن النقص).

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١ - اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، اَلَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَاد، وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَاد، لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِير، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِير: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

الشرح:

قوله: (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ).

ما معنى الحمد؟

هو الإخبار بمحاسن المحمود على جهة المحبة التعظيم.

والمدح هو ذكر المحاسن لا على جهة المحبة والتعظيم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المحمود على كل لسان لجميل وعظيم صفاته، كثير من الناس ما يعقل من الحمد إلا مقابل النعم، أي يثني على الله مقابل النعم وهو الشكر، شكر الله جل وعلا على النعم، والحمد أعم من ذلك، فثناؤك على الله جل وعلا بجميع الصفات التي يستحقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متصف بجميع صفات الكمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، له الأسماء الحسنى، وله المثل الأعلى، وله صفات

الكمال: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤]، وهو محمود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عظيم صفاته وجميل أفعاله، لا يُحصى ثناء عليه فهو كما أثنى على نفسه.

ما معنى: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»؟

أي ما يستطيع أحد أن يبلغ الثناء الذي يستحقه الله جل وعلا، مهما حمد الله وأثنى عليه، ومهما ذكره بالأسماء الحسنى، والصفات العُلى فلا يبلغ الثناء الذي يستحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو كما أثنى على نفسه، كما قال رسول الله ﷺ وهو في سجوده: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»، وفي يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي**»، وفي رواية: «**فيفتح الله علي من حسن محامده ما لا أحسنه الآن**»، ما يستطيع ﷺ، ومع ذلك أيضًا لا يبلغ الثناء الذي يستحقه جل وعلا، فهو كما أثنى على نفسه، مع ما فتح الله على نبيه من الثناء العظيم الذي لم يفتحه لأحد ومع ذلك أيضًا لا يُحصى ثناء عليه فهو كما أثنى على نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله: (بِكُلِّ لِسَانٍ).

إشارة إلى ما يثني عليه عباده جل وعلا سواء لسان العرب أو لسان العجم، الألسنة المختلفة، كلهم يثنون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (اَلْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ).

لا يستحق العبادة غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج:٦٢].

قوله: (الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ).

فعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أحاط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران:٥]، ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ [لقمان:١٦]، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم:٣٨]، ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة:٧]، والأدلة في ذلك كثيرة جدا إنما هذه إشارة.

قوله: (وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ).

هذا في حق البشر، قد يشتغل بشيء عن شيء آخر، وأما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فبكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وسميع لجميع الأصوات على تفنن اللغات واختلاف الحاجات، لا يخلط عليه صوت عن صوت، بصير يبصر كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تخفى عليه خافية، مدبر الأمور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جميع ملكه وفي جميع خلقه.

قوله: (جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ).

أي: جلَّ ربنا جل وعلا عن المثيل والتعبير بتنزيه الله عن المثيل هو الذي جاء في كتاب الله، وهو أدق من التعبير بنفي الشبيه، والله عز وجل لا مثيل له، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]، فلا مثيل له ولا شبيه، والتعبير بنفي المثيل أدق، لأن الشبه قد يحصل في مجرد الأسماء، فلله عز وجل وجه وللمخلوق وجه، شبهٌ في مجرد التسمية وفي أصل المعنى، وكذلك لله يد وللإنسان يد، شبهٌ في التسمية وفي أصل المعنى، ولذلك قال: العلماء التعبير بنفي المثيل أولى.

ومع ذلك ليس لله مثيل وليس له شبيه بالمعنى المفهوم من الشبيه، وقد أجمع المسلمون على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له ذات تليق بجلاله لا تماثل ذوات المخلوقين، وله وجود يليق بجلاله لا يماثله وجود المخلوقين، هذا أمر مُجمعٌ عليه بين المسلمين ومن أنكره فهو كافر، معلوم من الدين ضرورة أن لله عز وجل صفة الوجود لا تماثل صفات المخلوقين، وله ذات لا تماثلها ذوات المخلوقين، وافق على ذلك حتى المبتدعة، أصحاب الفِرْق الضالة، كلهم يوافقون على ذلك، ثم بعد ذلك وقعوا في البدع عند أن عطلوا الله عن الصفات وأنكروا صفات الله تعالى، فكما أثبتوا ذات لله لا تماثل ذوات المخلوقين، فالشأن في الصفات كالشأن في الذات، **فكما أثبتوا ذاتا لله لا تماثل ذوات المخلوقين فيجب عليهم أن يثبتوا ما أثبته الله لنفسه من الصفات ولا تُماثل صفات المخلوقين،** فالله وجه ليس كوجه المخلوق، ولله يد ليست كيد المخلوق تليق بجلاله، الله أعلم بكيفيتها، لا نعلم كيفية صفات الله جل وعلا، وإنما نعقل معانيها، فهذه أكبر حجة على المبتدعة الذين أنكروا الصفات، يقال لهم كما تثبتون الذات ولا تماثل ذوات المخلوقين، وكما تثبتون صفة الوجود ولا تماثل صفات المخلوقين، فأثبتوا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له صفات تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين، أو كما تثبتون أن الله موجود

أولى من التعبير بصفة الوجود، فإنه يخبر بها عن الله، كما تثبتون أن الله موجود ولا يماثل الموجودين فكذلك أثبتوا الصفات ولا تماثل صفات المخلوقين.

وفي قوله: (جَلَّ عَنْ اَلْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَاد).

يشمل نفيه في الند أيضًا فيما يتعلق بتوحيد الألوهية والربوبية كذلك، فلا يُجعل لله ندا في الألوهية بأن يُعبد غيره ويُعظَّم غيره ويُحب غيره كحبه لله فهذا أيضًا من جعل الأنداد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إما بأن يوصف غير الله ويعطى من الأوصاف ما لا تليق إلا بالله، فقد أنكر النبي ﷺ على الرجل الذي قال: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، حيث أشركه في المشيئة، وفي رواية: «**وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ**»، وهكذا أيضًا في الألوهية فلا يجوز أن يعبد غير الله جل وعلا، قال الله عز وجل وهم يعذبون في نار جهنم: ﴿ **قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٧]، سووهم بالعبادة بالتعظيم والمحبة أشركوا بهم وعبدوهم، وهكذا يدخل في التنديد في أن يجعل المثيل له بالربوبية بأن يعتقد بوجود خالق أو مدبر غير الله، كشرك الصوفية الذين يقولون أن أوليائهم يدبرون الكون ويخلقون، ويعلمون ما في الأرحام، ويعلمون الغيب فهذا تنديد في الربوبية.

قوله: (وَتَنَزَّهَ عَنْ اَلصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَاد).

والصاحبة هي الزوجة، والله عز وجل منزه عن الصاحبة والأولاد: ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ** ﴾ [الأنعام:١٠١]، ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص:١-٤]، ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا *تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ**

الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم:٨٨-٩١]، والآيات كثيرة في هذا الأمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُئًا أَحَدٌ**»، أخرجه البخاري في صحيحه وأخرجه أيضًا عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه وفيه: «**وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**». **وهذه الأمور عند أن تنفى عن الله جل وعلا تسمى صفات سلبية أي منفية عن الله، وهذه الصفات المنفية أو السلبية تكون متضمنة لصفات ثبوتية، فليس النفي بمجرده كمال إلا مع إثبات كمال ضده من الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه،** فتنزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الأشباه والأنداد وعن الصاحبة والأولاد لكمال أحديته، ولكمال وحدانيته، ولكمال قيوميته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك لكمال صمديته.

قوله: (وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ اَلْعِبَاد).

أي: جميع العباد تحت حكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يخرجون عن حكمه، والمراد هنا الحكم الكوني.

والحكم ينقسم إلى قسمين: حكم كوني، وحكم شرعي.

الحكم الكوني: أي ما قدَّره الله وقضاه، لا أحد يستطيع أن يرد حكمه أو يخرج عن حكمه، والدليل على إطلاق الحكم الكوني من كتاب الله جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [الرعد:٤١]، أي: لا مؤخر لحكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأما إطلاقه على **الحكم الشرعي** فهو كثير في كتاب الله جل وعلا، كقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الممتحنة:١٠]، ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ** ﴾ [الأنعام:٥٧]، وهنا يشمل الأمرين الحكم الكوني والشرعي كله لله.

والقضاء كذلك ينقسم إلى قسمين:

قضاء كوني، وقضاء شرعي، قال الله عز وجل: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء:٤]، هذا قضاء كوني، والقضاء الشرعي؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء:٢٣]، أي أمر، «**اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**»، من حديث ابن مسعود في مسند أحمد، قوله: «**مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ**»، **من أي النوعين؟** الحكم الكوني.

مسألة: كيف يُعرف إن هذا كوني وهذا شرعي؟

الكوني: الذي قدَّر الله وقوعه كائنٌ لا محالة.

والشرعي: أمرَ اللهُ به، أمر الله بإيقاعه، وهو فيما يحبه؛ القضاء الشرعي، والحكم الشرعي، والإرادة الشرعية، والكتابة أيضًا تنقسم إلى كونية وشرعية، وأمور أخرى كذلك تنقسم إلى شرعي وكوني.

فالشرعي هو الذي يكون فيما يحبه الله، أمر الله بإيقاعه وامتثاله، فهذا هو المراد بالشرعي أي أمر الله بتحصيله، **وقد يقع وقد لا يقع،** فبعض الناس يبادر بامتثال أمر الله فيكون من العابدين وبعض الناس يعرض عن أمر الله فيكون من المعاندين.

قوله: (لَا تُمَثِّلُهُ اَلْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ).

المقصود أن الإنسان لا يمكنه ان يتعقل كيفية صفات الله جل وعلا، ولا يجوز للمسلم أن يفكر في ذلك، في كيفية الصفات، فإن هذا علم محجوب، لا يمكن لأحد أن يطلع عليه، قال الله عز وجل: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:١١٠]، وهذه من الأمور التي لم يطلع عليها حتى الأنبياء بل ولا حتى الملائكة، علم محجوب، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علَّم عباده صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولم يعلَموا كيفيتها، ولم يطلعهم على الكيفية، فنؤمن بما علَّمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويجب علينا الكف عما حجب اللهُ علينا علمه، كيفية الصفات، فمهما فكَّرت العقول لا تستطيع ان تكيِّف الصفات ولا يجوز ذلك، لا يجوز للمسلم ان يشغل نفسه بالتفكر في كيفية الصفات، وفي كيفية ذات الله جل وعلا.

قوله: (وَلَا تَتَوَهَّمُهُ اَلْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ).

يعني بالتصور، ما يمكن ان تتصوره القلوب والعقول، والعبارتان بمعنى واحد، والعقل والقلب بينهما ترابط، فالقلوب تعقل وقد يُقفل عليها فلا تعقل، **والعقل محله القلب، ما الدليل على ذلك؟**

قول الله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾ [الحج:٤٦]، من المعلوم ان الإنسان إذا ضُرِبَ على رأسه ودماغه يذهب عنه عقله، **بعض الناس يذهب عنه عقله بضربة في رأسه وليس في قلبه؟** التعقل بالقلب، والدماغ له تعلق بذلك، فلهما ارتباط، فيعقل الإنسان الأمور بقلبه ودماغه، هناك تعلق بين الدماغ والقلب ويتعقل الأمور بذلك، وهذه أمور لا تُنكر، محسوسة،

يُضرب في رأسه فيفقد عقله، والمراد بهذا الأمر الذي ذكره الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ انه لا يجوز للإنسان ان يتفكر في كيفية صفات الله جل وعلا، ولا يطلب ان تصورها، هذا أمر مبتدع، ولا يجوز له أيضًا أن يسأل عن الكيفية فهذا أمر مبتدع، ولما سُأَلَ الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقيل: يا أبا عبد الله: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأُخرج.

فالسؤال عن الكيفية من بدع، وهذا باب من أبواب الشيطان، إذا طرق قلبك أيها المسلم فعليك الاستعادة من الشيطان الرجيم، هذا من الوسواس الذي يشغل كثير من الناس، إما بالتفكر في ذات الله وفي كيفية الصفات، أو كما في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ** »، وفي رواية: « **فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ** »، وفي مسند أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ** »، هذه وسوسة، إذا خطرت على قلب الإنسان وعقله فليسارع بالإستعاذة بالله من الشيطان، والكف عن ذلك، « **فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ** »، وفي رواية: « **فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ** ».

فهذه الوساوس عليك أمامها: بالإستعاذة من الشيطان الرجيم، والكف عن التفكير فيها، وأيضًا قولك: « **آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ** ».

فإذا استعظمت هذا فهذا من علامة الإيمان، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «**تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ**»، أي الاستعظام لذلك من الإيمان.

قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

هذه الآية هي منهج أهل السنة والجماعة، وعقيدتهم في الأسماء والصفات إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، فأثبتوا الصفات بدون تمثيل بالمخلوقات، صفات تليق بجلال الله عز وجل: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١]، ونزَّهوا الله عن المشابهة والنقائص بدون تعطيل، فأثبتوا له الصفات ولم يعطلوه من صفاته ولم يشبهوه بخلقه، ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، وهكذا جميع الصفات، فالله أثبت لنفسه في هذه الآية السمع والبصر ونفى عن نفسه المماثلة، ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١]، وعلى هذا في جميع صفات الله تعالى التي أثبتها الله لنفسه واثبتها له نبيه ﷺ ، فتثبت الأسماء والصفات بدون مماثلة للمخلوق، والكاف في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى:١١]، صلة وتوكيد، وهي زائدة من حيث الإعراب، ليس مثله شيء، فالله عز وجل ليس له مثيل.

إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا لله تعالى

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

لَهُ اَلْأَسْمَاءُ اَلْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ اَلْعُلَا: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٥-٧].

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠].

مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ اَلْعَظِيم، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ اَلْكَرِيم.

الشرح:

قوله: لَهُ اَلْأَسْمَاءُ اَلْحُسْنَى.

وصف الله عز وجل أسماءه بالحسنى في عدد من الآيات من كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه:٨]، ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء:١١٠]، والحسنى صفة مبالغة على الوجه الأحسن الذي لا يماثله شيء، **ويُستفاد من هذا إن الاسم إذا لم يكن فيه حسن فلا يمكن أن يكون من أسماء الله جل وعلا**، فالدهر ليس من أسماء الله، ليس فيه حسن، الدهر أخطأ ابن حزم عند أن عده من أسماء الله، ولم يفهم قول رَسُولَ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، **فما هو تفسير الحديث؟**

قوله: «**وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، أي الله عز وجل هو المدبر والمصرف للدهر، فالذي يسب الدهر كأنه يسب الله لأن الدهر من فعله ومن تصريفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقول النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»؛ أي ان الله هو المتصرف بالدهر، وكذلك يُستفاد منه ان القديم ليس من أسماء الله عز وجل فالله عز وجل سمى نفسه الأول، الأول والآخر والباطن والظاهر، الأول الذي ليس قبله شيء، أما القديم فقد يطلق على القديم النسبي، قِدْم نسبي أي بالنسبة لما بعده، **ما الدليل على ذلك؟**

﴿ **أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ** ﴾ [الشعراء:٧٦]، المراد هنا الأجداد وليس المراد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كان على التوحيد وكذا ليس المراد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كان على التوحيد: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ [يس:٣٩]، فإذا علمتَ إن أسماء الله حسنى فلا يمكن ان تجد له أسما ويداخله النقص، إذا وجدت اسمًا يداخله النقص فاعلم انه ليس من أسماء الله، ومن ذلك الفاعل، فالفاعل ليس من أسماء الله لأن الفاعل بنفسه ليس بمدح، قد يفعل الخير وقد يفعل الشر، ولكن: ﴿ **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴾ [هود:١٠٧]، هذا هو الكمال، وهكذا أيضًا المريد كذلك، المريد بنفسه ليس فيه حسن حتى يقيَّد، فلا يسمى الله بالمريد، فهذه الأفعال تنقسم مسماها إلى فعل خير وشر، المتكلم، من صفاته الكلام وليس من أسمائه المتكلم، الأسماء الحسنى لا يداخلها النقص.

قوله: وَالصِّفَاتُ اَلْعُلَا.

كذلك صفاته على أعلى الكمال وأعلى الحُسن: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾ [النحل:٦٠]، ونفس الأدلة التي استدل بها على ان أسماء الله حسنى كذلك يستدل

بها على أن صفاته عُلى سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، فلا نقص بوجه من الوجوه.

قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]؛ فيه إثبات صفة الاستواء لله جل وعلا ، وقد ذُكرت صفة الاستواء على العرش في سبع آيات: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس:٣]، ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد:٢]، والتي في سورة طه: ﴿ تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٤-٥]، ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٩]، ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤]، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الحديد:٤].

فما معنى الاستواء على العرش؟

أي: على وارتفع سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هكذا يفسره أكثر السلف وأكثر العلماء بالعلو والارتفاع، وليس معناه انه لم يكن يتصف بصفة العلو ولكن علو يليق بجلاله، الله أعلم بكيفيته، فلا يزال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتصف بصفة العلو قبل خلق العرش: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١]، وآيات كثيرة في إثبات صفة العلو لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، **وزاد بعضهم في تفسير الاستواء معنيين آخرين وهي مرادفة في المعنى ولكن اختلف اللفظ فقط، صعد على العرش من أقوال بعض السلف، وقال بعضهم: استقر،** وأنكر بعضهم كلمة استقر، فقالوا في الاستقرار زيادة معنى على مجرد العلو، فأحسن العبارات على وارتفع وأكثر

العلماء ذكر هذا المعنى، وصعد بمعناها أيضًا، وأما الاستقرار فمن قالها من السلف فهو أراد العلو أيضًا، فنفضل ترك لفظ استقر، ونقول من قالها من السلف فمراده العلو وليس مراده معنى زائد على ذلك، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

فَلهـــم عِبَـــارَات عَلَيْهَـــا أَربـــع ... قـد حصـلت للفـارس الطعـان

وَهِي **اسْتَقر** وَقد **علا** وَكَذَلِكَ **ار** ... **تفـع** الَّـذِي مَـا فِيـهِ مـن نكـران

وكذاك قد **صـعد** الَّذِي هُوَ رَابِع ... وَأَبُـو عُبَيْـدَة صَـاحب الشَّـيْبَانِيّ

يخْتَـار هَـذَا القَـوْل فِي تَفْسِـيره ... أَدْرِي مـــن الجهمـــي بِـــالْقُرْآنِ

وصفة الاستواء ثابتة لله جل وعلا كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، استوى على العرش بعد أن خلق العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما تقدم معنا بالأمس لا يُفهم من الاستواء على العرش أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل ذلك لا يتصف بصفة العلو، فلا يزال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متصفا بصفة العلو أزلاً، صفة العلو صفة ملازمة لله جل وعلا لا تنفك عنه أبدا، وما يتعلق بهذه الصفة لها مزيد ذكر عند أن تمر معنا أدلتها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه:٦].

ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق الثناء على الله جل وعلا فذكر هذه الآيات على سبيل الثناء على الله جل وعلا، فالله له الملك كله: ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى** ﴾ [طه:٦]،

قوله: ﴿ **وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ [طه:٦]، دخل فيه جميع المخلوقات التي في السماء والأرض، من الملائكة والجن والإنس، والحيوانات والنبات والأشجار والنجوم

والكواكب والسحاب وغير ذلك، ولا يستطيع الإنسان أن يعد مخلوقات الله جل وعلا، إشارة إلى ملك الله العظيم، هذا من الثناء على الله جل وعلا بذكر الملك العظيم الذي خلقه الله جل وعلا، قوله: ﴿ **وَمَا تَحْتَ الثَّرَى** ﴾ [طه:٦]، والثرى: هو التراب الندي الذي فيه شيء من البلل يسمى ثرى، إشارة إلى أن الأرض ما تحتها كلها ملك لله جل وعلا إلى سابع أرض.

ما الدليل على أن الأرض سبع أرضين؟

﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:١٢]، وأيضًا: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»، الحديث عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وعائشة في الصحيحين، وفي البخاري عن ابن عمر بلفظ: «**مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، وأيضًا في الحديث : «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السابعة السفلى على قرنه العرش، ومن شحمة أذنه إلى عاتقه بخفقان الطير مسيرة مئة عام**»، والأدلة في هذا كثيرة.

هل السبع الأرضين طبقات أم في كل مكان أرض؟

الأدلة التي ذكرناها تدل على أن السبع الأرضين طبقات، وأيضًا قوله في الآية: ﴿ **وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:١٢]، مثلهن إشارة إلى ذلك، كما إن السموات طبقات فالأرضين كذلك طبقات.

قوله: ﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٧].

الله جل وعلا يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة.

ما معنى: ﴿ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٧]، فما هو السر وما هو الذي أخفى من السر؟

السر ما أسررتَ به أخاك، وأخفى ما حدَّثتَ به نفسك، هذا أصح ما ذُكرَ، حديث النفس هو الأخفى، والسر ما جرى بينك وبين أخيك من كلام لا يعلم به أحد إلا الله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦]، ما يحدِّث به الإنسان نفسه يعلمه الله جل وعلا، ما يفكِّر في فعله يعلمه الله، لا تخفى عليه خافية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران:٥].

قوله: أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

والإحاطة يدل على علم كامل من جميع الجوانب، أحاط بكل شيء علما، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق:١٢]، فالإحاطة علم دقيق، علم بجميع جوانب الشيء، ولذلك فنحن نعلم صفات الله ولا نحيط بها علما، قال الله عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، ما علمنا إلا ما علمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من لصفات ومن معانيها، من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولا نحيط بالله علمًا، فنحن لا نعلم كيفية صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا نحيط بربنا علمًا، وأما الله فيحيط بكل شيء علمًا؛ لأن كل شيء هو مخلوق لله فالله هو الذي خلقه فيكف يخفى عليه: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤]، يعني هذا شيء يخالف حتى العقل الصحيح، هو الذي خلقه فكيف سيخفى عليه شيء من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصفة العلم من أنكرها كفر، صفةٌ لله معلومة من الدين بالضرورة وإنكارها كفر وردة، من أنكر علم الله جل وعلا فهو كافر

مرتد، سواء عن شيء أو عن آخر، فقد كفَّرَ العلماءُ الفلاسفةَ الذين قالوا الله يعلم الكليات دون الجزئيات، مجموعة من الفلاسفة قالوا يعلم الكليات دون الجزئيات تعالى الله عن قولهم، من أنكر علم الله فكفره معلوم من الدين بالضرورة بل من لم يكفِّر من أنكر ذلك فهو كافر ومن لم يكفِّر هذا المنكر لعلم الله فهو كافر، لأنه ردٌ لأدلة القرآن والسنة ووصفٌ لله جل وعلا بالنقص، فلا يخفى على الله شيء.

قوله: وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا.

القهر بمعنى إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أذلَّ العباد، فكل العباد ذليلون لربهم سبحانه طوعًا وكرهًا: ﴿ **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾ [مريم:٩٣-٩٥]، كل خلق الله تحت قهره، متى شاء عز وجل أن يأخذهم أخذهم، ومتى شاء أن يمرض من شاء منهم أمرضهم جل وعلا لحكمة، وهكذا جميع المصائب إذا شاء أن يوقعها بهم أوقعها فكلهم تحت حكم الله جل وعلا، فهم خلقه جل وعلا مقهورون مربوبون لله سبحانه، قهر كل مخلوق عزة؛ العزة من صفات الله جل وعلا وأدلتها معلومة منها قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الصافات:١٨٠]، ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الجاثية:٣٧]، [جاءت هذه الآية في اثني عشر موضعا: إبراهيم:٤، النحل٦٠، العنكبوت٤٢، الروم٢٧، لقمان٩، فاطر٢، الجاثية٣٧، الحديد١، الحشر١، الحشر٢٤، الصف١، الجمعة:٣].

❖ **والعزة لها ثلاث معاني:**

عزة قهر وقوة؛ بقوة الله قهر المخلوقات وأذلها.

وعزة امتناع؛ فلا يصل إليه سوء ولا نقص جل وعلا من خلقه.

وعزة القدْر؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له القدر العظيم: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر:٦٧]، ذكر ابن القيم الثلاثة المعاني في أبيات له:

وَهُوَ الْعَزِيز فَلَنْ يرام جنابه ... أَنى يرام جناب ذِي السُّلْطَان

وَهُوَ الْعَزِيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شَيْء هَذِه صفتان

وَهُوَ الْعَزِيز بِقُوَّة هِيَ وَصفه ... فالعز حِينَئِذٍ ثَلَاث معَان

وَهِي الَّتِي كملت لَهُ سُبْحَانَهُ ... من كل وَجه عادم النُّقْصَان

قوله: (**أَنى يرام جناب ذِي السُّلْطَان**)؛ هذه عزة الامتناع، ما أحد يصل إلى الله بشيء؛ **إذن عزة امتناع، والثاني عزة قهر، والثالث عزة القوة.**

قوله: (وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا).

ما المراد بالحكم في هذا الموضع؟

الحكم الكوني، ﴿ **وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** ﴾ [الرعد:٤١]، ما يستطيع الإنسان أن يخرج عن حكم الله، تقدم معنا تقسيم الحكم.

قوله:

> قوله: وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠].

مأخوذة أيضًا من قوله تعالى عن الملائكة يدعون للمؤمنين: ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر:٧]،

ورحة وعلما تمييز محول عن فاعل أي وسعتْ رحمة الله وعلمه كل شيء، وفيه إشارة إلى أن رحمة الله عامة كعموم علمه، بل الآية فيها النص الصريح على ذلك: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر:٧]، **فما المقصود بهذه الرحمة التي وسعتْ كل شيء؟**

رحمة عامة لجميع المخلوقات، حتى للكافر، الرحمة العامة بما يرزقهم الله سبحانه، بالرزق والعطاء وهكذا أيضًا بتسخير الأرض والسموات وبتسخير المخلوقات، وهداية الخلائق إلى مصالحها، وأمور كثيرة من رحمة الله العامة، هذه تسمى رحمة عامة، وهناك رحمة خاصة.

ما المقصود بالرحمة الخاصة؟

الرحمة الخاصة برحمة الدين؛ أكرمك الله بالاستقامة والسنة والدين والهداية، الهداية من الرحمة الخاصة، والعلم النافع والعمل الصالح المتعلقة بدينك هي الرحمة الخاصة ومن أعظمها هدايتك إلى الجنة: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣]، هذه رحمة خاصة، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠].

قوله: مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ اَلْعَظِيم، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ اَلْكَرِيم.

على هذا جرى أهل السنة والجماعة، وهو مذهب سلف الأمة، وعليه صحابة نبينا محمد ﷺ ، والأئمة من بعدهم من التابعين، وأئمة الهدى من بعدهم إلى يوم الدين، هذه عقيدتهم في أسماء الله وصفاته، **ويتحقق توحيد الأسماء والصفات بالله جل وعلا بهذا الأمر العظيم؛ أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه ﷺ ، وهكذا التسمية يسمى الله بما سمى به نفسه وبما سماه به نبيه محمد ﷺ،**

من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وصفات الله جل وعلا تليق بجلاله لا يماثله فيها أحد: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم:٦٥]، فتحقيق توحيد الأسماء والصفات بأن تنفي عن الله ع وجل المماثلة في أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو أثبتها له نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فتثبتها على وجه الكمال لائقة بجلاله جل وعلا لا يماثله شيء من خلقه.

ما معنى قول أهل السنة والجماعة (من غير تحريف)؛ ما معنى هذا التحريف؟

إثبات الصفات من غير تحريف، أي: تحريف النصوص عن ظاهرها، فيقول مثلًا المراد باليد النعمة أو القوة، والمراد بالوجه الإخلاص، وابتغاء وجه الله جل وعلا والثواب، وما أشبه ذلك، وهو أولى بالتعبير من قول بعضهم من غير تأويل فهو في حقيقة الأمر تحريف وليس بتأويل.

لماذا قولنا (من غير تحريف) أولى من قولنا (من غير تأويل؟)

أولًا: هذا كلام الله جل وعلا، جاء في القرآن ذم التحريف: ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [النساء:٤٦]، وهذا أيضًا يدل على أن فعلهم شنيع، تحريف لأدلة الكتاب والسنة، وأيضًا لأن التأويل يأتي بمعاني حق ليست بمذمومة، فتأويل الشيء هو عاقبته ومآلته التي يصير إليها فقد يكون بتفسيره وبيان معناه، أو يكون بوقوعه إذا كان خبرًا، أو بامتثاله إذا كان أمرًا، **فالتأويل على ثلاثة أمور:**

١) **بتفسيره** وبيان معناه؛ وهذا يقال أهل التفسير أهل التأويل، ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ** ﴾ [آل عمران:٧]، أي تفسيره.

٢) مآل الشيء أي **وقوعه** إذا كان خبرا، قد أخبر الله عن اليوم الآخر فقال: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾ [الأعراف:٥٣]، أي يرونه رأي العين ويقع ما أخبرهم به ربنا جل وعلا.

٣) إذا كان طلبا فتأويله **امتثاله**؛ ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر:٣]، قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»، يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ؛ أي يمتثل أمره.

معنى التأويل الاصطلاحي عند أهل الكلام: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله الكلام، فيسمونه تأويلًا وهو محل انتقاد ليس على إطلاقه، فإنه قد يكون تحريفًا، وهم يسمونه تأويلًا ليكون مقبولًا عند الناس، فحجتهم أنهم إذا أثبتوا الصفات فمعناه أنهم شبهوا الله بخلقه، وهذا كلام باطل، فكما أننا نثبت ذاتا لا تماثل الذوات، فكذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوقين.

ما معنى قول أهل السنة والجماعة (من غير تحريف ولا تعطيل)؟

التعطيل: معناه نفي صفات الله جل وعلا وعدم اثباتها، سمي تعطيلًا من التفريغ: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾ [الحج:٤٥]، ومعناه إنكَ نفيتَ صفات الله جل وعلا فعطلتَ الله عن صفاته، فلا يجوز أن تنفى صفات الله جل وعلا فقد اثبتها الله لنفسه، فكيف يثبتها الله لنفسه ويثبتها له نبيه الكريم ﷺ ثم يأتي المبتدعة يقولون لا يتصف، ليس له سمع ولا بصر، وليس له يد ولا وجه، فينفون عن الله ما أثبته لنفسه: ﴿**قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**﴾ [البقرة:١٤٠]، والمحرِّف كذلك يعطِّل؛ فإنه يعطل

الله عن الصفة ويثبت لها معنى آخر، فيقول ليس لله يد إنما المراد النعمة: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤]، أي نعمته مبسوطة، فالمحرِّف هو أيضًا معطِّل.

هل كل محرِّف معطِّل أو كل معطل محرف؟

كل محرِّف معطِّل؛ المعطل قد لا يحرف إنما يكتفي بالتعطيل يقول ليس لله كذا، ولا يذكر معنى آخر لنصوص الصفات، كل محرِّف معطل فإن المحرف يعطِّل ويأتي بمعاني أخرى، جمع بين التعطيل والتحريف.

وما معنى قول أهل السنة (ومن غير تكييف ولا تمثيل؟

التكييف: إثبات كيفية لصفات الله جل وعلا في الذهن، والتمثيل إثبات كيفية معينة مماثلة لبعض المخلوقات والعياذ بالله، إذن فالممثل كيَّفَ على صفة معينة، وكلاهما محذور، والتعطيل والتمثيل كلاهما كفر، ولكن لم يكفِّر العلماء بعض المعطلة بسبب التأويل، أي بسبب خطأ التأويل، فإن بعضهم أراد تنزيه الله فوقع في التحريف.

هل كل مكيّف ممثل أم كل ممثل مكيف؟

كل ممثل مكيِّف؛ لأنه قد أثبت الكيفية ومثلها بمخلوق، فقد كيَّفَ ومثَّل، وأما المكيف فقد يكيِّف في ذهنه ويتخيل بعض الكيفيات وليست مماثلة، وكلهما لا يجوز كما تقدم في كلام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير**، ما يستطيع أحد أن يعقل كيفية صفات الله جل وعلا.

التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات

۞ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٢ - وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي اَلْقُرْآن، أَوْ صَحَّ عَنْ اَلْمُصْطَفَى عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ مِنْ صِفَاتِ اَلرَّحْمَنِ وَجَبَ اَلْإِيمَانُ بِه، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُول، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيل، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِه، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِه اِتِّبَاعًا لِطَرِيقِ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْم، اَلَّذِينَ أَثْنَى اَللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ اَلْمُبِينِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

الشرح:

قوله: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي اَلْقُرْآن) إلى قوله: (وَجَبَ اَلْإِيمَانُ بِه، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُول).

ولا يتم إيمان الإنسان بأسماء الله وصفاته إلا بذلك، بأن يؤمن بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ من الأسماء والصفات وأن يتلقى ذلك بالقبول والتسليم.

قوله: وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيل، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ.

ترك التعرض له بالرد أي يرده ولا يثبته هذا هو التعطيل، والتأويل هو الذي تكلمًا عليه آنفًا والتعبير بالتحريف أولى، **وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ** ؛ فلا يجوز للإنسان أن يثبت صفات الله على كيفيات معينة ويمثلها بالمخلوق، قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ: **مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا.**

قوله: وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ.

وهذه العبارة هي التي أُخذت على ابن قدامة في قوله: **وَتَرْكُ اَلتَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ**، قال بعضهم: هذه طريقة المفوضة أنهم يقولون ما ندري ما معنى هذه الصفة، فيقولون تثبت بدون التعرض لمعانيها، لله يد ولله وجه، ما معناه؟ يقولون لا ندري ما معناه، هذا مذهب التفويض، وليس هذا مذهب ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع ان هذه العبارة مجملة، وكان ينبغي ان يقيد مثلًا ويقول: وترك التعرض للكيفية أو لمعنى الكيفي أو لحقيقة الكيفية، ويدل على ذلك قوله: **وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ**؛ فإن المشكل هو الكيفية، المشكل هو كيفية الصفات هي التي تشكل، وما أحد يطلع عليها، وأما المعاني فهي ثابتة، وابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبغي أن يحمل كلامه على المذهب الصحيح، مذهب أهل السنة والجماعة؛ لأنه أولًا قال: **وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم، وترك التعرض له بالرد والتأويل**؛ إذن يثبت لها معاني ويحذِّر من تأوليها ومن تمثيلها، قوله: **وترك التعرض له بالرد والتأويل**؛ كلام واضح انه يثبت المعاني وانها تُقر كما جاءت بدون تحريف وبدون اثبات معاني أخرى يخالف ظاهرها، وله كلام يأتي معنا بعد أن ذكر أحاديث في الصفات قال عقبها: فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يُتعرض لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله، سئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقيل: يا أبا عبد الله: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج.

فكيف يستدل بقول الإمام مالك لو كان أراد مذهب المفوضة، لأن الإمام مالك يثبت المعاني للصفات، لو كان ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يثبت مذهب المفوضة، فلا يتناسب أن يذكر معه قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسيأتي أيضًا معنا في هذا الكتاب ما يدل على انه لم يرد تفويض المعاني إنما أراد تفويض الكيفية، فهي التي تُشكِل فما أشكل علينا من ذلك، أي كيفية الصفات فنثبت الصفة ونقرها كما جاءت، وقد أثنى شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانه على طريقة السلف.

قوله: وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَى قَائِلِه، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِه.

هذا كما قال كثير من أئمة السلف في نصوص الصفات أمروها كما جاءتْ.

قوله: اِتِّبَاعًا لِطَرِيقِ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْم.

ومعناه أن أهل العلم ما أشكل عليهم من ذلك ردوا علمه إلى الله ومعلوم أن الذي لا يُعلم معناه هو الكيفية، كيفية الصفات، فهو الذي يُرد علمه إلى الله جل وعلا، وأما نصوص الصفات فقد خاطبنا الله جل وعلا بأسماء نعقل معانيها وإلا لما فهمنا صفات الله جل وعلا، وما صار عندنا معرفة لربنا جل وعلا، ولكن خاطبنا الله جل وعلا بأسماء نعقل معانيها وإن كانت الكيفيات تختلف، وإلا لما فهمنا نصوص الصفات ولا عرفنا ربنا جل وعلا، فإننا نعرف ربنا بأسمائه وصفاته.

التأويل الذي ذكر المؤلف أن أهل السنة يثبتون الصفات بدون تأويل؛ ما مراده بهذا التأويل؟

التأويل هنا أراد به التحريف، باصطلاح المتأخرين يسمونه تأويلًا وهو في حقيقة الأمر تحريف، والتأويل الذي اصطلح عليه المتكلمون لا يصوغ صرف اللفظ من المعنى إلى معنى آخر إلا بدليل وهم حرفوا نصوص الصفات بدون أي دليل أو أي قرينة وإنما بحجة إن إثباتها يقتضي التشبيه وهذا قول باطل، فلم يأتوا بدليل يصوغ لهم تحريف الأدلة وإنما حجتهم ان إثباتها يقتضي التشبيه وتمثيل صفات الله بصفات المخلوقين وهذا كلام باطل، فكما انهم أثبتوا ذاتًا لله عز وجل لا تماثل ذوات المخلوقين فكذلك يثبتون صفاتا لله ولا يقتضي ذلك المماثلة بصفات المخلوقين، وكما إن الأشاعرة أثبتوا سبع صفات وقالوا دل العقل عليها وقالوا إنها لا تماثل صفات المخلوقين فيلزمهم أن يثبتوا بقية الصفات أيضًا ولا تماثل صفات المخلوقين، فصفات الله تليق بجلاله وكماله، وصفات المخلوق تليق بنقصه وضعفه، فلا يقتضي ذلك وحجتهم في التأويل أنهم إذا أثبتوا الصفات فيقتضي التشبيه على ان المسميات إنما تتفق في الأسماء، ففي المخلوقات أيضًا يعقل اتفاق الأسماء مع اختلاف المسميات في المخلوقات أنفسها، فيد الإنسان ليست كيد الحيوان وكلٌ منها يطلق عليها يد.

وهكذا أيضًا وجه الإنسان ليس كوجه الحيوان وكلٌ يطلق عليه وجه، إذا كانت المسميات تختلف في أمور المخلوقات فكيف بما يتعلق بالله جل وعلا: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى:١١]، صفاته تليق بجلاله وكماله، الله أعلم بكيفيتها، وقول ابن قدامة: **وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ،** انتُقِدَ عليه وقال جمع من أهل العلم ان هذا مذهب المفوضة، **ما معنى المفوضة؟**

المفوضة طائفة من الأشاعرة يقولون الصفات لا يعقل معانيها وإنما تُمر تثبت ألفاظًا فقط ولا تثبت صفاتًا لله جل وعلا، بحجة انهم إذا أثبتوها صفات لله يقتضي التشبيه فهم أيضًا عطلوا، المفوضة عطلوا الله من صفاته، فقالوا نثبت هذه الألفاظ لا ندري ما معناها؛ ما معنى: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:٢٧]؟ يقولون ما ندري ما معنى الوجه، **فالأشاعرة قسمان:** قسم يحرِّفون نصوص الصفات، وقسم يقولون ما ندري ما معناها، حتى قال الأشعري:

وكـــل نـــص أوهـــم التشـــبيهَ أولـــه أو فوضـــه ورم تنزيهـــا

فانقسموا قسمين قسم منهم يحرِّفون: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤]، اتفقوا جميعًا على نفي اليد، يقولون ليس لله صفة اليد، طائفة منهم قالوا المراد باليد النعمة، والطائفة الأخرى قالوا: ما ندري ما معناها الله أعلم بمعناها، القرآن مليء بصفات الله إذن على هذا المذهب فأكثر كلام غير مفهوم، والله عز وجل أنزل القرآن: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ [الشعراء:١٩٥]، ومن أحسن من الله حديثًا، ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا** ﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿ **يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ** ﴾ [النساء:٢٦]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل القرآن باللغة العربي بأحسن البيان ويريد الله البيان للناس، فكيف القرآن مليء بآيات الصفات ولا نعلم ما معناها! هذا كلام باطل، وحاشى ابن قدامة من هذا المذهب إلا ان هذا اللفظ أخطأ فيه لما فيه من الإجمال، فإن كان قصد ترك التعرض للكيفية فكان يحتاج إلى كلمات أوضح من هذا الكلام، وإن قصد ترك التعرض لمعناه أي لإثبات معاني أخرى غير المعنى المفهوم من سياقه فهو قريب أقرب من المعنى الأول قد يحتمله السياق، وقد جاء عن الإمام أحمد أيضًا أنه قال: نثبت صفات الله تعالى بلا كيف ولا معنى. ومراده

بلا معنى أي من المعاني التي خاض فيها المحرفون فيقولون معناه ما يُفهم من ظاهره، ولعل ابن قدامة أراد أيضًا هذا الأمر الذي جاء عن الإمام أحمد أيضًا، أي ترك الخوض في معاني أخرى غير المفهوم من ظاهره، وقد نقل ابن القيم عن ابن قدامة من اللمعة نصا فيه زيادة **قراءته تفسره**، وهذا يؤيد إنه أراد أن المعنى الذي يثبت هو الذي يظهر من ظاهر الكلام، قراءته تفسيره أي تفسير المعنى بما يُفهم من ظاهر القراءة، فيكون أراد ترك التعرض للمعنى أي المعاني الباطلة التي خاض فيها المحرفون.

قوله: ﴿ اَلَّذِينَ أَثْنَى اَللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ اَلْمُبِينِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧].

قد اختلف العلماء في الوقف: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧].

هل الوقف على (إلا الله) أم بعد قوله (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)؟

قرأنا من قبل كلاما للشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أضواء البيان وهو كلام مفيد طيب رجح فيه أن الوقف تام على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ [آل عمران:٧]، ثم ابتدأ الكلام: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧]، هذا القول أرجح، من أحب أن يراجع فليقرأ كلام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أضواء البيان، ونقله أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى عن أكثر السلف، أكثر السلف يقفون على قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ [آل عمران:٧].

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي اَلتَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ [آل عمران:٧] .

فَجَعَلَ اِبْتِغَاءَ اَلتَّأْوِيلِ عَلَامَةً عَلَى اَلزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ اَلْفِتْنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أَمَّلُوهُ، وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ [آل عمران:٧].

الشرح:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧]، قوله: ﴿ فَأَمَّا ﴾ [آل عمران:٧]، أي: هذا سبيل الذين يتبعون المتشابه ففي قلوبهم زيغ، ثم قوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧]، بينَّ أن أهل العلم يخالفون أولئك في طريقتهم بالمتشابه يؤمنون به ويردون ما تشابه إلى المحكم: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، **ما معنى المحكم وما معنى المتشابه؟**

المحكم: البين المعنى؛ معانيه بينة واضحة.

والمتشابه: الذي لا يفهمه الناس أو بعض الناس أو كثير من الناس.

فماذا عن قوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١]؟

وفي هذه الآية قال: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، **فذكر أن بعضه محكم وبعضه فيه تشابه، ما الجمع بينها؟**

الإحكام بمعنى الإتقان: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود:١]، أي: أتقنت، محكم متقن لا نقص فيه بوجه من الوجوه، كتاب هو كلام الله الذي: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، فالإحكام في سورة هود المراد به أن جميع القرآن محكم لا نقص فيه، والمحكم الذي في سورة آل عمران المراد به إحكام من حيث المعنى وظهوره، : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، أي: المعاني فيها وضاحات بينات للناس، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران:٧]، أي: لا يُعلم معناها أو يشكل معناها على كثير من الناس، فسرت بالتفسيرين إما لا يُعلم معناها أو لا يعقل معناها كثير من الناس.

وماذا عن الآية الأخرى: ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر:٢٣]، **وصفه بأنه متشابه.**

وفي هذه الآية قال: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران:٧]**؟**

مُّتَشَابِهًا أي: يشبه بعضه بعضا بأوصافه من حيث الإتقان والتأثير والوعظ والبلاغة والبيان وما أشبه ذلك، فكله كلام الله جل وعلا.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران:٧]، يتركون الآيات المحكمات الواضحة البيان ثم يأتون إلى

الآيات التي فيها يستطيعون أن يدخلون فيها شبهات،﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران:٧]، إذن طريقة الراسخين في العلم غير طريقة الذين في قلوبهم زيغ، فإذا رأيتَ أصحاب الزيغ الذين يتركون الآيات المحكمات ويتتبعون المتشابه، قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، طريقة الراسخين في العلم يقولون: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧]، ، أي: ما لم يعقلوا معناه يقولون الله أعلم به، وهذا محمول على كيفية صفات الله وكيفية أمور الآخرة على الكيفية التي خلقها الله فما نعلمها، نصوص الصفات كلها معلومة المعنى لكن كيفية الصفات داخلة في هذا: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧]، ما نعلم الكيفية، قال الله عز وجل: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، ما نحيط علما بالله ولا بكيفية الصفات، وأدخل بعضهم الحروف المقطعة في أوائل السور فقالوا داخلة في هذا الله أعلم بالمراد بها، ولكن ذكر ابن القيم وشيخ الإسلام معاني إجمالية من الحروف المقطعة من أوائل السور، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر الأحرف التي نزل بها القرآن وهي من كلام العرب فهذا على سبيل التحدي لهم فقد أنزل القرآن بهذه الأحرف التي يتكلمون بها فتحداهم الله أن يأتوا بمثل هذه القرآن أو حتى بآية من مثله، هذا أحد الأقوال ذكره شيخ الإسلام وابن

كثير، والثاني ذكره ابن القيم: أن هذا من باب الامتنان من الله عز وجل على الناس بهذا القرآن العظيم الذي أنزلهم عليهم وفيه هدايتهم وفيه كل خير للناس، وأنزل بهذه الأحرف التي يتكلم بها العرب، فهذا من باب الامتنان عليهم بهذه اللغة العربية وبالقرآن العظيم: ﴿ **الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمن:١-٤].

قوله:

قوله: فَجَعَلَ اِبْتِغَاءَ اَلتَّأْوِيلِ عَلَامَةً عَلَى اَلزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِاِبْتِغَاءِ اَلْفِتْنَةِ فِي الذَّمِّ.

تقدم معنا معنى التأويل وأن له ثلاث معاني، والتأويل ما يقال يأتي بمعنى التحريف، يقال **هو في اصطلاح المتأخرين**: صرف اللفظ من معنى راجح إلى معنى مرجوح، ولكن هو في حقيقة الأمر تحريف؛ لأنهم يصرفون بدون أدلة وبدون قرائن فصار تحريفا، فإذا وجدت قرينة ودليل على صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح فعند ذلك يصير تفسيرًا، لكن هم في حقيقة الأمر حرفوا، وستأتي أمثلة إن شاء الله عند أن نشرع في شرح الصفات، **والمعنى الثاني:** ما يؤول إليه الأمر، فإن كان خبرا فيؤول إلى ظهوره وتحقق وجوده، تأويله وقوعه، وإن كان طلبًا تأويله امتثاله، **والثالث:** بمعنى التفسير.

قوله: ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أَمَّلُوهُ، وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ** ﴾ [آل عمران:٧].

فهذا يدل على أنهم ابتغوا أمرًا لا يمكنهم الوصول إليه، هذا يرجح أن الوقف تام على قوله إلا الله؛ لأنه ذمهم على أنهم ابتغوا تأويله، ولو كان مما يُعلم ويُعقل فما يذم على ابتغائه، فلو كان معلوم المعنى عند بعض الناس ما يُذمون على ابتغاء

تأويله، ولكن هذه أمور يعلمها الله وأحسن ما يحمل عليه ان الوقف تام على قوله: ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٧]، وأن هذا الأمر الذي ذُموا على ابتغاء تأويله هو أمور ما يعلمها إلا الله مما اختص الله بعلمه من كيفية صفاته وكيفية أمور الآخرة وكيفية أمور لم يظهر الله لنا منها إلا ما علِمناه في كتابه فالاطلاع على أكثر من ذلك مما كتمه الله على عباده مما يذمون عليه، ويدخل في الذم من باب أولى من حرف الأمور الظاهرة عند العلماء وحرفها عند الناس فهذا أيضًا مذموم من باب أولى، الذين يحرفون أدلة ظاهرة المعنى عند أهل العلم ولكنهم يلبسون على الناس ويظهرونها على غير معانيها ويبلسون الحق بالباطل فهم داخلين في هذا الذم من باب أولى، إذا كان الله جل وعلا ذم على الأمر الذي لا يعلمه إلا الله فذمهم على تحريف المعاني في أمور وآيات معلومة المعنى عند أهل العلم أيضًا يذمون عليها من باب أولى.

تقدم معنا ترجيح ان الوقف تام على قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٧]، ثم استئناف قوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧]، هناك كلام للشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميل في تفسيره عند الآية المذكورة من سورة آل عمران، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الْوَاوَ مُحْتَمِلَةٌ لِلِاسْتِئْنَافِ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ يَقُولُونَ، وَعَلَيْهِ فَالْمُتَشَابِهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَالْوَقْفُ عَلَى هَذَا تَامٌّ عَلَى لَفْظَةِ الْجَلَالَةِ وَمُحْتَمَلَةٌ لِأَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: وَالرَّاسِخُونَ مَعْطُوفًا عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَعَلَيْهِ فَالْمُتَشَابِهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أيضًا، وَفِي الْآيَةِ إِشَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ اسْتِئْنَافِيَّةٌ لَا عَاطِفَةٌ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ –هو نفسه صاحب اللمعة– فِي رَوْضَةِ النَّاظِرِ مَا نَصُّهُ: وَلِأَنَّ فِي الْآيَةِ قَرَائِنَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُتَفَرِّدٌ بِعِلْمِ الْمُتَشَابِهِ، وَأَنَّ الْوَقْفَ الصَّحِيحَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفْظًا وَمَعْنًى، أَمَّا اللَّفْظُ فَلِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ عَطْفَ الرَّاسِخِينَ لَقَالَ: وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ بِالْوَاوِ، أَمَّا الْمَعْنَى فَلِأَنَّهُ ذَمُّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لِلرَّاسِخِينَ مَعْلُومًا لَكَانَ مُبْتَغِيهِ مَمْدُوحًا لَا مَذْمُومًا ؛ وَلِأَنَّ قَوْلَهُمْ آمَنَّا بِهِ يَدُلُّ عَلَى نَوْعِ تَفْوِيضٍ وَتَسْلِيمٍ لِشَيْءٍ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ سِيَّمَا إِذَا تَبِعُوهُ بِقَوْلِهِمْ: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فَذِكْرُهُمْ رَبَّهُمْ هَاهُنَا يُعْطِي الثِّقَةَ بِهِ وَالتَّسْلِيمَ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّهُ صَدَرَ مِنْ عِنْدِهِ، كَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ الْمُحْكَمُ ؛ وَلِأَنَّ لَفْظَةَ أَمَّا لِتَفْصِيلِ الْجُمَلِ فَذِكْرُهُ لَهَا فِي الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ مَعَ وَصْفِهِ إِيَّاهُمْ بِاتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ يَدُلُّ عَلَى قِسْمٍ آخَرَ يُخَالِفُهُمْ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، وَهُمُ الرَّاسِخُونَ. وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ لَمْ يُخَالِفُوا الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي ابْتِغَاءِ التَّأْوِيلِ، وَإِذْ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومِ التَّأْوِيلِ لِأَحَدٍ فَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْنَا. اهـ مِنْ «الرَّوْضَةِ» بِلَفْظِهِ.

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ أَنَّ الْوَاوَ اسْتِئْنَافِيَّةٌ لَا عَاطِفَةٌ، دَلَالَةُ الِاسْتِقْرَاءِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا نَفَى عَنِ الْخَلْقِ شَيْئًا وَأَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْإِثْبَاتِ شَرِيكٌ كَقَوْلِهِ: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَوْلِهِ: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وَقَوْلِهِ: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، فَالْمُطَابِقُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ كَمَا قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَقَالَ: لَوْ كَانَتِ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لِلنَّسَقِ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فَائِدَةٌ: وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْوَقْفَ تَامٌّ عَلَى قَوْلِهِ: إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: وَالرَّاسِخُونَ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لِلْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا.

وَمِمَّنْ قَالَ بِذَلِكَ عُمَرُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَائِشَةُ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، نَقَلَهُ عَنْهُمُ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ، وَنَقَلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَشْهَبَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْكِسَائِيِّ وَالْأَخْفَشِ وَالْفَرَّاءِ وَأَبِي عُبَيْدٍ.

وَقَالَ أَبُو نَهِيكٍ الْأَسَدِيُّ: إِنَّكُمْ تَصِلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَإِنَّهَا مَقْطُوعَةٌ وَمَا انتهى عِلْمُ الرَّاسِخِينَ إِلَّا إِلَى قَوْلِهِمْ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْوَاوَ عَاطِفَةٌ مَرْوِيٌّ أيضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالرَّبِيعُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَغَيْرُهُمْ، وَمِمَّنِ انْتَصَرَ لِهَذَا الْقَوْلِ وَأَطَالَ فِيهِ ابْنُ فُورَكٍ.

وَاحْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْوَاوَ عَاطِفَةٌ بِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَدَحَهُمْ بِالرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ فَكَيْفَ يَمْدَحُهُمْ بِذَلِكَ وَهُمْ جُهَّالٌ.

وهذا باطل؛ لأنه عندهم علم ولكن ما خفي عليهم فوضوه إلى الله.

قال الشنقيطي: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو: هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ فَإِنَّ تَسْمِيَتَهُمْ رَاسِخِينَ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَكْثَرَ مِنَ الْمُحْكَمِ الَّذِي يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ جَمِيعُ مَنْ يَفْهَمُ كَلَامَ الْعَرَبِ، قَالَ مُقَيِّدُهُ -الشنقيطي نفسه- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: يُجَابُ عَنْ كَلَامِ شَيْخِ الْقُرْطُبِيِّ الْمَذْكُورِ بِأَنَّ رُسُوخَهُمْ فِي الْعِلْمِ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَنْتَهُونَ حَيْثُ انتهى عِلْمُهُمْ وَيَقُولُونَ فِيمَا لَمْ يَقِفُوا عَلَى عِلْمِ حَقِيقَتِهِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا بِخِلَافِ غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ. انتهى كلام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم بعض أهل العلم جمعوا بين القولين فقالوا الواو العاطفة تحمل على التفسير، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧]، تأويله أي تفسيره، تفسير بعض المتشابه الذي يشتبه على كثير من الناس، فجعلوه بمعنى التفسير وأثبتوا العطف مع أن سياق الآية كما علمتَ يرجح أنه غير عاطفة، وقالوا الاستئناف محمول على أن المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه من حقيقة بعض الأمور من الصفات وأمور الآخرة وما أشبه ذلك، حقيقة ما يؤول إليه الأمر وذلك لا يعلمه إلا الله.

* * *

كلام أئمة السلف في الصفات

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٣- قَالَ اَلْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اَلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اَللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا».

و «إِنَّ اَللَّهَ يُرَى فِي اَلْقِيَامَةِ»، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى، وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ اَلرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ.

وَلَا نَصِفُ اَللَّهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ اَلْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهُ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِه، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ [شُنِّعَتْ]، وَلَا نَتَعَدَّى اَلْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ اَلرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ اَلْقُرْآنِ.

الشرح:

قوله: «إِنَّ اَللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا».

الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة وفي مسلم عن أبي سعيد وجاء عن جمع من الصحابة، ينزل حين يبقى الثلث الآخر، وسيأتي معنا التعرض لصفة النزول بعدُ إنما هنا إشارة إلى كلام الإمام أحمد.

قوله: لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى.

أي: لا نتعرض للكيفية ولا للمعاني المحدثة، المقصود ولا معنى أي لا نأتي بمعاني يخالف ظاهرها كما يفعله المعطلة ويحرِّفون ويأتون بمعاني أخرى، فمقصود الإمام أحمد أي على ذلك، وقد جاء عنه نصوص كثيرة تبين ذلك، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمروها كما جاءت، مقصده اثبات المعاني المفهومة من ظاهر السياق وقد ذكر شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله كلام الإمام أحمد وبينوا معناه ونقلوا عنه من اثبات الصفات ومعانيها الشيء الكثير.

قوله: وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ اَلرَّسُولُ حَقٌّ.

إذا كانت بأسانيد صحاح.

قوله: وَلَا نَصِفُ اَللَّهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.

طريقة أهل السنة أن يصفوا الله بما وصف به نفسه فلا يتجاوزون ولا يصفونه بما لم يصف به نفسه، وهكذا يسمونه بما سمى به نفسه، سواء في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ ، في الأحاديث الصحيحة.

فماذا عن بعض المعاني التي هي ثابتة بالمعنى ولم تطلق صفة على الله جل وعلا فهل يطلق على الله تعالى فيها، مثل شيء، هل أطلق على الله شيء وما الدليل؟

نعم؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام:١٩]، وأيضًا شخص، «وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ

الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ»، وفي رواية: «**لَا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»، يطلق عليه شيء وشخص، هذه ليست صفات وإنما يسميها العلماء إخبار عن الله عز وجل بما ثبت معناه ولا نقص فيه، المعنى ثابت من أدلة الكتاب والسنة ولم تذكر على سبيل التسمية ولا على سبيل الوصف يمسه العلماء من باب الإخبار، على سبيل الخبر.

قوله: وَلَا نَصِفُ اَللَّهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ.

ما يتعلق بكلمة الحد: كلمة مجملة، تركها أولى، فإن الحد قد يطلق بمعنى صحيحي وقد يطلق بمعنى باطل، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مستو على عرشه بائن من خلقه، فإذا أطلق الحد وأريد أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا اختلاط له بخلقه فهو معنى حق، وإذا أريد ان الله صفاته تحدد بمقدار معلوم فلا أحد يستطيع أن يبلغ تحديد وصف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهذا يكون مقارب لمعنى التكييف، وكذلك قوله: ولا غاية أيضًا ألفاظ مجملة، فلا يجوز للمسلم أن يخوض في تحديد الصفات وبيان مقاديرها وبيان منتهاها أو غاياتها أو حدودها هذا كلام باطل، فمن أطلق الحد من أهل السنة فمرادهم أن صفات الله جل وعلا منفصلة عن الخلق ثابتة لله جل وعلا صفات تليق بجلاله، وأيضًا فُهِمَ من كلام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الرد على المريسي أنه أيضًا يريدون بإثبات الحد أن لله صفات لها كيفية معلومة لا نعلمها أنها تثبت بكيفيات لا نعلمها، فليس من موجود إلا وله كيفية فأراد بإثبات لحد أن صفات الله جل وعلا لها كيفية معلومة فيكون هذا هو مرادهم بإثبات الحد أي أن له صفات معلومة قائمة بذات الله جل وعلا تليق بجلاله منفصلٌ جل وعلا عن خلقه، وهكذا أيضًا علوه جل وعلا علو حقيقي لا يخالط خلقه جل وعلا

بائن منهم، وهكذا الغاية بنفس المعنى، هناك مقال للإمام أحمد أن ما تقدم في كلامه إنما قصد الإدراك، قال في عبارة نقلها عن الإمام أحمد: لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية، أي أنه يُرى يوم القيامة ولكن لا يحيطون بإدراكه، هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، **ما الجمع بين الآية وبين ما هو معلوم من أن المؤمنين يرون ربهم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾** [القيامة:٢٢-٢٣]، **فما معنى قوله: لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ؟**

لا يحيطون به، رؤية بدون إدراك، بدون إحاطة، كما قال الله عز وجل: ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [طه:١١٠]، وانظروا كيف احتوى على معنى حق ومعنى باطل، فالذي ينبغي تجنب العبارات المجملة، ولكن هذا بيانها، إذا وقع في كلام الأئمة فهذا بيان ما وقع في كلامهم.

قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ.

تقدم معنا أنه لا يثبت لله من الأسماء والصفات إلا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فليس للعقل مجال في أسماء الله جل وعلا وصفاته، فماذا يجاب عما يوجد في كلام الأئمة من نسبته إلى الله جل وعلا ولا يوجد وصفه بذلك ويكون معناه ثابتا في الكتاب والسنة.

ماذا يسمي العلماء هذا إذا نسبوا إليه ما لا يثبت وإنما ثبت معناه؟

يسمونه إخبار عن الله عز وجل بما ثبت معناه وكان معنى حسنًا ليس فيه قبح ولا نقص، فلا يخبر عن الله إلا بما ثبت وصفه ومعناه وليس فيه قبح.

قوله: وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ اَلْوَاصِفِينَ.

ما أحد يقدر من الخلق جميعًا أن يثني على الله بما يستحقه من الأوصاف، قال رسولَ الله -ﷺ-: «**لا أُحصِي ثَنَاءَ عليكَ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ**»، وفي دعاء الكرب: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي**»، رواه أحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فلا أحد يبلغ وصف الله الذي يستحقه، ولكن إذا اعترف الإنسان بعجزه عن ذلك فهذا من الثناء على ربه، كما قال ﷺ : «**لا أُحصِي ثَنَاءَ عليكَ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ**»، فالإنسان يثني على ربه بما قدر من الثناء ويعترف أيضًا بعدم القدر على الثناء على الله بما يستحقه، وما أحسن كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته على الرسالة –موضوعه أصول الفقه واللغة العربية وكلام طيب فيه– قال: (**والحمد لله الذي لا يُؤدى شُكر نعمة من نِعَمِهِ؛ إلا بنعمة منه توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثةً، يجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كُنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه**).

عبارة مختصرة كاملة انه ما يستطيع أحد من الخلق أن يوفي الله ما يستحق كما وصف نفسه، ولا يفهم من قوله: **وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ اَلْوَاصِفِينَ**، أن الإنسان يوصف الله بما يريد إنما لا يبلغ وصف الواصفين إذا أثنوا عليه ما بلغوا ما يستحقه جل وعلا مما جاء من الصفات في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ، أما أن يأتي إنسان ويتعدى ويذكر صفات من قبل نفسه فهذا لا يجوز محرم، ولذلك الصفات والأسماء التي لا قبح فيها إذا لم ترد في الكتاب والسنة لا تنفيها بالجزم إنما تقول ما نعلمها إذا لم ترد في الأدلة، لأن هناك أسماء وصفات لا

نعلمها: «أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، إلا أن يكون الوصف فيه نقص أو ليس من الأسماء الحسنى لاحتماله معنى فيه نقص فإن الأسماء الحسنى لا تحتمل نقصًا بوجه من الوجوه، فعند ذلك تستطيع أن تنفي بالجزم، تقدم معنا التنبيه إن بعض الأسماء ليست من الحسنى لاحتمالها معاني ليست حسنى فهذا قد يُجزم يُقال ليس من الأسماء الحسنى.

قوله: نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهُ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِه.

ما المراد بالمحكم والمتشابه في هذا الكلام؟

المحكم المعروف المعنى، والمتشابه اختلفوا فيه على قولين؛ من العلماء من قال هو الذي لا يعلمه إلا الله، وهذا هو الذي يقتضيه سياق الآيات في سورة آل عمران، فطريقة أهل العلم في هذا المتشابه يقولون آمنا به كل من عند ربنا ولا يردون الآيات ولا يخوضون في المتشابه بل يكتفون بالمحكم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد جعل في المحكم ما يكفي العباد: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١]، هذا على تفسير إنه لا يعلمه إلا الله، والتفسير الثاني للمتشابه: ما يعلمه الراسخون في العلم، يعني يجهله كثير من الناس ويعلمه الراسخون في العلم، فهذا يجب على الناس أن يسألوا العلماء: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧]، ولا يجوز لهم أن يخضوا بما لم يعقلوا معناه ولا أن يستمعوا إلى أهل الزيغ الذين ينشرون بين الناس المتشابه ويشبهوا عليهم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ.

أي لا ننفي عن الله صفة أثبتها لنفسه بسبب تشنيع المبتدعة بأن يطلقوا الألفاظ الباطلة يقولون إذا أثبتم جسمتم أي أن لله جسم، أو جعلتم الله مركبًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متصف بصفاته التي لا تنفك عنه، فما أكثر تشنيعات المبتدعة في هذه الأمور، ولا يلزم من ذلك ما يصورنه للناس من هذه الشناعات، فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفات لله جل وعلا تليق بجلاله لا تنفك عن الله ولا تُتصور أنها كالصفات في حق الإنسان فالإنسان قد تنفصل يده، يأتون بمثل هذه الألفاظ التي قد توهم معاني باطلة، أننا إذا أثبتنا الصفات فيقتضي الله مثل البشر أعضاء مركبة ويسمونها جوارح وما أشبه ذلك، هذه ألفاظ باطلة، فنثبت صفات الله جل وعلا ولا نسميها بهذه الأسماء الباطلة ولا نقول العضو ولا الجارحة ولا يلزم من إثباتنا لصفات الله جل وعلا أن لا يطلق عليها هذه الإطلاقات ولكن المبتدعة يشوهون الحق بألقاب رديئة حتى يشنعوا الناس على أهل الحق، فصفات الله لا تماثل صفات المخلوقين ولا تقتضي تجسيمًا ولا تركيبًا ولا شيئًا من ذلك من هذه الأمور الخاصة بالخلق، على أن لفظ الجسم إن أريد به الذات فنحن لا ننفي أن لله ذات ولكن إن أريد به أنه متركب من أعضاء فهذا لا يثبته أهل السنة، ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبيات طيبة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصواعق المرسلة" (ج٣ ص٩٤٠): ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسمًا مشبهًا:

فإن كان تجسيمًا ثبوت استوائه ... على عرشه إني إذا لمجسم
وإن كان تشبيها ثبوت صفاته ... فمن ذلك التشبيه لا أتكتم
وإن كان تنزيها جحود استوائه ... وأوصافه أو كونه يتكلم
فعن ذلك التنزيه نزهت ربنا ... بتوفيقه والله أعلى وأعلم

أبيات طيبة، إذًا لا نبالي بتشنيعات المبتدعة فلهم تشنيعات كثيرة، يقولون إذا أثبتَ لله اليد معناه إنك أثبتَ له الجارحة، ومعنى الجارحة في اللغة العربية أنها تتكسر، أي أن الله يحتاج إلى تكسر، وهذا باطل، والله لا يحتاج إلى شيء: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر:١٥]، فانظروا كيف اطلقوا عليها لفظًا يجعل الناس ينفرون، يقول كيف سأثبت لله الجارحة! فيأتون بألفاظ يشنعون على أهل الحق فيها، إذا أثبتَ لله الوجه أو اليد أثبتَ أنه مركب من أجزاء، تعالى الله عن قولهم علوا عظيمًا: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١].

قوله: وَلَا نَتَعَدَّى اَلْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.

أي: لا تثبت الصفات إلا من القرآن والسنة ولا مجال للعقل في صفات الله، أي انفراد الله، أما أن العقل الصحيح الصريح قد يدل على بعض الصفات فنعم، ولا يمكن إله يعبد وهو ميت يعني لابد من صفة الحياة، إذن العقل يدل على صفة الحياة لله والله عز وجل قد أثبتها في كتابه، وهكذا أيضًا لا يمكن أن يوجد إله يُعبد وهو جاهل، إذن من صفات الله العلم، وهكذا، العقل الصحيح الصريح قد

يدل على بعض الصفات ولكن لا ينفرد العقل بإثبات صفة لم تأتي في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ إثباتها.

قوله: وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ [كُنْهُ][1] ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ اَلرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ اَلْقُرْآنِ.

أي لا نعلم كيفية الصفات وإنما علينا الاستسلام لما جاء في الكتاب والسنة والتصديق بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا نتجاوز ما جاء في الكتاب والسنة بإثبات الكيفيات والتعدي في ذلك، فهذا كلام طيب للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا عليه سلف الأمة كلهم على هذا.

كلام الإمام الشافعي رحمه الله في الصفات

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٤ - قَالَ اَلْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ اَلشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (آمَنْتُ بِاَللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ اَللَّهِ عَلَى مُرَادِ اَللَّهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اَللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ).

الشرح:

هذا كلام طيب، وليس فيه انه يفوض المعاني، إنما اراد بهذا تفويض الكيفية على ما أراده الله، وهذه كلمة عظيمة، ولعله ذكرها بالمعنى، فقد ذُكرت بمعناها في كتاب "اعتقاد الإمام الشافعي"، وذكرها المصنف ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "ذم التأويل"، هكذا الأئمة يأتون بمثل هذه الألفاظ المباركة التي هي مأخوذة من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ﷺ، نحن في تدريس هذا الكتاب ما نحب أن نكثر من

---

[1] ما بين المعكوفين زيادة من نسخة أخرى.

النقول وأن نأتي بقول فلان وفلان من الأئمة، إخواننا يهتمون بما ذُكرَ في الكتاب نفسه، فاحفظوا هذه الآثار الطيبة، أثر الإمام أحمد الذي قبله، وهكذا أيضًا أثر الإمام الشافعي، ويأتي معنا أيضًا أقوال عن الإمام مالك وعن غيره، وبقية الأقوال تمر عليكم في كتب أخرى إن شاء الله.

منهج السلف والخلف في الصفات

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٥ - وَعَلَى هَذَا دَرَجَ اَلسَّلَفُ، وَأَئِمَّةُ اَلْخَلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى اَلْإِقْرَارِ، وَالْإِمْرَارِ، وَالْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنْ اَلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اَللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ.

الشرح:

وفي هذه العبارة رد على من نسب إليه التفويض، فالمفوضة لا يثبتون الصفات، يقولون لا نصف الله بهذه الصفة، فماذا تقولون في الآية؟ يقولون: الله أعلم بمعناها، فيُحمل قوله المتقدم على انه اراد نفي المعاني المُحدثة، كما هو أيضًا قول الإمام أحمد في قوله: بلا كيف ولا معنى، أي نفي المعاني المُحدثة وإنما يُثبت المعنى الذي هو ظاهر الكلام، وهو معنى قول السلف أمروها كما جاءت، فكلمة: **وَالْإِثْبَاتِ**: هي الرد على المفوضة وهي التي تنفي عن المؤلف مذهب التفويض، أثبت الصفات وينقل عن السلف ان هذا هو مذهبهم وهو إثبات الصفات على ظاهرًا على ما جاء في كتاب الله، وأما الأشاعرة فينفون صفات الله جل وعلا ولا يثبتون إلا سبع صفات ثم يختلفون في الموقف من الأدلة فبعضهم يؤول وبعضهم يفوض، فإذا قيل: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤]، قال

بعضهم: اليدان بمعنى النعمة، وقال الآخرون: الله أعلم بمعناها تُمر كما جاءت، ولا يثبتون الصفات، وأما أهل السنة فيثبتون الصفات على ظاهرها ومعناها المتبادر إلى الذهن.

قوله: لِمَا وَرَدَ مِنْ اَلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اَللَّه، وَسُنَّةِ رَسُولِه، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ.

هذا يبين انه قصد تأويل غير المفهوم من الصفات، أي من غير تعرض لتأويلات مُحدثة، وإظهار معاني أخرى غير المتبادر منها إلى الذهن وغير المفهوم من سياقها.

❊ ❊ ❊

وجوب اتباع السنة وذكر كلام السلف في التحذير من الإحداث في الدين

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٦ - وَقَدْ أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ، وَالِاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ، وَحُذِّرْنَا اَلْمُحْدَثَات، وَأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنْ اَلضَّلَالَات، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ اَلْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ اَلْأُمُور، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

الشرح:

قوله: (وَقَدْ أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ).

أمرنا باقتفاء آثارهم، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

قوله: فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ اَلرَّاشِدِينَ» الحديث.

حديث من هذا؟ رواه أبو داود وأحمد عن العرباض بن سارية، ويستفاد من هذا الحديث ان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لا يأتون بشيء يخالف سنة النبي ﷺ

فيما اتفقوا فيه أو فيما أنفرد به أحدهم بدون مخالفة، قال النَّبِيَّ ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»، أخرجه أحمد عن حذيفة وهو حديث صحيح، ويستفاد من ذلك أن ما خالف منهج السلف فهو من البدع، وكل خير في ابتاع من سلف وكل شر في اتباع من خلف: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة:٣]، فمن جاء بشيء جديد فليس من دين الله، فهو من البدع، فدين الله قد كمل.

[بعض الآثار في وجوب اتباع السلف]

❁ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٧ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ).

٨ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلَامًا مَعْنَاهُ: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى، فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ).

الشرح:

أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له طرق وأسانيد بعضها صحيح، وقد أخرجه عدد من الأئمة منهم الإمام أحمد في "الزهد"، والإمام وكيع في "الزهد"، والإمام الدارمي في "مقدمته" وآخرون، وقول عمر بن عبدالعزيز.

قوله: قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا.

أي: ما خاضوا بـ بما، وبكيف، ولا يسألون عن أفعال الله لما فعل الله كذا: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، كفوًا عن الخوض في مسائل القدر والتعمق فيه، وكفوًا عن التحريفات لأدلة ونصوص الصفات، فمن أراد السلامة فليسلك سبيل الصحابة في هذا الباب، **قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا**، ما وقفوا عن جهل ما عندهم معرفة، وقفوا عن علم، وفي هذا رد على مقالة الأشاعرة الباطلة: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم، كلام باطل، مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم، وهي عبارة أيضًا متناقضة كما بين ذلك أهل العلم، فإنها إذا كانت أعلم وأحكم فلا شك أنها تكون هي الأسلم، ما يكون الأسلم إلا ما كان مع العلم والحكمة، قال: **فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا**، فلذلك يسعنا ما وسع السلف، ما وسع صحابة رسول الله ﷺ، ما قالوا ليس لله يد إنما المراد النعمة، ليس لله وجه وإنما أراد الذات وما أشبه ذلك، كلام باطل، فكما سلك السلف نسلك، أمرُّوها كما جاءت أي كما أن الصحابة أمورها كذلك فالخلف أيضًا والمتأخرون يسلكون نفس المسلك.

قوله: فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا.

أي ما وقفوا إلا عن علم وما كفوا إلا مع بصيرة نافذة.

قوله: وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى.

أي لو كانت تحتاج إلى كشف كانوا هم أقوى إلى كشفها وبيان معانيها.

قوله: وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى.

لو كان في هذه التأويلات فضل أو في الخوض فيما أُمرنا بعدم الخوض فيه لو كان في ذلك فضل لكانوا سابقين إلى ذلك.

قوله: (وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ).

ما أحسن هذا الكلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أخرجه أبو نعيم في "الحيلة"، وفي سنده ضعف ولكن له طريقان وقد يتقوى بالطريقين، وأخرجه ابن بطة في الإبانة وابن وضاح في النهي عن البدع بأسانيد وطرق متكاثرة بعض طرقها صحيح، والذين يحبون كثيرة الحواشي ننصحهم بحفظ هذه الآثار الطيبة فكلها آثار صحيحة، خير لهم من كثرة الحواشي، لو خرجتَ من الكتاب بحفظ مثل هذه الآثار الطيبة استفدتَ، قول ابن مسعود وقول عمر بن عبدالعزيز، كلام جميل، وفي الشريعة للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند صحيح قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: **فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ.**

ما شاء الله! يخرج الكلام من مشكاة واحدة، قلوب أهل العلم التي امتلأت بنصوص الوحيين وبهدي السلف كلام واحد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٩ - وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ).

الشرح:

وهذا من أجمل الآثار، وهو أثر صحيح، أخرجه الآجري في "الشريعة"، والخطيب في "شرف أهل الحديث"، وسنده صحيح.

قوله: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ.

الزم سبيل سلفك الصالح، نحو المقالة الأولى التي تذاكرناها عنه.

قوله: وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ.

فشيء يخالف الكتاب والسنة ليس عليه أدلة ليس عليه آثار السلف يبتعد الإنسان عنه وإن أتوا له بالزخرفة ونمقوا له الكلام، فمن أراد أن يعصمه الله من الأهواء والضلالات والآراء فليلزم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على سبيل السلف الصالح فإنه يسعك ما وسعهم: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وكم من أناس أتوا بأشياء في بداية أمرها يسيرة وليست من السنة ولا هي من منهج السلف فإذا بهم بعد أيام تكثر عليهم المخالفات وتكبر حتى تستدرج بهم إلى بدع أكثر، نعوذ بالله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٠ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَذْرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟ قَالَ: لَمْ يَعْلَمُوهَا. قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هَؤُلَاءِ عَلِمْتَهُ أَنْتَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَقُولُ قَدْ عَلِمُوهَا. قَالَ: أَفَوَسِعَهُمْ أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يَسَعْهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَسِعَهُمْ، قَالَ: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ، لَا يَسَعُكَ أَنْتَ؟ فَانْقَطَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ -وَكَانَ حَاضِرًا-: لَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَهُمْ.

الشرح:

قوله: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَذْرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا.

هذا الرجل هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي كما في "**تاريخ بغداد**" (ج١٠ ص٧٥وما بعدها)، ناظر ابن أبي دواد بحضرة الواثق، ما شاء الله سؤال مهم ومفحم، أي إذا كانوا كلهم لم يعلموا هذا الأمر أتيتَ أنتَ وعلمته فهذا كافي في إبطال بدعته، فرجع الرجل.

وقوله: بَلَى وَسِعَهُمْ.

قد جاء نحو هذه القصة عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المناظرات، وهذه القصة ذكرها الذهبي في ["السير" (ج١١ ص٣١٢ وما بعدها)]، وهناك قصة للإمام أحمد وهو يناظر بأن أبي دواد قال نحو هذه العبارات مذكورة أيضًا في سير أعلام النبلاء في ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى أن الخليفة جعل يذم ابن أبي دواد يقول

له: شَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ النَّبِيُّ -ﷺ- وَلاَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَلاَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُوْنَ، عَلِمْتَه أَنْتَ! سُبْحَانَ اللهِ! شَيْءٌ عَلِمُوهُ، وَلَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ، أَفَلاَ وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُم؟! قال: وَسقَطَ مِنْ عينِهِ ابْنُ أَبِي دُوَادَ، وَلَمْ يَمتحِنْ بَعْدَهَا أَحَدًا.

هذه من الحجج القاطعة للمبتدعة في بدع كثيرة، هذه من الردود الإجمالية، والردود الإجمالية مهمة لطالب العلم وللسني أن يكون عنده الرد الإجمالي في أي بدعة يكون متجهزًا؛ لأنه قد لا يستحضر الردود التفصيلية على البدعة حتى يقرأ في كلام أهل العلم عليها وحتى أيضًا يتعقل الكلام فقرة فقرة وينظر مخالفات الكلمات بأدلة الكتاب والسنة، فليكن السني عنده هذا الرد الإجمالي وهو مذهب السلف، هل قال بقولك هذا أحد من السلف، من قال بقولك، ومن فهم بفهمك هذه المقالة أو هذه البدعة التي تدعو إليها، هل دعا إليها نبينا ﷺ، هل دعا إليها أحد الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة رضوان الله عليهم، فإنه ينقطع، كل مبتدع أتى بشيء ما سُبق إليه، ما سُبق إليه لا من الصحابة ولا من الخلفاء الراشدين، فهذا يكون قاطعًا له، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء:١١٥]، ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة:١٠٠]، فهذا الرد الإجمالي يريحك في كثير من البدع والمسائل ويقطع الخصم بإذن الله عز وجل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١١ - وَهَكَذَا مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَقِرَاءَةِ أَخْبَارِهَا، وَإِمْرَارِهَا كَمَا جَاءَتْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

الشرح:

وهذه العبارة ان آيات الصفات تُقر وتُمر كما جاءت قد قالها عدد من الأئمة منهم: الإمام مالك والإمام الأوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد، وأوردها شيخ الإسلام عن جمع من الأئمة، وقبلهم أيضًا عن جمع من التابعين عن الزهري ومكحول وآخرين.

* * *

ذكر بعض آيات الصفات

[إثبات صفة الوجه لله تعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٢ - فَمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن:٢٧].

الشرح:

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، هذه من آيات الصفات، وجزم ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع أن هذه من آيات الصفات فيه رد على من نسب إليه التفويض، فمعناه أنه يثبت صفة الوجه لله جل وعلا فقد سماها صفة.

قوله: مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ.

أما أولئك المفوضة فيقولون ليس لله وجه، يقولون الله أعلم بمعانها، ففرق كبير بين مذهب ابن قدامة ومذهب المفوضة، فقد جزم بأن هذه الآية **مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ،** أي: من آيات إثبات الصفات لله جل وعلا، وفي هذه الآية إثبات صفة الوجه لربنا الكريم جل وعلا كما يليق بجلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ومن الأدلة الأخرى في إثبات صفة الوجه لله جل وعلا، **أولًا من كتاب الله جل وعلا:** قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ [الليل:٢٠]، ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ [الإنسان:٩]، ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾

[الأنعام:٥٢]، ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨]، ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم:٣٨]، ﴿ وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٥]، ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد:٢٢]، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، تفسيرها النظر إلى وجه الله.

ومن السنة: حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، وحديث أبي هريرة، وأبي سعيد في الصحيحين بنحوه، وحديث: «**أعوذُباللهِ العظيمِ، وبوجهِهِ الكريم، وسُلطانِه القديم، من الشَّيطانِ الرَّجيم**»، من أدعية دخول المسجد، وحديث: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**»، متفق عليه عن سعد، وحديث صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»، **ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾** [يونس:٢٦]، ففسر النبي ﷺ الآية بالنظر إلى وجه الله، وحديث أَبِي مُوسَى في الصحيحين قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «**النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انتهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»، وحديث الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ، عند الترمذي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ**»، وحديث: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**»، وحديث: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي**

الجَنَّةِ»، وحديث: «أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»، مثل هذه الأدلة حرَّفها المبتدعة، كيف يستطيعون ان يردوا هذه الأدلة كلها؟!!

فالأدلة كثيرة جدا، وأهل السنة والجماعة يقولون نثبت لله صفة الوجه تليق بجلاله ليس كصفات المخلوقين، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، أثبت الله لنفسه ذلك فنثبت ما أثبته الله لنفسه، بدون تحريف ولا تعطيل، ولا يقتضي ذلك تشبيها ولا تجسيما ولا تركيبًا ولا تبعيضًا ولا شيء من هذه الأقوال الباطلة، حرَّف المبتدعة صفة الوجه، قال بعضهم: المراد به الذات: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن:٢٧]، أي: يبقى ذات ربك، تحريف للكلم عن ظاهره، لا يطلق الوجه ويراد به الذات إلا في حق من له وجه، مثل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨]، أما قول من قال من المبتدعة ان الوجه زيادة المراد ويبقى ربك، فهذا كلام باطل.

ثم أيضًا قد وصف الوجه بقوله: ﴿ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، دل على انه وجه حقيقي لأنه وصف: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، لو كان قوله: ﴿ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]، صفة لربك لقال ذي الجلال والإكرام، كما قال في آخر سورة الرحمن: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨]، وصفه بالجر، ولكن القوم مبتدعة وأصولهم أعاجم، ما يفهمون اللغة العربية، وأيضًا وصف بأن له نور: «لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انتهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، والسبحات هي نور الوجه.

وأيضًا وصف الوجه بالإبصار أيضًا، دل على أنه وجه حقيقي يليق بالله جل وعلا الله أعلم بكيفيته، ولذلك أقرَّ بعض الأشاعرة ببعض الصفات التي وردت في القرآن كالوجه واليدين، كالبيهقي وابن فورك، ثم لجأوا إلى ان يقولوا بعض الصفات الخبرية التي جاءت في القرآن لا ننكرها، ومما يدل على انه وجه حقيقي ان النبي ﷺ استعاذ بالوجه: «**أعوذُ باللهِ العظيمِ، وبوجهِهِ الكريم، وسُلطانِهِ القديم، من الشَّيطانِ الرَّجيم**»، ولا يجوز الإستعاذة بمخلوق، لو كان المراد بالوجه هو الثواب والنعيم من الله للمؤمنين كما قاله بعض المبتدعة من الأشاعرة وغيرهم، هذا تفسير بمخلوق فكيف استعاذ النبي ﷺ بمخلوق، وأيضًا لمَّا نَزَلَتْ: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ** ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ: «**هَذِهِ أَهْوَنُ أَو أَيْسَرُ**»، رواه البخاري عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فهذا أمر واضح ولكن المبتدعة حرَّفوا الأدلة الشرعية، ولا يمنع أن يكون في بعض الآيات المراد به ابتغاء الأجر والمثوبة من الله: ﴿ **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى** ﴾ [الليل:٢٠]، ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ** ﴾ [الإنسان:٩]، أي: ابتغاء ثواب الله جل وعلا لكن مع إثبات صفة الوجه فيكون المراد الإخلاص لله جل وعلا ابتغاء الأجر والمثوبة، ولكن مع اثبات صفة الوجه، ولا يطلق ذلك إلا مع اثبات صفة الوجه، وأما ان تنفى الصفة ويقال المراد الثواب، فهذه طريقة باطلة، طريقة المبتدعة، أهل السنة يثبتون الوجه ويثبتون أيضًا ان المراد ابتغاء الأجر والمثوبة من الله مع اثبات الصفة، وهكذا: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ**

اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»، كذلك نثبت صفة الوجه ونثبت المعنى من سياق الدليل أنه أراد ابتغاء الأجر والمثوبة مخلصًا لله سبحانه، الآية التي فيها: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥]، الصحيح فيها إنها من آيات الصفات على ظاهرها وهو اختيار كثير من السلف واختاره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه وجد لبعض السلف من فسرها بالجهة، أي أنها جهة شرعية للصلاة، وليس هذا التفسير لبعض السلف إلا في هذه الآية كمجاهد والشافعي رحمة الله عليهم، فليس هذا من باب التحريف؛ لأنه لم يظف الوجه إلى الله في هذه الآية فقط لأنه في سياق القبلة: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥]، أي: فتلك قبلة صحيحة وأنت متوجه إلى ربك جل وعلا في صلاة النافلة في السفر، بطريقة شرعية.

[إثبات صفة اليدين لله تعالى]

❁ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤].

الشرح:

فيه اثبات صفة اليدين لله جل وعلا، يليقان بجلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ولا يماثل صفات المخلوقين، ومن أدلة إثبات صفات اليدين: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:٧٣، وانظر الحديد:٢٩]، ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك:١]، ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦]، ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٨]، ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [يس:٧١]، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]، فصفة اليدين ثابتة لله جل وعلا يليقان بجلاله، ومن السنة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، أخرجه مسلم، وحديث: أَبِي مُوسَى في مسلم عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، وحديث: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»، وحديث: «يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»، وحديث: «يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، متفق عليه عن أبي هريرة، وحديث: «أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ»، إثبات صفة الأصابع لله جل وعلا كما تليق بجلاله، في أحاديث الشفاعة المتكاثرة يقولون لآدم: «يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ»، أحاديث كثيرة يقول فيها النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»، وحديث: «لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ»، أدلة كثيرة تدل على إنهما يدان حقيقيتان يتصف بهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله أعلم بكيفيتهما، ولا يلزم من اثبات هذه الصفة لله جل وعلا التشبيه، فإنما تفترضه الأذهان ويأتي على الأذهان والله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، هذه تخيلات والله منزه عن التشبيه والتمثيل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ولا يلزم من اثباتنا لهذه الصفة أنها جارحة كما يقوله المبتدعة، والجارحة في اللغة هي الكاسبة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام:٦٠]، أي: ما كسبتم، اطلقوا عليها جارحة لينفِّروا الناس عن اثباتها، وهذا في حق المخلوق أي تسميتها جارحة، ينتفع ويتكسب بيده، وأما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهي صفة من صفاته وهو غني عن خلقه ولا يحتاج إلى شيء، فهو الحي القيوم وهو الصمد وهو الغني: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر:١٥]، ولا يطلق عليها أيضًا عضو كما يُطلق على البشر حيث وان الإنسان قد ينقطع عضوه فهذا باطل، ولا يلزم منه تركيبا ولا تجسيما على المعنى الذي يريدونه من التشبيه بالمخلوق، يدان حقيقيتان، ومما يدل على أنهما يدان حقيقيتان انهما قد وصفتا بالقبض والبسط: ﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٥]، ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:٦٧]، ووصفتا بأن كلتاهما يمين، ففي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، هذا يدل على أنهما يدان حقيقيتان، والمسلم يستعيذ بالله مما يرد على الأذهان من التخيلات والتشبيه، هذا من الوسوسة، كما أننا نثبت لله جل وعلا ذاتًا لا تماثل ذوات المخلوقين فكذلك صفات الله ليست كصفات المخلوقين، وحرَّف المبتدعة هذه الصفة بتحريفات مختلفة، ففي بعض الآيات يقولون المراد بها النعمة، وفي بعضها يقولون المراد بها القوة، في هذه الآية يقولون: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]، أي: نعمه مبسوطة، وهذا باطل، أولًا: تحريف النص من الحقيقة إلى هذه الأقوال ليس عليه

دليل، ثانيًا: لم يقل هذا أحد من السلف بأن اليدين النعمة، ليس لهم سلف من الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح، ثالثا: استخدام اليد في بعض السياق يراد بها النعمة لا يأتي بالتثنية ،إنما يأتي بالجمع أو الإفراد، أما التثنية فلم يعهد في لغة العرب أن تأتي ويراد بها النعمة ،فتقول فلان له عليَّ يد أي إحسان، ما تقول له عليَّ يدان، أو تقول له عليَّ أيادي أي نِعَمْ وإحسانات، قَالَ عُرْوَةُ بن مسعود يوم الحديبية للنبي ﷺ: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، **فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ:** امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: **أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي** لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

فاليد إذا كانت بمعنى النعمة تكون بالإفراد أو الجمع، أيضًا أضاف الله اليد إليه ولا يطلق ذلك إلا لمن له يد حقيقية، فما تقول للريح عليَّ يد؛ لأنها ليست لها يد هي نفسها وإنما تقول للسلطان أو للملك أو لفلان عليَّ يد لأن له يد حقيقية، أما تقول للريح عليَّ يد هذا ما يُعهد في لغة العرب حتى إذا أريد بها المعنى الذي يسمى بالمجازي النعمة، فإنما يطلق على من له يد حقيقية أيضًا، وفي قوله تعالى: ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[ص:٧٥]، حاول المبتدعة أن يفسروها بالقوة فرد عليهم أهل السنة أن هذا أولًا خلاف منهج السلف لم يفسرها السلف بذلك، ثانيًا: أن المخلوقات كلها بخلوقة بعلم الله وقوته وقدرته فما الخصيصة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا كان المراد: ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[ص:٧٥]، أي: بقدرتي، إنما المراد أن الله خلقه بيديه الكريمتين مباشرة، باشر خلقه بيديه جل وعلا وصارت كرامة لآدم

عَلَيْهِ السَّلَامُ أن خلقه الله بيديه، تحريفات واضحة البطلان، ولو أنهم أثبتوا لله الصفة كما أثبتها لنفسه لاستراحوا من البدع والضلال، فلله يدان كما تليق بجلاله لا تماثل أيدي المخلوقين: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ولا نعلم كيفيتها، نثبتها لله دجل وعلا بدون تعطيل، ننزه الله جل وعلا عن المماثلة.

إشكال: في نصوص إثبات اليد لله جل وعلا فإن في بعضها الإفراد، وفي بعضها التثنية، وفي بعضها الجمع:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [يس:٧١]، فكم لله أيدي، وما الجمع بين الأدلة؟

لله يدان؛ لأنه قد ذكرهما بالتنصيص في هذه الآية: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، وفي قوله ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، فماذا عن آية الإفراد وآية الجمع: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك:١]، لا يفيد الإفراد لأنه مفرد مضاف والمفرد المضاف بيده لا يفيد الحصر، وإنما أفرده لإفراد الضمير، وفي قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [يس:٧١]، لما أضاف إلى ضمير الجمع ناسب أن يجمع المضاف أيضًا أيدينا، فالمناسبة في الجمع ن أجل ضمير الجمع وهو قوله نا، وكذلك الجمع المضاف أيضًا لا يفيد الجمع فقد يطلق عند إضافة إلى ضمير الجمع يطلق المثنى عليه بصيغة الجمع، كقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم:٤]، يعني عائشة وحفصة، جمعَ فدل على أن الجمع لا

ينافي التثنية مع أن جمع من أهل اللغة يقولون أن أقل الجمع اثنين، وأكثر أهل اللغة يفرِّقون بين المثنى والجمع، فلا إشكال بين الأدلة الشرعية.

[إثبات لله صفة النفس وهي ذاته سبحانه وتعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة:١١٦].

الشرح:

ونفس الله هي ذاته المقدسة، فليست النفس مجرد صفة كما يُشعر كلام المصنف، فإنه قال: **فمما جاء من آيات الصفات**، ثم ذكر هذه الآية، والصحيح ان النفس هي ذات الله جل وعلا المقدسة المتصفة بالصفات، فصفات الله جل وعلا متعلقة بذاته المقدسة، وذاته متصفة بصفات الكمال، وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ على أن جمهور أهل السنة والجماعة على أن النفس هي الذات، قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر أدلة في النفس: فَهَذِهِ الْمَوَاضِعُ الْمُرَادُ فِيهَا بِلَفْظِ النَّفْسِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ: اللَّهُ نَفْسُهُ الَّتِي هِيَ ذَاتُهُ الْمُتَّصِفَةُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا ذَاتًا مُنْفَكَّةً عَنْ الصِّفَاتِ وَلَا الْمُرَادُ بِهَا صِفَةً لِلذَّاتِ وَطَائِفَةٌ مِنْ النَّاسِ يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ كَمَا يَظُنُّ طَائِفَةٌ أَنَّهَا الذَّاتُ الْمُجَرَّدَةُ عَنْ الصِّفَاتِ وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ[٢].

وابن خزيمة أيضًا أوردها في أول "كتابه التوحيد" فقد قال في بداية كتابه: (فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا: ذكر نفسه)،

---

[٢] "مجموع الفتاوى" (ج٩ ص٢٩٢) وانظر (ج١٤ ص١٩٦).

ولكنه أيضًا في كلامه ما يدل على انه يرى ان النفس هي الذات لأنه قال في كلامه: (جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز أن يكون عدماً لا نفس له)، فقوله: وعز أن يكون عدماً لا نفس له، دل على انه قصد بالنفس الذات لقوله ان يكون عدما، وعلى هذا فالصحيح أن النفس هي الذات وليست مجرد صفة، ولكن يُطلق على ذات الله عز وجل نفس كما جاء في هذه الأدلة وغيرها، كما أطلق الله على نفسه ذلك، وأما إثبات الذات لله جل وعلا، إثبات النفس لله فأثبتها المبتدعة ما ينكرون ذلك، ومن انكر إن لله ذاتا أو نفسا تليق بجلاله فهو كافر لأنه يقتضي ان الله عدما، إذا لم يثبت وجوده فيقتضي عدمه، ولذلك ما تجرأ إلا الجهمية بأن ينفوا لنفس وهكذا أيضًا قال بعضهم لا نقول موجود ولا قول ليس بموجود، وهذه صفة العدم، ولذلك كفر العلماء الجهمية بهذه الأقوال.

فائدة: قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالله جل وعلا أثبت في آي من كتابه أن له نفساً، وكذلك قد بين على لسان نبيه أن له نفساً، وكفرت الجهمية بهذه الآي وهذه السنة، وزعم بعض جهلتهم: أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه، وزعم أن نفسه غيره -أي: زائدة- كما خلق غيره، وهذا لا يتوهمه ذو لب وعلم فضلاً عن أن يتكلم به.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحذر الله العباد نفسه، أفيحل لمسلم أن يقول: إن الله حذر العباد غيره؟ أو يتأول قوله لكليمه موسى: ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾ [طه:٤١]، إذا كان المقصود بالنفس الغير أو الخلق فهل يقال: واصطنعتك لغيري من المخلوقين؟

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه؛ نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون؛ لأنه ما لا صفة له، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا، الذي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبتدعة يبغضون ابن خزيمة بغضا شديدًا؛ لأن كتابه التوحيد في إثبات صفات الله جل وعلا جاء عليهم كالصواعق، ويبغضون شيخ الإسلام ابن تيمية أشد البغض؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاهد المبتدعة بجميع أصنافهم، ما ترك فرقة ضالة إلا وبين عوارها، حتى الفلاسفة ما تركهم ولا العقلانيين والمنطقيين كلهم بين عوراهم وبين شبهاتهم، فعليه رحمة الله، لا نعلم بعده مثله.

[إثبات صفة المجي والإتيان لله تعالى]

❁ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة:٢١٠].

الشرح:

في هاتين الآيتين إثبات صفة الإتيان والمجيء لله جل وعلا، وسياق الآيتين في إثبات صفة الإتيان والمجيء لله جل وعلا في يوم القيامة: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** ﴾

[البقرة:٢١٠]، فهذا المجي هو المجيء للفصل في القضاء بين الخلائق، أثبت الله عز وجل لنفسه هذه الصفة صفة المجيء وصفة الإتيان وهما بمعنى واحد، وحرَّف المبتدعة ذلك فقالوا: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]، أي جاء أمر ربك، وقال بعضهم أي وجاء ملك من ملائكة الله بأمر الله، **فما هو الرد على هذا التحريف؟**

أن الله قد فرق بين إتيانه، وإتيان ملائكته، وإتيان أمره، كما في أواخر سورة الأنعام: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ففرق الله بينها، فدل على أن إتيان الله جل وعلا يليق بجلاله، وليس هو كما فسروه بإتيان الملائكة أو إتيان أمر الله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ففرق بينها، فهذه هي القاصمة عليهم، وأيضًا هذا تحريف للأدلة عن ظاهرها فقد نسب الله إلى نفسه المجيء والإتيان، فمن ادعى أن المقصود جاء أمره أو جاء ملك من ملائكته فهذا تحريف للأدلة الشرعية بدون موجب، وما المانع من إثبات ما أثبته الله لنفسه كما يليق بجلاله لا يماثل صفات المخلوقين: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ثم أيضًا قد ذكر الله عز وجل أن الملائكة كانوا صفوف عند مجيء الله جل وعلا: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، فكيف يفسرونه بإتيان الملَك، يأتي الملَك والملائكة له صفًا صفًا هذا باطل، وصفة المجيء والإتيان من الصفات الفعلية، يفعلها الله متى شاء، وجاء في هذه الأدلة إثبات مجيئه وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء.

فإن صفات الله جل وعلا تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

ما المراد بالصفات الذاتية والصفات الفعلية؟

الصفات الذاتية التي هي صفات ملازمة للذات لا تنفك عن الله جل وعلا، والصفات الفعلية هي المتعلقة بمشيئته، يفعلها متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم الصفات الذاتية قسَّمها بعض أهل العلم إلى قسمين، ما هما القسمان؟

معنوية، وخبرية، معنوية أي انها معاني كالعلم والحكمة والعزة، وخبرية أي ما كان مسماه للناس أبعاض وأجزاء كاليد والقدم والوجه، قالوا تسمى خبرية لأنه ليس للعقل فيها مجال، وأما المعنوية قد يتعقلها العقل، والأفضل أن تسمى عينية أفضل من خبرية فإن الصفات كلها إنما تثبت بأدلة الكتاب والسنة، وهناك كلام لشيخ الإسلام سمى تلك الصفات عينية، صفات عينية، وصفات معنوية، **فالصفات المعنوية هي** التي ما تُرى بالعين كالعزة والعلم والحكمة، **والصفات العينية هي** التي تُرى بالعين فيما يتعلق بصفات المخلوقين كاليد والوجه وما أشبه ذلك، فتسميتها عينية أفضل من تسميتها خبرية لأن جميع صفات الله تُثبت بالأدلة الشرعية ليس للعقل فيها مجال، وإنما العقل الصريح لا ينافي أدلة الكتاب والسنة، كصفة الحياة لا يمكن ان يوجد إله وهو ميت، هذا لا يمكن، صفة الحياة أو العلم أو القدرة أو القوة وما أشبه ذلك، فالعقل الصريح نعم قد يتعقل أن الإله يكون متصفًا ببعض الصفات ولكن ليس معناه أن تُطلق هذه العبارة ويقال تلك يدل عليها العقل وتلك ما تثبت إلا بالنص، هذه العبارة لا تُطلق، ولكن يقال جميع صفات الله ما تثبت إلا بالأدلة الشرعية، ثم يقال والعقل الصريح الذي لم يُدنس قد يتعقل بعض صفات الله جل وعلا.

[إثبات صفة الرضا لله تعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة:١١٩].

الشرح:

فيه إثبات صفة الرضى لله جل وعلا تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]، ومن الأدلة الأخرى في إثبات صفة الرضا لله جل وعلا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨]، ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، جاءت: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ في آيات متعددة: [في المائدة١١٩، والمجادلة٢٢، والبينة٨]، وفي مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»، «**فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**»، في قصة الثلاثة، «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا**»، والأدلة كثيرة في إثبات صفة الرضى لله عز وجل وهي صفة فعلية متعلقة بمشيئة الله جل وعلا فيرضى عمن أراد أن يرضى عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متى شاء جل وعلا: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧، البروج:١٦]، وتقدم ما معنى صفة فعلية، ولا يلزم من إثبات هذه الصفة تمثيلها بصفة مخلوق فرضى المخلوق الذي يكون عن سكون قلب وراحة عن الشيء فهذا أمر متعلق بالمخلوق، وحرَّفَ المبتدعة هذه الصفة فمنهم من قال: المراد بـ ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ : أنه أراد به الخير كما هي طريقة الأشاعرة ومن شابههم، وقال المعتزلة: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

أي: الثواب، أي أعطاهم ثوابًا، ففسروا الرضا بشيء منفصل وهو الثواب، فكل هذا من تحريف الأدلة عن مواضعها، فنثبت لله صفة الرضا ولازمها أن الله يكرم من رضي عنه ويثيبه، هذه لوازم، ثم الأشاعرة الذين قالوا هي الإرادة فأنتم تثبتون صفة الإرادة، قالوا إرادة كما تليق بالله عز وجل ليس كإرادة المخلوق، فيقال لهم أيضًا الإرادة في حق المخلوق أن يميل إلى ما ينفعه وإلى ما يحبه، وأن يترك ما يضره، فإذن شبهتم الله على قولكم إذا أثبتم له الإرادة، فإذا قالوا إرادة تليق بجلاله ليست كإرادة المخلوق، فيقال لهم الرضا أيضًا يليق بجلال الله ليس كرضا المخلوق، فهؤلاء الذين عطَّلُوا الله من صفاته شبَّهوا ثم عطلوا، ومعنى عطلوا ثم شبهوا أي جعلوا ظاهر نصوص الصفات التشبيه تعالى عن قولهم، فقالوا إذا اثبتنا الصفة فقد شبهنا، فجلعوا ظاهر نصوص الصفات يقتضي التشبيه وهذا باطل، فكيف يكون إثباتك لما أثبته الله لنفسه يقتضي التشبيه؟!، ثم عطلوا فقالوا ليس لله هذه الصفات، شبهوا ثم عطلوا.

[إثبات صفة المحبة]

❁ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة:٥٤].

الشرح:

إثبات صفة المحبة لله جل وعلا، يحب عباده الصالحين، يحب المحسنين والمتقين والتوابين والمتطهرين، وهي من أكثر الصفات أدلة في كتاب الله جل وعلا، ومع ذلك نفاها المبتدعة فقالوا: لا يثبت لله صفة المحبة تعالى الله عن قولهم، وحرفوها بنفس التحريف الذي قاله الأشاعرة والمعتزلة، فقال الأشاعرة:

أي أراد لهم الخير وإثابتهم، وقال المعتزلة: المحبة هي الثواب، وكلهما تحريف باطل، تحريف للأدلة عن مواضعها، فهي محبة تليق بجلال الله عز وجل ليست كمحبة المخلوق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، حرفها الأشاعرة فقالوا: المحبة هي ميل قلب الإنسان إلى ما يشاكله ويناسبه، ورغبته في هذا الأمر، وما أشبه ذلك، فيقال محبة الله تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين، وقد أثبتها الله لنفسه فكيف يتجرأ مسلم على أن يقول الله ما يحب، الله عز وجل يقول عن نفسه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:٧٦]، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة:٤٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤]، وهذا يتجرأ ويقول الله ما يحب، هذا مشاقة لله ورسوله ﷺ، هذه جرأة عظيمة، كيف الله يثبت لنفسه ذلك وأنتَ تنفيه: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠]، الله أعلم بنفسه وبغيره: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧]، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [النساء:٢٦].

[إثبات صفتي الغضب والسخط لله سبحانه وتعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي اَلْكُفَّارِ: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ﴾ [محمد:٢٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

الشرح:

إثبات صفة الغضب والسخط لله جل وعلا، كذلك كما يليق بجلاله، وحرَّفها كذلك المبتدعة من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم، فقالوا في تفسير الغضب والسخط والكراهية أي أراد بهم الشر أو أراد عذابهم أو نحو ذلك، فأعادها الأشاعرة إلى صفة الإرادة، وفسرها المعتزلة بالعذاب نفسه، وهذا تفسير بالمقتضى، فنثبت لله صفة السخط والغضب والكراهة كما يليق بجلاله، ولازم إثبات صفة الغضب والسخط أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يعذبهم، أما الكفار فلازمه أن الله يعذبهم، وأما من غضب عليه من المسلمين فهو تحت وعيد الله عز وجل فإن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه، قال المبتدعة إذا أثبتنا الغضب فهذا تشبيه بالمخلوق لأن الغضب هو غليان الدم والله منزه عن ذلك، **فما الجواب عنهم؟**

غضب الله لا يماثل غضب المخلوق، كما أثبتم الإرادة، وأثبتم القدرة والسمع والبصر ولا يشابه صفات المخلوقين، فكذلك نثبت لله جل وعلا هذه الصفات تليق بجلال الله لا تماثل صفات المخلوقين.

أشار ببعض الآيات المتقدمة إلى بعض صفات الله جل وعلا، مجرد إشارة وليس المراد استقصاء ذكر صفات الله جل وعلا، وإنما المراد الإشارة إلى ما بينه من عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات.

ذكر بعض أحاديث الصفات

[إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى]

❁ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَمِنْ اَلسُّنَّةِ: قَوْلُ اَلنَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا».

الشرح:

الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، نثبت لربنا هذه الصفة كما تليق بجلاله، نزول إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الآخر كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وجاء عن أبي سعيد في مسلم، وعن جماعة من الصحابة خارج الصحيح، نثبت لله هذه الصفة كما يليق بجلاله ليس كنزول المخلوقين تعالى الله عن المشابهة والمماثلة للمخلوقين: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وهذا الحديث قد جاء عن جميع من الصحابة، حديث مشهور، وهو في الصحيحين، في الكتابين الذين تلقتهما الأمة بالقبول، سوى أحرف يسيرة حصل فيها اختلاف بين القوم.

وحرَّفَ المبتدعةُ هذه الصفة وأتوا عليها بالشبهات، بسبب قسوة قلوبهم وعدم الإيمان بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبسبب تقديم العقول على لمنقول من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ الصحيحة، فلما قدموا العقول على المنقول زاغوا وضلوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم، قال بعضهم ينزل ربنا أي ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل ملك من ملائكته، هؤلاء الذين قبلوا الحديث، وأما العقلانيون المعتزلة فردوا الحديث، وقالوا لا يقبل لأنه يخالف العقل، **فما هو الرد على من قال ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل ملك من ملائكته؟**

في الحديث نفسه: «**يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، وهذا لا يقوله أمره ولا يقوله ملك من الملائكة ولا تقوله الرحمة، وأيضًا نزول الأمر أو الرحمة أو الملك ليس مخصوصًا بالثلث الأخير من الليل فلا يزال ينزل أمر الله في أي وقت شاء الله فليس مخصوصًا في الثلث الأخير من الليل، وأيضًا خالفوا ظاهر الأدلة فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نسب إلى نفسه النزول، فكيف يحرفون ذلك ويجعلون صفة النزول لغيره، وأيضًا خالفوا السلف، لم يقل هذا أحد من السلف أو من الصحابة رضوان الله عليهم أنه ينزل أمره أو ينزل ملك من ملائكته، فهذا تحريف للأدلة عن مواضعها.

ومن شبهاتهم التي يوردونها على عامة الناس؛ قالوا: هذا يلزم ان الله يترحك وينتقل؛ فجاؤوا بهذه الكلمات المجملة لتنفير الناس عن إثبات الصفات الفعلية لله جل وعلا ومنها صفة النزول والإتيان، والحركة والانتقال ألفاظ مجملة لم تُثبت في الشرع ولم تُنفى، فعلى المسلم ان يستفصل المعنى، فيقال إن اردتَ بالحركة والانتقال انه يفرغ منه مكان ويشغل مكان آخر فهذا هو المعروف في حق

المخلوق، أما في حق الله فالله أعلم بكيفية فعله؛ بكيفية نزوله وإتيانه، ولا يلزم منه ان يفرغ مكان أو ان يُشغل آخر، نزوله لا ينافي علوه على عرشه، فيقال إن اردتَ بالحركة والانتقال بهذا المعنى فهذا باطل، هذا في حق المخلوق، وإن قُصد به نفي الفعل من أصله فهذا لا يمكن أن يُنفى، فإن الله عز وجل أثبت لنفسه أفعلا وهذا الفعل لا يتم إلا بفعل يفعله الله، الله أعلم بكيفيته، النزول، الإتيان، وهكذا ما أثبته الله لنفسه من الصفات الفعلية، فقد سُمِّيتْ أفعالًا، والفعل لابد فيه من فعل وعمل يعمله الله، فالحركة بهذا المعنى وهو التحول من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلًا لابد من إثباته، لا يُعقل العفل إلا به، فإذن هذه الألفاظ مجملة، فلا تثبت وتقول الله يتحرك وينتقل، ولا تنفي، ولكن عليك باستفصال المعاني.

ومن شبهاتهم في إنكار هذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه، يقولون: في كل مكان من أرض الله يوجد الثلث الآخر، فإذا انتهى الثلث الأخير في بلدتنا ففي بلدة أخرى يكون الثلث الأخير عندهم وهكذا على مدار اليوم كاملًا، فمعناه إنه لا يزال في السماء الدنيا؟

وهذه الشبهة ناتجة عن تشبيههم نزول الله بنزول المخلوق، فلما فهموا من النزول أن الله عز وجل ينتقل إلى السماء الدنيا ويفرغ منه مكان ويشغل مكان آخر جاؤوا بمثل هذا الكلام الباطل، فلا يخلوا منه العرش جل وعلا بنزوله، فلما فهموا هذا الفهم الباطل جاؤوا بهذا الإشكال، وأما على قول أهل السنة والجماعة إنه نزول يليق بجلاله لا ينافي استوائه على العرش ولا ينافي علوه فلا إشكال

عندهم، يقولون نثبت علوه على عرشه ونثبت انه في كل مكان يكون فيه الثلث الأخير فربنا عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فتعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

ومن شبهاتهم؛ إنه إذا أثبتنا النزول إلى السماء الدنيا فيلزمنا أن نقول أن السماء تحيط به؛ وهذا القول كفر، من قال أن السماء الدنيا تحيط بالله فهذا القول كفر وردة، ولا يلزم أهل السنة والجماعة من إثباتهم النزول أن يقولوا هذا القول، ليس بلازم، فهم يقولون نثبت لله صفة النزول تليق بجلاله لا يقتضي نزوله أن يخلو منه العرش، ولا يقتضي نزوله ان السماء تكون ظرفًا لله بحيث تحيط به، فما هي السماء إلا من خلق الله جل وعلا، وكما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم**»، فكيف والكرسي في العرش كما قال بعض السلف: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ**»، و«**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»، فلاة أي صحراء، فكيف يقال أنه يلزم أن تكون السماء تحيط بالله تعالى الله عن ذلك، وهذه الإلزامات إنما هي ناتجة عن أفكارهم الباطلة التي فهموا منها نصوص الشرع، **فهموا من النصوص التشبيه فحرَّفوا الأدلة،** ونصوص الشرع لا يلزم منها التشبيه ولا التمثيل، فنثبت لله ما أثبته لنفسه، ما أجرأهم على مخالفة النصوص، النبي ﷺ يقول ينزل ربنا وهم يقولون ما ينزل ربنا، إنما تنزل رحمته، هذه جرأة عظيمة، **أما كان النبي ﷺ قادرا على ان يقول ينزل أمر ربنا أو تنزل رحمة ربنا، فكيف؟!** ألم يثبت الله أن نبيه قد بين البيان المبين، وبلغ البلاغ المبين وأكمل الله به الدين، وهؤلاء يأتون يبينون عن نبينا ﷺ، والنبي ﷺ من أحسن الناس عبارة وبيان، ولم يأتي في حديث واحد أن يُنسب النزول إلى ملك،

أو إلى أمر الله، أو إلى رحمة الله، وما نُقل عن الإمام مالك إنه قال تنزل رحمة الله أو ينزل أمره، لم يثبت عن الإمام مالك، مكذوب عليه، في إسناده حبيب كاتب مالك وهو كذاب، وله إسناد آخر فيه مجهول، فلم يثبت التحريف عن الإمام مالك، وهو القائل: **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول**، جاءت رواية شاذة عند الإمام النسائي: «**فَيُنَادِي مُنَادِي**»، يُحمل على ان الله ينادي عباده ويدل على ذلك لفظ الحديث، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، من فضل الله على أهل السنة والجماعة أن نشأوا وتعلموا في أوساط أهل الحق، تعلموا العقيدة الصحيحة قبل أن تزيغ القلوب وتمتلأ بالباطل، هذه والله نعمة عظيمة وفضل عظيم من ربنا جل وعلا، هذا من فضل الله علينا معشر أهل السنة نشأنا على دراسة العقيدة الصحيحة، نسأل الله جل وعلا أن يرحم علماؤنا الذين دونوا لنا هذه العقيدة الصحيحة، أتينا على كتب منتقاة، كتب منقاة من البدع والضلالات، فيها تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة على أحسن وجه، فيها ردود على المبطلين، هذه نعمة عظيمة، ما يعلم الإنسان كيف كان حاله لو أنه خالط المبتدعة قبل أن يقرأ هذه الكتب الطيبة، كتب أهل السنة والجماعة، نسأل الله جل وعلا أن يرحم جميع علماؤنا ويغفر لهم، على هذه العقيدة الصحيحة جاهدوا في الله حق الجهاد ودوَّنها ونشروها وردوا على المبطلين وبذلوا الأوقات وتعبوا، أنظروا إلى جهاد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كف جاهد هؤلاء المبطلين أشد الجهاد، كتبه ملأت بتقرير عقيدة الحق والرد على المبطلين، وهكذا أيضًا الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ جدد الله على يديه في زمن اندثرت فيه كثير من شعائر الدين ثم بعد ذلك استمر الخير على علماء أهل السنة والجماعة في الحجاز،

ونفع الله بهم نفعًا عظيمًا، وصار المسلمون في جميع بقاع الأرض ينتفعون من كتبهم في العقيدة الصحيحة، دونوّها ونفع الله بها نفعًا عظيمًا، ومن زمن قديم وجهود أهل الحق في هذا الباب جهود عظيمة وجهاد في الله حق الجهاد، إذا قرأنا التوحيد لابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ والتوحيد لابن منده، وهكذا أيضًا الشريعة للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقبلها السنة للإمام أحمد، وكتب الإمام مالك، وكتب الإمام الشافعي، فما أكثر الكتب التي قررت عقيدة أهل السنة والجماعة نفع الله بها نفعا عظيما، ومن ذلك أيضًا شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة، وهكذا أيضًا كتاب "الإبانة الكبرى" لابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وليست "الإبانة" التي موجودة هذه الأيام "إبانة محمد الريمي"، فهذه فيها قواعد باطلة فيها بدع ومخالفات لعقيدة أهل السنة والجماعة.

فالحمد لله وصل إلينا هذا الدين صافيًا نقيًا، والله إنها لنعمة عظيمة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه وعلى هذه العقيدة الصحيحة حتى نلقاه.

[إثبات صفتي العَجَب والضَّحِك لله سبحانه وتعالى]

❁ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»، وَقَوْلُه: «يَضْحَكُ اَللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا اَلْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ اَلْجَنَّةَ».

الشرح:

وتمام الحديث: « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ

بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»، أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء بنحوه عن عدد من الصحابة: عن أبي هريرة في الصحيحين، وعن البراء وابن مسعود والنعمان بن بشير في صحيح مسلم، وحديث ابن مسعود متفق عليه.

نثبت لله جل وعلا صفة الفرح، أثبتها لنفسه، كما تليق بجلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤]، ليس كفرح المخلوق الذي فيه الخفة والطرب، ولما ساءت ظنون المعطلة والمبتدعة في نصوص الكتاب والسنة أن ظاهرها التشبيه، قالوا لو أثبتنا الفرح لشبهنا لله بالمخلوق، فنفوا صفة الفرح عن الله جل وعلا، وهذه جرأة عظيمة ،النبي ﷺ يقول لله أفرح بتوبة عبده، وهؤلاء يقولون لا يفرح الله بتوبة عبده، انظروا إلى معارضة وجرأة في مخالفة النصوص صراحة، النبي ﷺ يثبت صفة الفرح وهم ينكرونها ، ما بين مؤول ومفوض، يحرفون النص أو يقولون الله أعلم بمعناه، ومن حرَّفَ النص قال المراد ان الله يريد له الثواب وتقدم الرد على هذه التحريفات في النصوص السابقة.

وَقوله: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ اَلشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ».

والصبوة الميل والإنكباب إلى الشر، الشاب عنده قوة وصبوة ومع ذلك يُقبل على عبادة الله ولا يميل إلى شهواته وإلى المعاصي، الحديث ضعيف من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف، وهو عن عقبة بن عامر، والصحيح ضعف ابن لهيعة سواء روى عنه العبادلة أو غيرهم فقد وجد بعض الحفاظ ضعفه مطلقًا، **من هؤلاء**

العبادلة الذين يحسن بعض أهل العلم الحديث إذا روى عنه أحد العبادلة، من هؤلاء العبادلة؟

عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبد الله بن مسلمة بن قعنب، وأضاف بعضهم إليهم قتيبة بن سعيد، بعض أهل العلم حسن هذا الحديث من هذا الباب، من باب إنه روى عنه بعض العبادلة هذا الحديث.

فهل نثبت لله صفة العُجب؟

لا؛ هذا فيه صفة العَجب، فرق بين العَجب والعُجب، العَجب جاءت فيه أحاديث غير هذا الحديث، «**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**»، في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فهذا فيه إثبات صفة العجب، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»، حديث: «**عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي الْغَنَمِ فِي رَأْسِ الشَّظِيَّةِ مِنَ الْجَبَلِ يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاةَ**»، وهناك قراءة من القراءات السبع: ﴿ **بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ** ﴾ [الصافات:١٢]، بضم التاء في عجبتُ، وأيضًا استدل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقول الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ [الرعد:٥]، وكذلك حرَّف المبتدعة صفة العجب بحجة انهم إذا اثبتوها فقد شبهوا الله بالمخلوق؛ لأن العجب ينشأ عن جهل بعواقب الأمور كما زعموا، وقد رد عليهم العلماء أن العَجب قد يكون بما ذكروه حتى في حق المخلوق نفسه إما عن جهل بعواقب الأمور وقد يكون بانفراد شيء عن مثيلاته، فعجب الله جل وعلا يليق بجلاله، والذي جاء في الأدلة هو النوع الثاني الذي هو انفراد شيء عن مثيله.

وقوله: «عجب ربنا عز وجل من قنوط عباده، وقرب غيره»، الحديث من طريق وكيع بن عُدس وهو مجهول، أخرجه أحمد وغيره من حديث أبي رزين العُقيلي، وهو في الصحيحة برقم (٢٨١٠)، قد ورد في بعض طرق الحديث بلفظ: ضحك ربنا، والضحك غير العَجب.

ما معنى: «من قنوط عباده، وقرب غِيَرِه»؟

أي أن الله سيغير الحال عن قرب.

وَقوله: «يَضْحَكُ اَللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قتَلَ أَحَدُهُمَا اَلْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ اَلْجَنَّةَ».

متفق عليه، عن أبي هريرة، **كيف يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة؟**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»، قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَقْتُلُ هَذَا فَيَلِجُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْآخَرِ فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهَدُ**»، فكلاهما يدخل الجنة، فيه إثبات صفة الضحك لله جل وعلا، قد وردت أحاديث كثيرة في إثبات صفة الضحك لله جل وعلا؛ في الصحيحين عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ ابْنُ مَسْعُودٍ ضحكَ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»، الحديث السابق: «**ضحك ربنا عز وجل من قنوط عباده، وقرب غيره**»، فيه إثبات صفة الضحك لله جل وعلا تليق بجلاله، الله أعلم بكيفيتها، نثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له نبينه ﷺ: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾

[الشورى:١١]، ومن نفى هذه الصفة فقد تجرأ على نصوص السنة، فكيفي النبي ﷺ يقول يضحك الله وهو يقول الله لا يضحك، نعوذ بالله، هذه جرأة في مخالفة الأدلة الشرعية، وحجة المبتدعة في ذلك أنهم إذا أثبتوها أقتضى التشبيه والتمثيل، وهذه حجة بائرة، فإن أهل السنة يثبتون هذه الصفة كما تليق بجلال الله لا نعلم كيفيتها، ولكنا نعقل معناها بما نعلم من أنفسنا من الضحك، فالمعنى غير مجهول والكيف غير معقول، وحرَّفها الأشاعرة ومن نحى نحوهم بأن المراد أن الله عز وجل يكرمهم أو أراد لهم الثواب، وهذا تحريف باطل للأدلة الشرعية.

[وجوب الإيمان بأحاديث الصفات الثابتة، ونفي الكيفية عنها الخاطرة في البال]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٤ - فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ اَلْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ اَلْمُحْدَثِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي اَلذِّهْنِ، أَوْ خَطَرَ بِالْبَالِ، فَإِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى بِخِلَافِهِ.

الشرح:

قوله: فَهَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ.

أي هذه الأدلة التي ذكرها هي عبارة عن أمثلة فقط لبيان منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله جل وعلا، ما ذكر إلا القليل من الصفات مما يستفاد منه معرفة طريقة أهل السنة والجماعة في صفات الله جل وعلا، ولايزال سيذكر بعض الشيء من صفة الكلام والاستواء على العرش ونحو ذلك.

قوله: مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ.

أهل السنة والجماعة ما يقبلون أي حديث، ما يقبلون من الأحاديث إلا ما صح سنده، ولذلك فإن أهل السنة والجماعة حريصون على أن لا يستدلوا لعقيدتهم إلا بالأحاديث الصحيحة، أو بكتاب الله جل وعلا.

قوله: نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ.

وهذا كلام طيب فيه الرد على من نسب إليه التفويض فإنه يقول: ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، معناه أنه يثبت من المعاني ما كان ظاهر الكلام، وهو معنى قول السلف أمروها كما جاءت، أي ما يُفهم منها بالظاهر، فكلامه يدل على أنه أثبت المعاني التي تُفهم من ظاهر السياق.

قوله: وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ اَلْمَخْلُوقِينَ.

يقول الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]، وعلى هذا إجماع المسلمين، أجمع المسلمون على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُماثل خلقه تعالى الله عن ذلك علوًا عظيمًا، سواء في ذاته أو في صفة من صفاته: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]، وما يخالف في ذلك إلا كافر مرتد عن دين الله فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، كما قال نُعيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: وَلَا بِسِمَاتِ اَلْمُحْدَثِينَ.

أي المخلوقين، مُحدَث أي مخلوق، وهي بمعنى الجملة التي قبلها، [**بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه، قراءته تفسيره،**]، **بل نؤمن بلفظه**، أي مع معناه الظاهر، **ونترك التعرض لمعناه**، أي من المعاني المُحدثة، **قراءته تفسيره**، هذه الزيادة من المخطوطة، زيادة من بعض المخطوطات وقد أوردها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية" عن المؤلف، الزيادة هي: **بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه، قراءته تفسيره،** وقوله: **ونترك التعرض لمعناه،** أي المعاني

المُحدثة، أو الكُنه؛ كيفية صفات الله جل وعلا، كُنه ذاته وصفاته، هذه العبارة هي مبينة للعبارة التي مرت معنا في أوائل الكتاب: "**وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله**"، فهاهنا بيَّنَ كلامه أنه أراد ترك التعرض للمعاني المُحدثة التي يُثبتها المبتدعة وأنه يُثبت من المعاني ما يُفهم من ظاهر الأدلة، **ونترك التعرض لمعناه، قراءته تفسيره،** أثبت ان الأدلة لها تفسير أي لها معاني، **قراءته تفسيره،** أي المعنى المتبادر هو الذي يُفهم بالقراءة، وأما المفوضة فيقولون ليس لله يدان، ليس لله وجه، فكيف بقوله تعالى: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤]، يقولون الله أعلم بمعناها، ينفون الصفات، ويفوضون المعاني التي تدل على الصفات التي يُنكرونها، فهم ينفون الصفات من أصلها، وأما هو فقد أورد نصوصًا في صفات الله جل وعلا.

وقوله: نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ.

فكلامه واضح.

قوله: (وَنَعْلَمُ أَنَّ اَللَّهَ -سبحانه وتعالى- لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ).

وإذا أطلق أهل السنة والجماعة لا شبيه له فليس مرادهم نفي أصل الشبه في المعاني فهذا أمر يثبته أهل السنة والجماعة أنه يوجد أصل تشابه في الصفات من حيث المعنى لا من حيث الكيفية، ومن أجل هذا فهمنا وعقلنا معاني صفات الله جل وعلا، فليس مرادهم نفي أصل الشبه إنما مرادهم نفي المماثلة في الصفات أو في الذات أو حتى في صفة من صفاته جل وعلا.

قوله: قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

والكاف صلة وتوكيد، ليس كمثله شيء الكاف لتأكيد ذلك، وهي من حيث الإعراب زائدة، قد استشكل بعضهم الكاف، فقال ليس مثله شيء نفيتَ المثل عن الله جل وعلا، لكن إذا قلتَ ليس كمثله شيء أثبتَ مثلًا ونفيتَ التشبيه عن المثل، وهذا فهم غير صحيح فإن الكاف للتوكيد، لتأكيد النفي.

قال: وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي اَلذِّهْن، أَوْ خَطَرَ بِالْبَال، فَإِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى بِخِلَافِه.

وهذه اجعلها قاعدة في قلبكَ، كل ما يأتي إلى الأذهان من تخيلات في كيفية صفات الله جل وعلا فإن الله بخلافه، الله جل وعلا لا يعلم أحدا كيفية صفاته ولا كنهها ولا كنه ذاته، هذا يريحك تثبت الصفات لله جل وعلا كما يليق بجلاله ولا تشغل نفسك بالتفكير في الكيفية الله أعلم بها: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وكلما جاء في قلبك تخيلات فاعلم إنها من قبل الشيطان فاستعذ بالله وانته، فهذه من الوساوس والخطرات، استعذ بالله وانته، وقل: آمنت بالله ورسله، وقل: آمنت بالله الواحد الأحد الصمد الذي: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٣-٤].

[ذكر بعض أدلة صفتي الاستواء والعلو لله سبحانه وتعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٥ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:١٦].

وَقَوْلُ اَلنَّبِيِّ ﷺ: «رَبُّنَا اَللَّهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اِسْمُكَ» وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اَللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي اَلسَّمَاءِ قَالَ: «اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مِنْ اَلْأَئِمَّة.

الشرح:

قوله: وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]

أيضًا من صفات الله جل وعلا التي يثبتها أهل السنة والجماعة، وقد تقدم الكلام على صفة الاستواء لله جل وعلا في بداية الكتاب.

فما معنى الاستواء؟

السلف لهم فيها أربعة ألفاظ في تفسيرها: علاَ، أرتفعَ، صعدَ، أستقرَ، وكره بعضهم لفظة أستقر وقد تقدم الكلام عليها، كره الذهبي هذا اللفظ "أستقر" وتركه أفضل، التفسير بالعلو والارتفاع أفضل، وأحسنها التفسير بالعلو، وكلها تدور حول هذا المعنى ولكن اللفظ بالعلو أفضل، علا على العرش، وقد ذكر الله في كتابه العلو في سبعة مواضع تذاكرناها قبل، وحرَّف المبتدعة الاستواء بمعنى استولى تذكرنا أيضًا الرد عليهم.

وقوله: **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:١٦]، إثبات إن الله عز وجل في السماء، **وإشكال في هذه الآية** فقد أورد المبتدعة على ذلك شبه وقالوا إذا قلتم الله في السماء فمعناه أن السماء تحيط بالله وأن السماء ظرفًا لله والله عز وجل أعظم من ذلك: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]، **فما هو الجواب عن هذا الإشكال؟**

أن "في" بمعنى "على"، ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:١٦]، أي: من على السماء، وله نظائر في كتاب الله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:٧١]، أي على جذوع النخل: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥]، أي: على مناكبها، في آيات كثيرة، وهناك جواب آخر في الآية: أن السماء في اللغة بمعنى العلو: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:١٦]، أي من في العلو وهو الله جل وعلا، وما علاك فقد سماك، فكل ما كان عاليًا عليك فهو سماء لك، ولذلك قول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ**»، فهل إذا كان داخل بيت هل يجوز له أن ينظر إلى السقف لأنه لا ينظر إلى السماء؟

الجواب: لا؛ المراد ما ينظر إلى العلو، ولو كان سقفًا، وقد فُسِّرَ في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج:١٥]، في أحد التفاسير، فليمدد بسبب إلى السماء أي بحبل يمدده إلى سقف بيته ويخنق نفسه.

قوله: وَقَوْلُ اَلنَّبِيِّ ﷺ: «رَبُّنَا اَللَّهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اِسْمُكَ».

هذا الحديث ورد في ضمن رقية علَّمها النبي ﷺ بعض أصحابه في مريض، وهو حديث ضعيف، أخرجه أبو دواد والنسائي وأحمد من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وفي إسناده زياد بن محمد الأنصاري، قال البخاري فيه: منكر الحديث، متروك، لم يثبت هذا الحديث.

قوله: وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اَللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي اَلسَّمَاءِ قَالَ: «اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٌ.

من صحابي الحديث؟ عن معاوية بن الحكم السلمي، وقد ضاق المبتدعة ذرعًا بهذا الحديث، وحاول بعضهم أن يضعف الحديث، كيف يسأل أين الله! عندهم هذه من العظائم أن تسأل أين الله؟ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد بيَّنَ بنفسه في كتابه الكريم أنه في السماء، وهنا أيضًا أجابت قالت في السماء، قال: أعتقها إنها مؤمنة، ومن العظائم عندهم أن يُسأل عنه أين الله! وإذا قال الله في كل مكان هذا عندهم ليس من العظائم، الله في كل مكان هذا كلام باطل، كيف الله في كل مكان، هل الله في القذارات وأماكن النجسات!!! نعوذ بالله من هذا الكلام، وأيضًا هل معناه ان الله يخالط خلقه! تعالى الله عن ذلك، فقولهم: الله في كل مكان، ما نزَّهوا الله بمقالتهم، وأما أهل السنة فنزهوا الله ونطقوا بما جاء في كتاب الله وبما جاء في سنة رسول الله ﷺ ، الله في السماء، في العلو، مستوٍ على عرشه فوق سبع سماواته جل وعلا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٦ - وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟» قَالَ: سَبْعَةً سِتَّةً فِي اَلْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟»، قَالَ: اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: «فَاتْرُكْ اَلسِّتَّةَ وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ»، فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ اَلنَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي».

الشرح:

وحصين هو والد عمران بن حصين.

قوله: «كم إلها تعبد؟».

أي في حال كفره، لو ثبت هذا الحديث لكان فيه حجة عليهم أن الكفار أيضًا أثبتوا ذلك، ولكن كان معروفًا لديهم في أشعراهم، قد وُجدَ في أشعار العرب إثبات أن الله في السماء.

قوله: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟».

أي تلجأ إليه عند الرغبة والرهبة.

قوله: «اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي».

أما الدعاء فقد ثبت بإسناد صحيح عند أحمد والنسائي أنه علمه الدعاء، وأما السؤال كم إلها تعبد؟ فهو ضعيف، أخرجه الترمذي والطبراني وغيرهما من طريق شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن الحصين وشبيب بن شيبة ضعيف، والحسن البصري الصحيح فيه أنه لم يسمع من عمران بن الحصين،

أورده المؤلف من أجل: قوله: **وَوَاحِدًا فِي اَلسَّمَاء ... قَالَ النبي ﷺ: «فَاتْرُكْ اَلسِّتَّةَ وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاء».**

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٧ - وَفِيما نُقِلَ مِنْ عَلاماتِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه في الكتبِ المتقدمةِ: أَنَّهمْ يَسْجُدُونَ بالأرضِ ويزعمونَ أَنَّ إِلهَهُم فِي السَّماءِ.

الشرح:

لا يُعتمد على الكتب المتقدمة إلا انه ذكر شيئًا قد دلت عليه الأدلة الشرعية، فذكره استئناسا وإلا فقد حُرِّفتْ وبُدلتْ، وكتابنا الذي أُنزل على محمد ﷺ مهيمن على الكتب السابقة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٨ - وروى أبو داودَ فِي "سُننِهِ" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةَ كَذَا وَكَذَا..».

وَذَكَرَ اَلْخَبَرَ إِلَى قَوْلِهِ: «وَفَوْقَ ذَلِكَ اَلْعَرْشُ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ».

الشرح:

حديث فيه طول قليلًا، ويُسمى بحديث الأوعال، وهو في سنن أبي داود برقم (٤٧٢٣) قال: حدَّثنا محمدُ بنُ الصَّبَّاح البزَّاز، حدَّثنا الوليدُ بنُ أبي ثورٍ، عن سِماكٍ، عن عبدِ الله بن عَميرَةَ، عن الأحنفِ بن قَيسٍ عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنتُ في البطحاء في عصابةٍ فيهم رسول الله -ﷺ-، فمرَّتْ بهم سحابةٌ، فنَظَرَ إليها، فقال: «**ما تُسَمُّون هذه؟**»قالوا: السَّحابَ، قال: «**والمُزْنَ؟**» قالوا:

والمُزْنَ، قال: «**والعَنَانَ؟**» قالوا: والعنانَ -قال أبو داود: لم أُتقِنِ العَنَانَ جيِّدًا-، قال: «**هل تَدرونَ ما بعدُ ما بين السّماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**إن بُعدَ ما بينهما إما واحدٌ أو ثِنْتانِ أو ثلاثٌ وسبعونَ سنةً، ثم السماءُ فوقَها كذلك**» -حتّى عدَّ سبعَ سماواتٍ- «**ثم فوقَ السابعة بَحرٌ، بينَ أسفلِه وأعلاهُ مِثلُ ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم فَوقَ ذلكَ ثمانيةُ أوعالٍ، بين أظلافِهم ورُكبِهم مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم على ظُهورهم العرشُ، بين أسفلِه وأعلاهُ مثلُ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**».

وهو من طريق: عبدِ الله بن عَميرَةَ، عن الأحنفِ بن قَيسٍ عن العباس بن عبد المطلب؛ وعبد الله بن عميرة مجهول، والأحنف بن قيس لم يسمع من العباس بن عبد المطلب، فالحديث ضعيف، والثابت عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد حسن موقوفا عليه وله حكم الرفع، قال: «**بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم**»، ولم يُذكر في حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يتعلق بالأوعال، الذين يحملون العرش هم الملائكة، ملائكة وكلهم الله بذلك، كل هذه الأدلة تدل على علو الله على عرشه واستوائه على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٩ - فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ اَلسَّلَفُ -رَحِمَهُمْ اَللَّهُ- عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِه، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّه، وَلَا تَأْوِيلِهُ، وَلَا تَشْبِيهِه، وَلَا تَمْثِيلِهِ.

الشرح:

المقصود ولا تأويله أي تحريفه بمعاني أخرى غير الظاهر من الأدلة مما يُفهم منها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٢٠ - سُئِلَ اَلْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ -رَحِمَهُ اَللَّهُ- فَقِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]، كَيْفَ اِسْتَوَى؟ فَقَالَ اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُول، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ.

الشرح:

استدلاله بأثر مالك يدل على انه اراد هذا، وفي بعض الروايات: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه، أطرق رأسه حتى علاه العرق من هذا السؤال ثم هداه الله عز وجل لهذا الجواب العظيم.

قوله: اَلِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ.

أي: معقول المعنى.

قوله: وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُول.

كيفية الصفات غير معقولة، وكما تقدم معنا من كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اَللَّهُ: **وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.**

وفي بعض الروايات: وما أراك إلا مبتدعًا وأمر به أن يخرج من مجلسه.

ثبت هذا الجواب أيضًا عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ مالك والظاهر أن الله عز وجل هداهم لهذا ولم يأخذه مالك عن ربيعة؛ لأنه لم يُنقل أن مالكًا نقله عن ربيعة وأيضًا تفكيره في الأمر وعلاه العرق من هذا السؤال يدل على أنه فوجئ بالسؤال، فالظاهر أن الله وفقهم بهذا الجواب جميعًا، ونُقل عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا وموقفًا ولم يثبت عنها لا مرفوعًا ولا موقوفًا.

فصل في إثبات صفة الكلام لله تعالى

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

فَصْلٌ:

٢١- وَمِنْ صِفَاتِ اَللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِه، سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِه.

٢٢- وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يُكَلِّمُ اَلْمُؤْمِنِينَ فِي اَلْآخِرَة، وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ.

الشرح:

قوله: وَمِنْ صِفَاتِ اَللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ.

ووصف الكلام بأنه قديم له وجه حق ووجه باطل؛ فالوجه الحق أن أصل صفة الكلام قديمة، نوعها قديم، ليس لها ابتداء، لم يزل الله متكلمًا أزلًا، فلم

تحدث له صفة الكلام بعد أن لم يكن يتكلم جل وعلا، ولا يزال يتصف بصفة الكلام أزلًا متى شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهذا معنى حق، وهناك معنى باطل وهو ما ذهب إليه الكلابية والأشاعرة أن كلام الله جل وعلا نفساني، معنى في النفس، ليس بحرف ولا صوت، ووصفوه بالقِدَمِ، ونفوا عنه أنه يتكلم متى شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بحرف وصوت، فهذا المعنى باطل، فإن الله جل وعلا لم يزل ولا يزال يتكلم متى شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكان ترك هذه العبارة في هذا الموضع أجود وأجمل حتى لا يلتبس بمذهب الكلابية والأشاعرة، ولكن هذا هو مراد المؤلف أن أصل صفة الكلام قيمة ولا ينفي ان الله لا يزال يتكلم متى شاء، تكلم بالتوراة حين أوحاها إلى موسى عليه اسلام، وتكلم بالإنجيل، وتكلم بالقرآن الكريم عند أن أوحاه إلى نبينا ﷺ ، ولا يزال يتكلم متى شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فنوعه قديم وآحاده حادثة أي متجددة، وليس خاصًا بصفة الكلام، بل الصفات الفعلية التي أثبتها الله لنفسه يفعلها متى شاء نوعها قديم وآحادها حادث، متجدد، سواء صفة الكلام أو صفة الخلق والرزق وهكذا أيضًا الغضب والرضى، وما أشبه ذلك من الصفات الفعلية التي أثبتها لنفسه وهي متعلقة بمشيئته فنوعها قديم، **ما معنى نوعها قديم؟**

أن الله يتصف بها أزلًا، لم يفعلها بعد أن لم يكن يفعلها بل لايزال يتصف بها أزلًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴾ [هود:١٠٧، البروج:١٦]، وآحادها متجدد أي لا يزال يرزق ولا يزال يخلق ولا يزال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتكلم ويحب ويبغض، وما أشبه ذلك من الصفات الفعلية التي أثبتها لنفسه جل وعلا، قوله: **يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِه،** هذا يدل على أن الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب أهل السنة

والجماعة في أن كلام الله جل وعلا بحرف وصوت وأنه متجدد وأن الله يتلكم بما شاء متى شاء: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء:٢]، **ما معنى محدث؟** أي متجدد، وليس بمعنى مخلوق كما قالته الجهمية، وإنما معناه متجدد.

قوله: سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منه من غير واسطة: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤].

سمعَ موسى كلام الله بدون واسطة، وليس خاصًا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كلَّمَ اللهُ أنبياء أيضًا بدون واسطة: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ولكن اشتهرَ موسى بالتكليم أكثر من غيره من الرسل.

قوله: وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِه.

جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع القرآن من ربه جل وعلا ونزل به على نبينا محمد ﷺ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:١٠٢]، قوله: ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [النحل:١٠٢]، أي سمعه من الله جل وعلا ابتداء، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣]، وفي الأحاديث الأخرى التي فيها أن الله تعالى يوحي ما يشاء فإذا تلكم الله سُمعَ صوت في السماء ففزعتْ الملائكة وخروا سجدًا لله جل وعلا: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣]، فيسمع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن شاء الله من ملائكته أيضًا، والرسل كذلك، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا

أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١].

قوله: وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ.

والأدلة على ذلك كثيرة متواترة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، متفق عليه عن أبي سعيد، وفي صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**».

والأدلة على ذلك كثيرة، بل ويكلم الله عز وجل جميع خلقه في أرض المحشر مؤمنهم وكافرهم جنهم وإنسهم، جميع المكلفين، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، ولكنه في حق الكفار تكليم تقريع وتوبيخ وحساب، وأما المؤمنون فيتنعمون بكلام الله جل وعلا في الجنة.

قوله: وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ.

الثابت في الأحاديث أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكرم عباده المؤمنين بالنظر إليه: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٣-٢٤]، وجاء في بعض الأحاديث أنه يتجلى لهم فيتنعمون بذلك، وأما الزيارة فلم يثبت فيها حديث أنهم هم يزورونه.

[ويكشف لهم الحجاب فينظرون إليه][٣].

«جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٣] هذه ليست في كلام المؤلف رحمه الله.

[ذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم في إثبات صفة الكلام لله سبحانه]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى:٥١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ [طه:١١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه:١٤]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اَللَّهِ.

الشرح:

قوله: قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤].

قوله: ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ : مصدر تأكيد انه كلام حقيقي، قد حرَّفَ المبتدعة قوله وكلَّمَ قالوا: وكلَمَ؛ أي جرحه، تحريف لفظي ومعنوي، ومنهم من حرَّفّ لفظ الجلالة فجعله منصوبًا: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]، أي: موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الذي كلَّمَ الله، وكل هذه تحريفات باطلة، فقد أكد الله عز وجل الفعل بالمصدر: ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ ، ولو كان كلَمَ لكان المصدر كلْمًا وليس تكليمًا، وقَالَ بَعْضُهُمْ لِأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ - أَحَدِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ: أُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ: وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى، بِنَصْبِ اسْمِ اللَّهِ، لِيَكُونَ مُوسَى هُوَ الْمُتَكَلِّمَ لَا اللَّهُ! فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: هَبْ

أَنِّي قَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ كَذَا، فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف:١٤٣]! فَبُهِتَ الْمُعْتَزِلِيُّ!.

قوله: وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ [طه:١١].

والنداء في اللغة العربية لا يكون إلا بكلام مرتفع، بصوت، لا يُعلم النداء في لغة العرب إلا بصوت، وبحرف، ولا يكون نداء إلا بذلك، هذا يدل على أنه كلام حقيقي وأنه بحرف وصوت، على ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله: وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه:١٤]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ.

فيه رد على الجهمية والمعتزلة الذين قالوا كلام الله مخلوق، والمخلوق لا يجوز ان يقول: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه:١٤]، إذا كان موسى سمع كلامًا من مخلوق فكيف هذا المخلوق يقول: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه:١٤]؟ فدل على أن الله عز وجل هو المتكلم حقيقة كما أثبت ذلك لنفسه جل وعلا، وكما أثبته نبينا ﷺ .

الأشاعرة أثبتوا الكلام لله ولكن على غير طريقة أهل السنة والجماعة وإنما بطريقة محدثة، فلا يظن عند أن يُقال ان الأشاعرة أثبتوا بعض الصفات أنهم أثبتوها على طريقة أهل السنة والجماعة، ما أثبتوها إلا مع طرق مبتدعة إلا في صفة الحياة فقط التي أثبتوها بدون أن يذكروا فيها بعض الأمور المبتدعة، وبقية الصفات السبع لهم في إثباتها بدع، وإلا فصفة الكلام والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة، بقية السبع كلها أثبتوها على غير طريقة أهل السنة والجماعة، ادخلوا

فيها بعض البدع، مثل صفة الكلام قالوا كلام نفساني، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي يعبر عن الله جل وعلا يقولون هكذا، فقالوا المعنى من الله واللفظ من جبريل، فصار القرآن عندهم مختلط المعنى كلام الله واللفظ لفظ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكلام الكلابية والأشاعرة كلام مبتدع، وقال بعض أهل العلم كلامهم في هذه المسألة شابه كلام النصارى الذين قالوا حلَّ الإله في جسد بشري فخُلقَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا كلام باطل، وكلام الله صفة من صفاته المعنى واللفظ كله من الله جل وعلا، وأما قولهم ان جبريل عبَّرَ عن الله، أو حكى عن الله فهذا وصف لله بالنقص، يحتاج إلى من يعبر عنه ولا يتلكم جل وعلا، ألم يذم الله الأصنام؛ لأنها لا تستطيع أن تنطق؟!: ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ** ﴾ [الأعراف:١٤٨]، ﴿ **أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا** ﴾ [طه:٨٩]، إذن هذا بيان واضح أنه لا يمكن أن يوجد إله لا يتلكم ولا ينطق، فكلامهم من أبطل الباطل، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للأصنام: ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ** ﴾ [الصافات:٩٢]، قام يحطمها تحطيمًا: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾ [الأنبياء:٦٣]، انظروا كيف وصفها بالنقص ما تستطيع أن تنطق، ثم هؤلاء يقولون جبريل هو الذي يعبِّر عن الله يلهمه الله فيعبِّر عنه، أحدث هذا القول عبد الله بن سعيد بن كلاب وتبعه أبو الحسن الأشعري في مذهبه القديم قبل أن يرجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

هل كلام الله بحرف وصوت أم هو نفساني؟ وما الدليل؟

بحرف وصوت، قول الله عز وجل عن موسى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه:١٤]، كلام بحرف وصوت سمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]، ولأن المفهوم في اللغة العربية من الكلام لا يُفهم من الكلام إلا هذا، وأما الكلام النفساني فلا يطلق عليه كلامًا في اللغة العربية إلا مقيدًا، يقال كلَّمَ نفسه، حدَّثَ نفسه، وأما حديث النفس فلا يعتبر كلامًا.

ما الدليل على أن حديث النفس لا يعتبر كلامًا؟

حديث في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»، فرَّقَ بين حديث النفس وبين الكلام، فحديث النفس لا يعتبر كلامًا وإنما يقيد يقال كلَّمَ نفسه، حدَّثَ نفسه، ولو كان حديث النفس يعتبر كلامًا ما سلمت لأحد صلاته، كل الناس صلاتهم باطلة؛ لأن الكلام يبطل الصلاة بالإجماع، وما من إنسان إلا يحدث نفسه، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**»، حديث النفس لا يسلم منه أحد، فلو كان يعتبر كلامًا لما سلمتْ صلاة أحد، وأيضًا أطلقَ اللهُ عز وجل على نفسه النداء والمناجاة: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ [طه:١١]، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم:٥٢]، والنداء والمناجاة تكون بصوت وحرف وكلام حقيقي.

[ذكر بعض الأحاديث في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٢٣ - وَقَالَ عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اَللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ اَلسَّمَاءِ»، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ.

٢٤ - وَرَوَى عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اَللَّهُ اَلْخَلَائِقَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا اَلْمَلِكُ أَنَا اَلدَّيَّانُ»، رَوَاهُ اَلْأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ اَلْبُخَارِيُّ.

٢٥ - وَفِي بَعْضِ اَلْآثَارِ: «أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً رَأَى اَلنَّارَ فَهَالَتْهُ فَفَزِعَ مِنْهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا مُوسَى، فَأَجَابَ سَرِيعًا اِسْتِئْنَاسًا بِالصَّوْتِ فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلَا أَرَى مَكَانَكَ فَأَيْنَ أَنْتَ؟

فَقَالَ أَنَا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ.

فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى.

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ، أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ؟ قَالَ بَلْ كَلَامِي يَا مُوسَى».

الشرح:

قوله: وَقَالَ عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اَللَّهُ بِالْوَحْيِ..).

وإسناده صحيح إلى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولكنه موقوف عليه وله حكم الرفع، وهو بمعنى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في البخاري، وحديث

ابن مسعود جاء أيضًا عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه ضعف، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في البخاري بمعناه وهو أحسنها حالًا، ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**»، والتشبيه كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ تشبيه لفزعهم لأنهم فزعوا من الصوت كما يُفزع من السلسلة على الصفوان، وروى سعيد بن منصور وأبو داود وابن جرير عن ابن مسعود: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان**»، وإسناده صحيح.

قوله: وَرَوَى عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اَللَّهُ اَلْخَلَائِقَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا ..»، **رَوَاهُ اَلْأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ اَلْبُخَارِيُّ.**

وهو حديث حسن له طريقان يُحسن بهما، والشاهد منه قوله: «**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ**»، أثبتَ لله عز وجل الصوت، يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب.

قوله: وَفِي بَعْضِ اَلْآثَارِ: «أَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ- لَيْلَةً رَأَى اَلنَّارَ فَهَالَتْهُ فَفَزِعَ مِنْهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا مُوسَى، فَأَجَابَ سَرِيعًا ...».

هذا لا يُعتمد عليه وهو مخالف أيضًا لما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ من إثبات أنه في السماء جل وعلا، ولو كان ثابتًا فقد يؤول على العلم، أي معك بالعلم والإحاطة والسمع والبصر، ومراده في بعض الآثار نقلًا عن بعض الكتب السابقة، ثم أيضًا الآثار التي تأتي عن بعض التابعين في النقل عن الكتب، من المعلوم أنه قد حُرِّفتْ في عهد نبينا ﷺ الكتب السابقة، فكيف بعد ذلك في عصر التابعين حصل فيها تحريف أكثر، ولا يُفهم من أن الله عز وجل كلمَ موسى

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من جانب الطور الأيمن أن الله جل وعلا في ذلك الموضع، فالله عز وجل مستو على عرشه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العلو، ولكن أسمعَ الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الصوت من ذلك المكان، وجعل في ذلك المكان من البركة، والله على كل شيء قدير، كما أن علوه لا ينافي نزوله إلى السماء الدنيا فكذلك علوه جل وعلا لا ينافي أن يُسمع صوته وكلامه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ذلك الموضع، ولا يتبادر إلى ذهن أحد أن هذا يقتضي أن الله انتقل إلى ذلك المكان فهذه أمور في حق البشر، وهذه الأمور يتكلم بها المبتدعة تنفيرًا للناس عن إثبات ما جاء في الأدلة الشرعية، فالله نادى من ذلك المكان ولا يلزم أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان في ذلك المكان، فالله مستو على عرشه، نثبت له العلو وسمع موسى ربه في ذلك المكان، وقربه الله نجيا في ذلك المكان.

قوله: فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى.

أي عندما **قَالَ: أَنَا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ،** محمول على ما تقدم ذكره بالعلم والإحاطة.

قوله: قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ، أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ؟ قَالَ بَلْ كَلَامِي..)

من أول من ابتدع أن كلام الله عز وجل نفسي وليس بصوت؟

هو عبد الله بن كُلَّاب الذي تُنسب إليه الكُلَّابية، وأخذ الأشعري مذهب الأشاعرة على طريقة الكلابية، ومذهب الأشاعرة الذي هم عليه اليوم هو أصلًا مذهب الكلابية وأما إمامهم أبو الحسن الأشعري فقد رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات كما في كتابه الإبانة عن أصول الديانة وقرر إنه على مذهب الإمام أحمد وأنه يدين بما عليه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القرآن العظيم من كلام الله سبحانه وتعالى

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ:

٢٦ - اَلْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ-: اَلْقُرْآنُ اَلْعَظِيمُ وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ اَلْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ اَلْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ اَلْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ اَلْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

الشرح:

القرآن كلام الله، ما الدليل على أن القرآن كلام الله؟

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ﴾ [التوبة:٦]، أيضًا: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ ﴾ [الفتح:١٥]، وأيضًا: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥]، هذا في التوراة ولكن يُستدل به على أن الكتب المنزلة كلام الله، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الكهف:٢٧].

هل كلام الله تعالى محصور؟

لا حد له ولا انتهاء، والدليل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧]، لا

حد لكلام الله وليس له انتهاء: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩]، وذكر السبعة في آية سورة لقمان؛ لأن العرب كانوا يستخدمون السبعة والسبعين والسبع مائة للتكثير وإلا لو أُتي بأكثر من ذلك ما نفدت كلمات الله، ليس لها انتهاء، كلام الله صفة من صفاته وحرَّفَ المبتدعة هذه الصفة وأنكروها، منهم من قال: الكلام مخلوق يخلقه الله منفصلًا يُسمع من المكان الذي يريد الله أن يُسمع، هذا كلام الجهمية والمعتزلة، قالوا: الكلام مخلوق منفصل، والأشاعرة قالوا كلام نفساني لا يُسمع وليس فيه صوت ولا حرف، وفرق أخرى ابتدعت في مسألة الكلام بأقوال مختلفة، والصحيح مذهب أهل السنة والجماعة أن كلام الله صفة من صفاته وأن الله تكلَّمَ بنفسه جل وعلا كلامًا حقيقيًا باللفظ والمعنى بحرف وصوت.

وقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَمِنْ كَلَامِ اَللَّهِ -سُبْحَانَهُ- اَلْقُرْآنُ اَلْعَظِيمُ:** يدل على أنه لا يقول بقدم القرآن، وأن قوله المتقدم أن كلام الله قديم مراده نوع الكلام وليس مراده أن القرآن بنفسه قديم، وقول الأشاعرة القرآن قديم قولٌ باطل، القرآن من كلام الله تعالى، تكلَّمَ به عند أن أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣]، نزل به جبريل من الله جل وعلا إلى محمد: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، سمعه جبريل فنزل وأوحاه إلى نبينا محمد ﷺ، فمن الخطأ أن يقال القرآن قديم أو التوراة قديمة، فيقال القرآن من كلام الله والتوراة من كلام الله، وصفة الكلام قديم النوع حادث الآحاد، قديم النوع معناه أن الله لم يزل يتصف بصفة الكلام أزلًا، حادث الآحاد أي

متجدد لا يزال الله يتكلم متى شاء، والذين يطلقون على القرآن قديم هم الأشاعرة والكلابية والماتريدية أهل البدع.

قوله: وَهُوَ كِتَابُ اَللَّهِ اَلْمُبِينُ.

أي الواضح الذي فيه البيان للناس، فيه الأيضًاح لكل ما يحتاجونه، وفيه الهداية لكل ما يحتاجه الناس: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٥]، ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [النمل:١].

قوله: وَحَبْلُهُ اَلْمَتِينُ.

ويطلق عليه حبل؛ لأن من أخذ به أوصله إلى الخير وإلى الهداية في الدنيا والآخرة، وقد أطلق عليه النبي ﷺ حبلًا في أي حديث وعمن هو؟

في صحيح مسلم عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ**»، وجاء عند أبي بكر بن أبي شيبة وهو في الصحيح المسند عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا**».

قوله: وَصِرَاطُهُ اَلْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ.

والآيات في تنزيل القرآن الكريم كثيرة جدًا؛ ﴿ تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت:٢]، ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]، ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر:٢]، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر:١]، ﴿ إِنَّا

أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان:٣]، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣]، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، كثيرة جدًا في القرآن.

قوله: نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ اَلْمُرْسَلِينَ.

على نبينا ﷺ ، ونبينا محمد ﷺ هو سيد المرسلين وخير الأنبياء والمرسلين،

ما الدليل على ذلك؟

قوله ﷺ : «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟**»، ثم ذكر حديث الشفاعة وأنه يخر ساجدًا بين يدي الله جل وعلا، وفي حديث آخر قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»، **فماذا وقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»؟**

أولًا هذا الحديث عن أنس بن مالك في صحيح مسلم، والجواب عن هذا الحديث أنه قبل أن يوحى إليه بذلك، ولما أوحي إليه أنه سيد الناس أخبر الناس بذلك، هذا هو الأصح في الجمع بينها.

إشكال في تفضيل نبينا ﷺ مع قوله تعالى: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فكيف نفرق ونفضل، وقد قال الله: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال النبي ﷺ : «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ»؟

أولًا: الآية: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، أي من حيث الإيمان بهم، نؤمن بهم جميعًا، ومن حيث التصديق، نصدقهم جميعًا، كلهم صادقون مصدقون، وأنهم أدوا الرسالة وبلغوا ما أمرهم الله بتبليغه فنؤمن بهذا

كله، نؤمن بهم جميعًا ولا نفرق بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، ولا أيضًا نقبل عن أحدهم ولا نقبل عن الآخر: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، من جهة الإيمان والتصديق والمحبة وما أشبه ذلك، وأما حديث: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»، أي ما يفضل بينهم على سبيل التنقص بالآخر، **وإلا فقد أثبت الله التفضيل فما الدليل؟**

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، أثبت الله أن بينهم تفاضل، ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»، فلا شك أن اتخاذ الخليلين يدل على أنهما أفضل الأنبياء.

قوله: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.

والقرآن نزل باللغة العربية: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢]، وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت:٤٤]، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٥].

فهل يجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى غير العربية؟

على سبيل التفسير وبيان المعاني لا بأس، وأما على سبيل التلاوة لا يجوز، كأن يذكره على أن الله تكلم به وأنه يتلى على ذلك الحال فلا يجوز، إذًا لا بأس أن يُترجم للناس بالمعنى والتفسير لا على سبيل التلاوة والقراءة.

والقراءة في الصلاة: هل يقرأ الفاتحة باللغة الأخرى غير العربية؟

الصحيح أنه ما يقرأ، ما يجوز، وأخطأ أبو حنيفة في قوله جائز، قولٌ باطل رده العلماء؛ لأنه نزل باللغة العربية فلا يُقرأ إلا باللغة العربية، وعلى ذلك أكثر العلماء، **فإذا لم يحفظ الفاتحة فكيف يصنع؟**

يسبح ويستمر في الحفظ حتى يحفظ وييسر الله له، يأتي بالكلمات المباركة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا إذا كان حديث عهد بإسلام ما استطاع أن يحفظها، أو نشأ في بادية بعيدة ثقل عليه الحفظ، أو كبير في السن اختلط أو قارب الاختلاط والتغير ما استطاع أن يحفظ فيدل على الكلمات هذه.

خطب الجمعة: هل يخطب باللغة الأعجمية أو باللغة العربية ثم يترجم باللغة الأعجمية، أيهما؟

الآيات يقرأها بالعربي ثم يترجمها لهم، وإلا فلا بأس إذا كان الحاضرون عجم وهو يحسن الأعجمية فيخطبهم بالأعجمية ما في بأس عليه ولا كراهة بل قد يكون الأفضل؛ لأن الخطب سبيلها الوعظ والإرشاد والتعليم، فربما إذا خطبت بالعربية ما يفهمون أكثرها وإذا احتجتَ تترجم لهم ربما تطيل على الناس، فالأفضل أن تخطب فيهم بلغتهم إذا كنتَ تحسنها، وإذا أتيت على الآيات فاقرأها باللغة العربية ثم بين معناها بلغتهم.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق كلامه على القرآن:

قوله: مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

القرآن كلام الله صفة من صفاته جل وعلا، وهو منزل من الله جل وعلا، **ما الدليل على تنزيله؟**

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان:٣]، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣]، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، آيات كثيرة متعلقة بالتنزيل، منزل غير مخلوق، قولنا كلام الله فقط يُفهم منه أنه غير مخلوق؛ لأن صفات الله جل وعلا ليست مخلوقة، ولكن لما تكلم الناس وقالوا كلام الله ولكنه مخلوق، احتيج إلى البيان فقيل كلام الله غير مخلوق، وإلا فقولنا فقط كلام الله كان كافيًا في أنه غير مخلوق، كما تقول عزة الله وعلم الله وحكمة الله وبصر الله وسمع الله ما أحد يفهم أن هذه الصفات مخلوقة تعالى الله عن ذلك، ولكن لما تلكم الزنادقة والجهمية وأهل البدع في انه مخلوق أحتاج أهل السنة أن يبينوا ويقولوا أنه غير مخلوق، حتى أنكر الإمام أحمد على من اقتصر على قوله كلام الله، قال الإمام أحمد: ولما يسكت قد تكلم الناس، لابد من البيان فيقول غير مخلوق، فأنكر الإمام أحمد الاكتفاء وقال: لا يسعه أن يسكت قد تكلم الناس، وعلى هذا لابد من البيان: غير مخلوق، **ما الدليل على انه غير مخلوق؟**

أدلة أنه كلام الله هي تدل على إنه غير مخلوق بلا شك؛ لأنه صفة من صفات الله ولكن نريد أيضًا زيادة على ذلك لأنهم هم يقولون نعم هو كلام الله ولكنه مخلوق، قوله تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، فرَّقَ اللهُ جل وعلا بين الخلق والأمر، **والقرآن من أمر الله ما الدليل على ذلك؟**

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ [الشورى:٥٢]، وأيضًا بعد أن ذكر القرآن قال: ﴿ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدخان:٥]، القرآن من الأمر والأمر من كلام الله غير مخلوق: ﴿إِنَّمَا

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر:٥٠]، وهذه الآية: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، استدل بها كثير من السلف وممن استدل بها الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال لبشر المريسي: يَا دويبة ألم تسمع الله يَقُول: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، فَأخْبر أَن الْخلق غير الْأَمر.

وأيضًا من الأدلة على أنه غير مخلوق: استعاذة النبي ﷺ بكلام الله، «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**»، «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»، والإستعاذة بالكلام يدل على انه من كلام الله ولو كان مخلوقا ما جاز الإستعاذة بالمخلوق، وأيضًا مما استدلوا به على ذلك أنها من كلام الله وأن كلام الله لا نهاية له، ولو كان مخلوقًا لانتهى، المخلوق محدود، وقد قال الله عزل وجل: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩]، وأدلة أن القرآن كلام الله هي أيضًا تدل على أنه غير مخلوق؛ لأنه صفة من صفاته.

قوله: مِنْهُ بَدَأَ.

ما معنى منه بدأ؟

أي أن الكلام أبتدأ من الله حقيقة ولم يصدر من غيره، الله هو الذي تكلم به ولم يتكلم به غيره: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣]. ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢]، أيضًا الآيات التي فيها من الله، ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ ﴾ [الزمر:١، وغافر:٢، والجاثية:٢، والأحقاف:٢]، من ابتدائية.

قوله: وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

فيها تفسيران:

قيل أنه إليه يعود أي في آخر الزمان يُرفع فلا يبقى منه في الأرض آية وقد جاء في ذلك حديث وهو حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عند ابن ماجه وإسناده صحيح قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «**وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»، فيرفع القرآن في آخر الزمان من المصاحف والصدور وهذه من علامات الساعة الكبرى، يبقى شرار الناس بعدها تقوم عليهم الساعة وكذلك يُهدم البيت، هدم الكعبة كذلك من علامات الساعة الكبرى، والتفسير الثاني: أي أن الله هو الذي يتصف به فالوصف بالتكلم بالقرآن يعود إلى الله، فهو المتكلم به، وهو كلامه، فهو الذي يصوف بالكلام به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا غيره، هناك أثر جميل عن عمرو بن دينار بإسناد صحيح أخرجه جمع من الأئمة قال: "**أَدْرَكْت النَّاس مُنْذُ سبعين سنة أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ فَمن دونهم يَقُولُونَ الله خَالق وَمَا سواهُ مَخْلُوق إِلَّا الْقُرْآن فَإِنَّهُ كَلَام الله مِنْهُ خرج وَإِلَيْهِ يعود**"، وممن أخرجه الذهبي في كتابه العلو وابن أبي شيبة وابن بطة في الإبانة الكبرى، وآخرون من الأئمة، وذكر ابن بطة في الإبانة أن الأوزاعي قال: سمعتُ الزهري ومكحولا يقولان: "**القرآن كلام الله غير مخلوق**"، ونقل عن عدد من الأئمة أنهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق.

الذين ادعوا أن القرآن مخلوق من الجهمية والمعتزلة أتوا ببعض الشبهات:

كقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣]، قالوا جعلَ بمعنى خلَقَ، أي خلقناه قرآنًا عربيًا، **ما هو الجواب على هذه الشبهة؟**

أن جعلَ هنا بمعنى صيَّرَ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]، أي صيَّرناه باللغة العربية، **متى نعلم أنه بمعنى صيَّرَ ومتى يكون بمعنى خلَقَ؟**

إذا تعدى الفعل جعلَ إلى مفعولين فهي بمعنى صيَّرَ وإذا تعدى لمفعول واحد فهي بمعنى خلقَ، أما إذا كانت بمعنى صيَّرَ تتعدى لمفعولين مفعول به أول ومفعول به ثاني، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]، فقوله جعلناه الضمير الأول وهو الهاء مفعول به أول، وقرآنا مفعول به ثاني، عربيًا صفة، ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١]، هذا فيه ردٌ عليهم، لو كان جعلَ بمعنى خلقَ في كل مكان، لكان معنى هذه الآية وقد خلقتم الله عليكم كفيلًا، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، لو كان جعل بمعنى خلق إذن هناك آيات كثيرة معانيها باطلة على قولهم وعلى تفسيرهم جعل بمعنى خلق، ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١]، أي خلقتم على قولهم، ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣]، أي ما خلقَ، على قولهم معناه ان هذا ليس من خلق الله، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [الزخرف:١٩]، أي وخلقوا الملائكة على قولهم، وهذه معاني باطلة، وإنما معناها أي وصيروا الملائكة إناثًا ووصفوهم بالأنوثة فأنكر الله ذلك.

شبهة أخرى: يقولون ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر:٦٢]، عام يشمل القرآن، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر:٦٢]، **ما هو الجواب على هذه الشبهة؟**

عموم كل هنا بحسبها، وليس المراد في هذا العموم دخول الله جل وعلا في هذا العموم أو صفاته وإنما جميع المخلوقات، أما الله وصفاته فالله هو الخالق وما

سواه مخلوق، فلا يدخل ربنا جل وعلا في هذا العموم ولا صفاته فإنها صفات الله الخالق جل وعلا فلا تدخل في المخلوق، فالعموم المراد به عموم المخلوقات داخلات في هذا العموم: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢]، والقرآن كلام الله صفة من صفاته لا تدخل في هذا العموم، إذن المراد عموم المخلوقات، كل المخلوقات الله خالقها، وإلا فقد أطلقَ اللهُ على نفسه شيء فهل سيقولون أن الله جل وعلا خلق نفسه تعالى عن ذلك هذا قول كفر وردة، فالله هو الخالق وما دونه مخلوق، **أين أطلقَ اللهُ على نفسه شيء؟**

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام:١٩]، وأيضًا يُرد عليهم بعموم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥، الأنبياء:٣٥، العنكبوت:٥٧]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضًا له نفس: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦]، وقال الله عز وجل: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه:٤١].

فهل نفس الله داخلة في هذا العموم؟ الجواب: لا، ولو قالوا داخلة في هذا العموم لكفروا كفرًا بواحًا، وإنما يدخل في عموم ذلك كل نفس كتب الله عليها الموت من الإنس والجن والملائكة إلا من استثناه الله، فهذه شبه باطلة وكلامهم باطل.

ومما ذكروا أيضًا من الشبه: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء:٢، وانظر الشعراء:٥]، **قالوا: القرآن مُحدث بمعنى مخلوق! ما هو الجواب على هذه الشبهة؟**

المُحدث هنا بمعنى الجديد، في لغة العرب معروف لديها هذا الأمر، فليس المُحدث هنا بمعنى المخلوق.

وشبهة أخرى: قالوا قول رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»، قالوا هذا يدل على أنهما مخلوقة، **ما الجواب على هذه الشبهة؟**

الذي يتحول هكذا هو عمل القارئ الذي هو الأجر والثواب، يجعل الله الأجر والثواب في صور محسوسة، فتلاوة الرجل الصالح وعمله وقراءته وحفظه يجعله الله عز وجل في صور محسوسة، يجعل الله أجره وثوابه كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، فالمراد قراءة القرآن، وليس المراد القرآن نفسه، فالقرآن كلام الله، وهذا أمر واضح، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»، فتثقل بها الموازين والمراد بها عمل الإنسان ، يجعل الله له ثقل، إما بنفسه بأن يجعله في صورة شيء محسوس كما جعل الموت في صورة كبش فيُذبح بين الجنة والنار، أو في الصحائف، يُكتب في الصحف ويُجعل الثِقل في الصحيفة كما في حديث البطاقة، «**فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ، حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ**»، فتطيش السجلات، أو صاحب العمل، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ –هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ صَعِدَ شَجَرَةً يَجْتَنِي [سِوَاكًا مِنْ أَرَاكٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَجِبُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«**لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**» ، إذن فالذي يتحول في صورة شيء محسوس هو الأجر والثواب أو صاحب العمل وهو القارئ أما القرآن فهو كلام الله غير مخلوق، **هل تلاوة القارئ وصوته مخلوق؟** نعم؛ صوت القارئ وتلاوته مخلوق، فهو فعله وفعل القارئ مخلوق، حتى عبَّرَ بعض العلماء بقولهم: الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري، وكذلك ينبغي أن يُفرق بين فعل العبد وبين المتلو، المتلو المقروء المكتوب في الصحف هو كلام الله جل وعلا، والتلاوة أو القراءة أو الكتابة التي هي فعل العبد مخلوقة.

ومن الأمور المجملة التي قد يُحتاج إلى تنبه لها، قول القائل: تلاوتي بالقرآن مخلوقة أو لفظي بالقرآن مخلوق، هذا فيه إجمال، ينبغي أن يُتجنب هذه العبارة؛ لأن قوله لفظي بالقرآن مخلوق أو تلاوتي بالقرآن مخلوقة قد يراد به اسم المفعول، فهذه المصادر قد تطلق ويُراد بها اسم المفعول وهو المتلو، هذه تسمى مصادر: قراءة لفظ تلاوة، ولذلك صار بعض الجهمية يفرحون بهذه العبارة ليتوصلوا إلى القول بخلق القرآن، يقول لفظي أو قراءتي بالقرآن مخلوق لأن الذي يسمعه يظن أنه يقصد الفعل؛ لأن المصدر قد يُطلق ويراد به الفعل، فعل العبد، وقد يطلق ويراد به المفعول به أي المتلو الملفوظ المقروء، وأما إذا أطلقه السني فيريد به فعل نفسه الذي هو التلاوة والصوت، والجهمي يريد بها المتلو والمقروء، من أجل هذا الأمر أنكر الإمام أحمد هذا اللفظ، ونقلوا عن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال هذه المقالة وهو لم يقلها بنصها إنما قال معناها: أفعال العباد مخلوقة أصواتهم مخلوقة، وألف كتابًا سماه خلق أفعال العباد، وبين فيه أن أصواتهم مخلوقة وأن تلاوتهم التي فعلهم مخلوقة، فنسب إليه أنه يقول لفظي بالقرآن مخلوق، وتجرأ عليه أناس

فقالوا أنه يقول بقول الجهمية حتى ابتلي وامتحن بهذا الأمر، وهو بريء مما اتهم به، إنما كان يقول بقول أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد مخلوقة وهذا كلام حق، فالإمام الخباري من أئمة أهل السنة والجماعة، وعصمه الله من أقوال الجهمية والمبتدعة والقدرية، وقد بوب في صحيحه على كلام الله جل وعلا وأثبتَ صفة الكلام، وألف كتابًا أيضًا في ان أفعال العباد مخلوقة، إن شاء الله فُهمَ مراد الإمام البخاري في المسألة، إنما مراده ان فعل العبد مخلوق.

❁ قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٢٧ - وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ.

مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرُ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

الشرح:

قال: وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ.

سور جمع سورة، وسميت سورة لأنها تجمع الآيات، وقد وردت أحاديث كثيرة في تسميتها سورة، قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ

﴿وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١-٣]، أخرجه مسلم عن أنس، وقال النبي - ﷺ -: «سُورة مِن القرآن ثلاثون آيةً تشفعُ لصاحبها حتى يُغفرَ له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١]»، أخرجه أبو داود عن أبي هريرة: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، الأدلة متواترة في تسميتها سورة من أحاديث النبي ﷺ ومن أقوال الصحابة كثير.

قوله: مُحْكَمَاتٌ، ما المراد المحكم هنا؟

المتقن المبين: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، فهي في غاية الإحكام والإتقان والبلاغ والبيان.

قوله: وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ.

وكل سورة تحتوي على آيات قلَّتْ أو كثرت، **بَيِّنَاتٌ**: أي واضحات فيها البيان الواضح الذي لا مرية فيه: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص:٢٩].

هل نزلت السور على نبينا ﷺ كاملة أو على آيات ثم آيات حتى تتم السورة؟

بعض السور نزلت كاملة، وبعضها نزلت متفرقة على آيات ثم آيات، وكان ﷺ يقول للصحابة كما ثبت في مسند أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نُزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ، فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا»، وَإِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، قَالَ: «ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا»، وَإِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ، قَالَ:

«**ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا**»، فما تزل كاملًا فلا إشكال فيه وما نزل متفرقًا فقد جاء البيان أنه ﷺ كان يأمرهم بوضع الآيات في مكانها: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**﴾ [الإسراء:١٠٦]، أي مفرقًا شيئًا بعد شيء: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ [الفرقان:٣٢]، كَذَلِكَ أي أنزلناه مفرقًا، فمن حكمة الله في إنزاله متفرقًا هو تثبيت نبينا ﷺ وبيان أنه لا يأتي بشيء من قبل نفسه وإنما ينتظر حتى ينزل عليه الوحي.

إشكال: ألم يقل الله جل وعلا: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]، أي أُنزلَ القرآن في ليلة واحدة، وقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة:١٨٥]، يُشعر قوله القرآن أنه نزل كاملًا؟

ثبت عن ابن عباس بسند صحيح عند ابن أبي شيبة وعند أبي عبيد في فضائل القرآن وعند غيرهما أنه قَالَ: «**نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي رَمَضَانَ، فَكَانَ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ شَيْئًا أَحْدَثَهُ**»، ثم نزل مفرقًا على نبينا محمدًا ﷺ على ثلاث وعشرين سنة من حين أوحي إليه حتى توفي ﷺ ، «**نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»، هذا الأثر وإن كان موقوفًا فله حكم الرفع ولم يثبت مرفوعًا عن النبي ﷺ ومن رفعه فهو واهم، وبعضهم أجاب بجواب آخر قالوا: أُنزلَ في ليلة القدر أي ابتداء إنزاله: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ [البقرة:١٨٥]، يعني ابتداء إنزاله في ليلة القدر، ولكن ما ذكره ابن عباس أقرب، أولًا هو قول صحابي لا يُعلم له مخالف في هذه المسألة، ثانيًا الآية تُشعر بنزول القرآن كاملًا: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ [البقرة:١٨٥]، فقوله القرآن

يُشعر بأنه نزل كاملًا، وأيضًا قوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان:٣]، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر:١]، أنزلَ تذكر في إنزال الكتاب كالملا، وإذا أراد بعض الآيات قال: ﴿ نَزَّلَ ﴾ أي: بدأنا تنزيله، ولما ذكر الكتب القديمة ذكرها بلفظ أنزلَ ولما ذكر القرآن ذكره بلفظ: ﴿ نَزَّلَ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٦]. فالأصح ما ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله حكم الرفع.

هل يلزم من إنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا أن يكون الله قد تكلم به في ذلك الوقت؟

لا يلزم؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم كل ما هو كائن، كل ما سيكون فالله يعلمه، فقد علم الله بهذا الكلام وأمر بكتابته وأُنزل إلى بيت العزة، كما أنه قد كُتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، **ما الدليل على أن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ؟**

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، وأيضًا عموم قوله تعالى: «فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، وأيضًا من الآيات الصريحة في المسألة: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٨]، يعني اللوح المحفوظ: ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]، يعني الملائكة، وقال أيضًا في سورة عبس: ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس:١٣-١٦]، وهو مكتوب كاملًا في اللوح المحفوظ.

وهل هو مكتوب في الكتب المتقدمة؟

في الكتب السابقة مجرد ذكر القرآن ونزوله على نبينا ﷺ: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء:١٩٦-١٩٧]، مذكور كما ذكر نبينا في الكتب المتقدمة، مجرد ذكر القرآن وليس المراد ذكر الآيات والسور فيها، فإنه إنما أُنزل على نبينا ﷺ ولو كان مذكورًا في الكتب السابقة لكان قد أُنزل عليهم، وقد أجمع العلماء على أنه ليس المراد بذكره بكلماته وإنما المراد مجرد ذكر اسم القرآن وبيان نزوله على نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٦]، أي الكتب المتقدمة.

قال: **وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ**: هذا يدل على أن ابن قدامة على مذهب أهل السنة والجماعة أن كلام الله بحروف، وليس كما يقول الكلابية ومن تبعهم من الأشعرية والماتريدية والمبتدعة الذين قالوا هو كلام نفساني لا بحرف ولا صوت، بل هو بحرف وصوت سمعه جبريل ثم أوحى به إلى نبينا ﷺ ، وهذا أمر لا شك فيه، القرآن لا شك فيه أنه كلامٌ وجميع العرب يعلمون هذا أنه كلمات وأنه بحروف وأنه من الله وليس من تعبير جبريل ولا من حكاية جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، القرآن كلام الله نسبه الله إليه: ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٦]، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [الفتح:١٥]، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأنعام:١١٥]، نسب الله جل وعلا الكلام إليه.

إشكال: قد نسب اللهُ الكلام إلى جبريل: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير:١٩-٢٠]، فنسب المقالة إلى جبريل؟

قول تبليغ وليس كلامه ابتداء، وبلغه العلماء، فالكلام ينسب إلى من تكلم به ابتداء، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نقله، **وإلا لكان هناك تناقض؛ لأن الله قد نسبه إلى نبينا ﷺ، في أي سورة؟**

في سورة الحاقة: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، فتبين ان النسبة إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى نبينا محمد ﷺ نسبة تبليغ، وليس المعنى أنهم هم الذين تكلموا بهذا الكلام ابتداء، وإنما بلغوا، ويدل على ذلك أنه تعالى وصفهم بوصف الرسالة، فهم مرسلون، بلغوا ما أُتمونوا به، وأيضًا تبين من آيات سورة لحاقة أنه أراد نفي انه شعر أو سحر أو كهانة، فأراد أن يبين أن هذا قول نبي كريم أوحاه إليه جبريل الأمين من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلم يتعلمه ولم يأخذه من بشر ولا هو بسحر ولا بشعر ولا بكهانة.

الأشاعرة قالوا عبَّر عما في نفس الله، والكلابية قالوا حكى عما في نفس الله، فما الفرق بين عبَّر وحكى؟

من حيث الجملة ارادوا أن جبريل هو الذي أتى بهذه الألفاظ، والمعنى واحد من حيث أن جبريل هو الذي أتى بهذه الألفاظ، ولكن هناك فرق دقيق بين العبارتين: الحكاية أي حكى اللفظ بنفسه، والتعبير أي ذكر الكلام ولو بالمعنى.

قوله: مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ: فَأَعْرَبَهُ.

أي: أحسن في قراءته وأعطاه حقه بحيث أنه ما يلحن فيه، حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»،

روي مرفوعًا وموقوفًا والراجح وقفه على عبد الله بن مسعود وله حكم الرفع، قد جاء في بعض رواياته فأعربَ، هذا يدل على بركة عظيمة في تلاوة القرآن، أجور عظيمة، فالقرآن مبارك عظيم، تلاوته فيها الأجور العظيمة وحفظه فيه العلم الغزير العظيم، ومعرفة معانيه ينتفع بذلك المسلم انتفاعًا عظيمًا من الوعظ والزهد والأحكام الشرعية وغيره، ولا يمل المسلم من قراءة القرآن مهما كرر قراءته لا يمل وهذه من المعجزات والآيات والبركة التي في القرآن، لو تقرأ كتابًا آخر تمل من قراءته وأما القرآن مع تدبره لا يشبع الإنسان من قراءته **وإنما إذا حصل شيء من الملل فبسبب عدم** التدبر وعدم إقبال القلوب عليه وبسبب المعاصي، قد كان من دعاء النبي ﷺ : «**اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**»، فلو أُعطي القرآن حقه من التدبر ما شبع الإنسان من تلاوته ولا من قراءته.

قوله: لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ.

وهذا معلوم فأوله سورة الفاتحة، وآخره سورة الناس.

قوله: وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ.

والأجزاء جزئ القرآن كما هو معروف عند المتأخرين على ثلاثين جزءًا، وعلى ستين حزبًا، كل جزء يحتوي على حزبين، وكان للصحابة تجزئة أخرى، فعَنْ أَوْسٍ

بْنِ حُذَيْفَةَ، قَالَ: سَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفَصَّلِ مِنْ قَاف حَتَّى يُخْتَمَ؛ هذا لفظ أحمد ولفظ أبي داود: قال أوس: سألت أصحابَ رسول الله - ﷺ - كيف يُحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاثٌ، وخمسٌ، وسبعٌ، وتسعٌ، وإحدى عشرة، وثلاثَ عشرةَ، وحِزبُ المفصّل وحدَه.

الحديث في سنده ضعف، ولكن اشتهر حزب المفصل دل على أن للحديث أصل، وذكر الحديث ابن كثير في تفسير أول سورة ق، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا عُلِمَ هَذَا فَإِذَا عَدَدْتَ ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سُورَةً فَالَّتِي بَعْدَهُنَّ سُورَةُ ق، بَيَانُهُ ثَلَاثٌ: الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءُ. وَخَمْسٌ: الْمَائِدَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْأَعْرَافُ وَالْأَنْفَالُ وَبَرَاءَةُ. وَسَبْعٌ: يُونُسُ وَهُودٌ وَيُوسُفُ وَالرَّعْدُ وَإِبْرَاهِيمُ وَالْحِجْرُ وَالنَّحْلُ. وَتِسْعٌ: سُبْحَانَ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وَطَهَ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْحَجُّ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالنُّورُ وَالْفُرْقَانُ. وَإِحْدَى عَشْرَةَ: الشُّعَرَاءُ وَالنَّمْلُ وَالْقَصَصُ وَالْعَنْكَبُوتُ وَالرُّومُ وَلُقْمَانُ والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس. وثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق وَالزُّخْرُفُ وَالدُّخَانُ وَالْجَاثِيَةُ وَالْأَحْقَافُ وَالْقِتَالُ وَالْفَتْحُ وَالْحُجُرَاتُ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْحِزْبُ الْمُفَصَّلُ كَمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. فَتَعَيَّنَ أَنَّ أوله سورة ق. وهو الذي قلنا ولله الحمد والمنة. انتهى.

هذا على البدء بالبقرة، فلو أضفنا الفاتحة قبلها فيكون أوله من الحجرات، من أجل ذلك ذكر بعض أهل العلم أن أول المفصل من الحجرات.

قوله: **وَأَبْعَاضٌ:** جمع بعض، وهذا أمر لا شك فيه، كل سورة هي تعتبر بعض القرآن بل كل آية هي بعض من القرآن.

قوله: مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَة، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُور.

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٩].

قوله: مَسْمُوعٌ بِالْآذَان، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِف.

فالمتلو والمحفوظ والمسموع والمكتوب هو كلام الله، وأما الكتابة نفسها فهي من فعل الآدمي مخلوقة والمكتوب هو كلام الله جل وعلا، فالقرآن المحفوظ المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور المسموع بالآذان المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق، صفة من صفات الله جل وعلا، فيُفرِّق المسلم بين كلام الله وبين الكتابة والتلاوة، فلا يلتبس عليه هذا بهذا، الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري.

قوله: فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ.

المحكم ما معناه إذا قابله بالمتشابه؟

المُحكم: هو الذي يعلمه الناس، لا يتلبس على الناس معناه، محكمٌ بينٌ واضح، المعروف المعنى، والمتشابه ما التبس معناه على الناس جميعًا أو على غير الراسخين في العلم، على التفسيرين، تقدم معنا التنبيه عليهما في أول الكتاب.

قوله: وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ.

سواء نُسِخَ الحُكم أو نسختْ القراءة، ولكن يظهر هنا أنه أراد ما يتعلق بالحكم، والمنسوخ هو الذي رُفِعَ حُكمه أو رُفعتْ تلاوته، والناسخ ما أثبت الله

عز وجل فيه الحكم أو التلاوة، وكذا يوجد من المنسوخ ما رُفِعَ حكمه وتلاوته كلها، **المنسوخ ثلاث أقسام:**

منسوخ التلاوة والحكم باقي؛ مثل: حديث أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، وأيضًا آية الرجم: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ ".

منسوخ الحكم والتلاوة باقية؛ مثل: ﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:١٨٤]، خيَّره بين الصيام وبين الإطعام ثم نُسخت بقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة:١٨٥]، وأمثلت هذا النوع هي الأكثر في كتاب الله، ومن ذلك أيضًا: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ** ﴾ [البقرة:٢٤٠]،

منسوخ الحكم والتلاوة؛ مثل: ما جاء في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: " كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ ".

مسألة: تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءًا؟

ليس في المسألة كبير كلام في هذا الموضع، ولكن ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يعتبر مختصر في هذه المسألة، (في ج١٣ ص٤٠٩) من مجموع الفتاوى تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلام طيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حديث أوس الذي تقدم معنا وأنهم جعلوا القرآن سبعة أحزاب، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا جَعَلُوهُ سَبْعَةَ أَحْزَابٍ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ ثَلَاثَةً وَلَا خَمْسَةً وَفِيهِ أَنَّهُمْ حزبوه بِالسُّورِ وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ أَوَّلَ مَا جُزِّئَ الْقُرْآنُ بِالْحُرُوفِ تَجْزِئَةُ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ، هَذِهِ الَّتِي تَكُونُ رُءُوسُ الْأَجْزَاءِ وَالْأَحْزَابِ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ وَأَثْنَاءِ الْقِصَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ كَانَ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ وَمَا بَعْدَهُ وَرُوِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَمَرَ بِذَلِكَ، وَمِنْ الْعِرَاقِ فَشَا ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ. انتهى.

قد ذكر ابن أبي دواد في كتابه المصاحف إسناده إلى الحجاج أنه جمع القراء وأمرهم ان يعدوا حروف المصحف كاملة فعدوه فأجمعوا على أنه ثلاث مائة وأربعين ألفًا وسبع مائة وبضعة وأربعين حرفًا، ثم أمرهم أن يوقفوه على نصف القرآن، فأجمع القراء على أن نصف القرآن عند حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ** ﴾ [الكهف:١٩]، ثم أمرهم أن ينظروا أرباع القرآن فوجدوا الربع الأول ينتهي في آخر سورة الأنعام، والربع الثاني ينتهي في قوله: ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ** ﴾ [الكهف:١٩]، والربع الثالث في آخر سورة الزمر، والربع الرابع في آخر المصحف،

أرباع، وأمرهم أيضًا أن يحسبوا له أثلاث القرآن فحسبوا فوجدوا الثلث الأول على رأس مائة من سورة براءة، والثلث الثاني مائة وواحد من سورة الشعراء، والثلث الأخير إلى آخر المصحف، هذا الذي ورد عن الحجاج في ذلك الإسناد، واشتهر أيضًا في بعض الكتب ذكر ذلك عن الحجاج بن يوسف أنه جمع القراء على ذلك، لا فائدة كبيرة في هذا الأمر، وأيضًا اعتبروا بعدد الكلمات وهذا أشار ابن تيمية إلى استنكاره في قوله: هَذِهِ الَّتِي تَكُونُ رُءُوسُ الْأَجْزَاءِ وَالْأَحْزَابِ فِي أَثْنَاءِ السُّورَةِ وَأَثْنَاءِ الْقِصَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ يعني ربما جعلوا الجزء أو نصف الجزء أو نحو ذلك في قصة يفصلون بعضها عن بعض، وربما يكتفي القارئ إلى رأس الجزء والقصة مرتبط بعضها ببعض، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [يوسف:٥٣]، هي ضمن القصة التي قبلها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ [الكهف:٧٢]، متعلقة بالقصة، أما التجزئة إلى ثلاثين جزءًا أشار شيخ الإسلام هنا إلى أنه قد حصل بعد الحجاج شيء من ذلك قال: كَانَ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ وَمَا بَعْدَهُ.

ولم يُنقل أن الحجاج هو الذي جزأه إلى ثلاثين جزءًا عزاه بعضهم إليه ولكن لم يوجد في الأسانيد، ووجد ما يُشعر بأنه نقل عن أبي بكر بن عياش، فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرسة، ذكر كتبًا متعلقة بتجزئة القرآن، ومما ذكره قال: أسباع القرآن لحمزة الزيات، وكأنه جزَّئه إلى سبعة أجزاء، وذكر أيضًا كتابًا اسمه أجزاء ثلاثين قال عن أبي بكر بن عياش، فيحتمل أن يكون من أول إن لم يكن أول من ذكره أبو بكر بن عياش التجزئة إلى ثلاثين جزءًا، فأول من وجدنا عنه ذلك هو أبو بكر بن عياش فيما وقفنا عليه، ثم تجزئة الجزء إلى قسمين وتسميتها أحزاب إلى

ستين حزبا، كلام شيخ الإسلام يدل على أنه وقع في القرن الثاني في زمن الحجاج وما بعده، فهذه التجزئة إلى ثلاثين جزءا وإلى ستين حزبًا ثم تقسمت الحزب الواحد إلى أربعة أقسام وهي المسماة أثمان، هذه تقسمةٌ بعد عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وكان كثير من الناس مقصودهم من هذه التجزئة إما التيسير على الحفاظ أن يحفظوا أو على القراء أن يقرأوا، من أراد أن يقرأ القرآن على سبعة أيام يقرأ فيقرأ كل يوم سبع، وعلى عشرة أيام يقرأ كل يوم عشر، أو في ثلاثة أيام فثلث القرآن.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَإِذَا كَانَتْ التَّجْزِئَةُ بِالْحُرُوفِ مُحْدَثَةً مِنْ عَهْدِ الْحَجَّاجِ بِالْعِرَاقِ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّحَابَةَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ كَانَ لَهُمْ تَحْزِيبٌ آخَرُ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُقَدِّرُونَ تَارَةً بِالْآيَاتِ فَيَقُولُونَ: خَمْسُونَ آيَةً سِتُّونَ آيَةً. وَتَارَةً بِالسُّوَرِ لَكِنَّ تَسْبِيعَهُ بِالْآيَاتِ لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ وَلَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فَتَعَيَّنَ التَّحْزِيبُ بِالسُّوَرِ. فَإِنْ قِيلَ: فَتَرْتِيبُ سُوَرِ الْقُرْآنِ لَيْسَ هُوَ أَمْرًا وَاجِبًا مَنْصُوصًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْكُولٌ إلَى النَّاسِ؛ وَلِهَذَا اخْتَلَفَ تَرْتِيبُ مَصَاحِفِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

إلى أن قال: قِيلَ: لَا رَيْبَ أَنَّ قِرَاءَةَ سُورَةٍ بَعْدَ سُورَةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُرَتَّبًا، أَكْثَرُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ التَّرْتِيبَ يَكُونُ أَنْوَاعًا كَمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحْرُفٍ وَعَلَى هَذَا فَهَذَا التَّحْزِيبُ يَكُونُ تَابِعًا لِهَذَا التَّرْتِيبِ.

ثم قال: وَهَذَا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ هُوَ الْأَحْسَنُ؛ لِوُجُوهِ: "**أَحَدُهَا**" أَنَّ هَذِهِ التحزيبات الْمُحْدَثَةَ تَتَضَمَّنُ دَائِمًا الْوُقُوفَ عَلَى بَعْضِ الْكَلَامِ الْمُتَّصِلِ بِمَا بَعْدَهُ حَتَّى يَتَضَمَّنَ الْوَقْفَ عَلَى الْمَعْطُوفِ دُونَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فَيَحْصُلَ الْقَارِئُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مُبْتَدِئًا بِمَعْطُوفٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ**

أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء:٢٤](٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الأحزاب:٣١]، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ، وَيَتَضَمَّنُ الْوَقْفَ عَلَى بَعْضِ الْقِصَّةِ دُونَ بَعْضٍ - حَتَّى كَلَامُ الْمُتَخَاطِبَيْنِ - حَتَّى يَحْصُلَ الِابْتِدَاءُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِكَلَامِ الْمُجِيبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٧٢]، وَمِثْلُ هَذِهِ الْوُقُوفِ لَا يَسُوغُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ إِذَا طَالَ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا بِأَجْنَبِيٍّ؛ وَلِهَذَا لَوْ أُلْحِقَ بِالْكَلَامِ عَطْفٌ أَوْ اسْتِثْنَاءٌ أَوْ شَرْطٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْفَصْلِ بِأَجْنَبِيٍّ لَمْ يَسُغْ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَلَوْ تَأَخَّرَ الْقَبُولُ عَنْ الْإِيجَابِ بِمِثْلِ ذَلِكَ بَيْنَ الْمُتَخَاطِبَيْنِ لَمْ يَسُغْ ذَلِكَ بِلَا نِزَاعٍ.

" **الثَّانِي** ": أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ عَادَتُهُ الْغَالِبَةُ وَعَادَةُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَقْرَأَ فِي الصَّلَاةِ بِسُورَةِ ك (ق وَنَحْوِهَا وَكَمَا كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ " بِيُونُسَ " و " يُوسُفَ " و " النَّحْلِ)، وَلَمَّا قَرَأَ ﷺ بِسُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْفَجْرِ أَدْرَكَتْهُ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ فِي أَثْنَائِهَا. وَقَالَ: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ لِمَا أَعْلَمُ مِنْ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ**»، وَأَمَّا " الْقِرَاءَةُ بِأَوَاخِرِ السُّوَرِ وَأَوْسَاطِهَا " فَلَمْ يَكُنْ غَالِبًا عَلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا يُتَوَرَّعُ فِي كَرَاهَةِ ذَلِكَ وَفِيهِ النِّزَاعُ الْمَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ وَمِنْ أَعْدَلِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ قَالَ يُكْرَهُ اعْتِيَادُ ذَلِكَ دُونَ فِعْلِهِ أَحْيَانًا؛ لِئَلَّا يَخْرُجَ عَمَّا مَضَتْ بِهِ السُّنَّةُ. وَعَادَةُ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَعْلُومٌ

---

(٤) معطوف على المحرمات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء:٢٣]، إذن هذا الأمر مكروه أن يقطع الكلام المتصل بعضه ببعض.

أَنَّ هَذَا التَّحْزِيبَ وَالتَّجْزِئَةَ فِيهِ مُخَالَفَةُ السُّنَّةِ أَعْظَمُ مِمَّا فِي قِرَاءَةِ آخِرِ السُّورَةِ وَوَسَطِهَا فِي الصَّلَاةِ وَبِكُلِّ حَالٍ فَلَا رَيْبَ أَنَّ التَّجْزِئَةَ وَالتَّحْزِيبَ الْمُوَافِقَ لِمَّا كَانَ هُوَ الْغَالِبَ عَلَى تِلَاوَتِهِمْ أَحْسَنُ. و " الْمَقْصُودُ " أَنَّ التَّحْزِيبَ بِالسُّورَةِ التَّامَّةِ أَوْلَى مِنْ التَّحْزِيبِ بِالتَّجْزِئَةِ.

"الثَّالِثُ": أَنَّ التَّجْزِئَةَ الْمُحْدَثَةَ لَا سَبِيلَ فِيهَا إلَى التَّسْوِيَةِ بَيْنَ حُرُوفِ الْأَجْزَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحُرُوفَ فِي النُّطْقِ تُخَالِفُ الْحُرُوفَ فِي الْخَطِّ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ يَزِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ وَتَخْتَلِفُ الْحُرُوفُ مِنْ وَجْهٍ.

وَإِذَا كَانَ تَحْزِيبُهُ بِالْحُرُوفِ إنَّمَا هُوَ تَقْرِيبٌ لَا تَحْدِيدٌ كَانَ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ تَجْزِئَتِهِ بِالسُّوَرِ هُوَ أيضًا تَقْرِيبٌ فَإِنَّ بَعْضَ الْأَسْبَاعِ قَدْ يَكُونُ أَكْثَرَ مِنْ بَعْضٍ فِي الْحُرُوفِ وَفِي ذَلِكَ مِنْ الْمَصْلَحَةِ الْعَظِيمَةِ بِقِرَاءَةِ الْكَلَامِ الْمُتَّصِلِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَالِافْتِتَاحِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ السُّورَةَ وَالِاخْتِتَامِ بِمَا خَتَمَ بِهِ وَتَكْمِيلِ الْمَقْصُودِ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ مَا لَيْسَ فِي ذَلِكَ التَّحْزِيبِ، وَفِيهِ أيضًا مِنْ زَوَالِ الْمَفَاسِدِ الَّذِي فِي ذَلِكَ التَّحْزِيبِ مَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِهَا فَصَارَ رَاجِحًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

ليس مراد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبديع هذا الأمر وإنما والله أعلم أراد أنه لم يكن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فالأولى أن يبقى على ما كان عليه الصحابة؛ لأنه عبارة عن تقريب لهذا الأمر، ولم ينكر العلماء هذا الأمر ولم يحكموا بفساده ولم يحذروا منه، ولا ينبغي أن يُشكك الناس بهذا الأمر فليبقى الأمر على ما هو عليه وإنما يبين أن هذه التجزئة ليست عن الصحابة إنما هي من اجتهادات بعض القراء في القرن الثاني من الهجرة، وأن الأفضل أن لا يقف الإنسان على رأس الجزء إذا كان لم ينتهي به الكلام أو تنتهي به القصة، بل يسترم حتى يتم

الكلام والمعنى والقصة، ثم لا بأس أن يقف، فلا يتحرى الأعلام وتترك المعاني، وهذا كلام للجنة الدائمة (ج٤ ص٣): لا نعلم شيئًا يدل على التحزيب المثبت على هوامش المصاحف التي بيد الناس اليوم، والوارد عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك ما رواه أوس بن حذيفة قال: (سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف يحزبون القرآن؟ وذكروا حديث أوس بن حذيفة.

ونقل صاحب كتاب "المحرر في علوم القرآن" (ص٢٨٥) عن لجنة طباعة المصحف الشريف في المدينة النبوية قولهم: وأخذ بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأنصافها وأرباعها من كتاب "غيث النفع" للعلامة السفاقسي، وغيره من الكتب.

معناه أن هذا التقسيم في كتاب "غيث النفع" للعلامة السفاقسي، وغيره من الكتب.

قوله: وَخَاصٌّ وَعَامٌّ.

واللفظ العام هو الذي يستغرق أفرادا كثيرة تحت النص العام، والخاص هو ما دل على مسألة بعينها أو على فرد بعينه، وموضع هذا في أصول الفقه في التمييز بين العالم والخاص ومعرفة الألفاظ التي تدل على العموم والتي تدل على الخصوص.

قوله: وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ.

كذلك موضوعه أصول الفقه.

قوله: **قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**: ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ [محمد:٢٠].

وهذا موجود في بعض النسخ دون بعض، استدل بهذه الآية على ما يتعلق بقوله محكمة.

قوله: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

.....

.....

.....

[ذكر بعض أقوال المكذبين بالقرآن والرد عليهم]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٢٨ - وَهُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّذِي قَالَ فِيهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [سبأ:٣١].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٢٥]، فَتَوَعَّدَهُ اللهُ، فَقَالَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:٢٦].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس:٦٩].

فَلَمَّا نَفَى اَللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ وأثبته قرآنًا، لَمْ يُبْقِ شُبْهَةً لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّذِي هُوَ كلماتٌ وَحُروفٌ وآياتٌ، لأنَّ مَا ليسَ كذلكَ لا يقولُ أَحَدٌ: إِنَّهُ شِعْرٌ.

(عُلم أوله وآخره فمن زعم القرآن اسمًا لغيره بأن جهله وحمقه)[٥].

الشرح:

قوله: وَهُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ.

أي أن الله أنزله بالعربية.

---

[٥] ما بين القوسين ليس في المتن.

قوله: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٢٥]، فتوعده الله فَقَالَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:٢٦].

فيمن نزلت الآية، من هذا المتقوِّل؟ الوليد بن المغيرة، كما جاء في سبب النزول وهو ثابت بمجموع طرقه، قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: "يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا". قال: لم؟ قال: ليعطوكه فأنت أتيت محمد لتعرض ما قيل له، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول، فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضي عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [المدثر:١١-١٣]، الآيات، مذكور في أسباب النزول وقد اختلف في وصله وإرساله، ولكن له ما يشهد له، تقولات، قد علم أصحاب العقول المنصفون من الكافر أنفسهم أنه ليس بشعر، ولا بالكهانة ولكنه العناد والبغي والإعراض والاستكبار ساقهم إلى الرد فكفروا، واستكبروا وعاندوا وقلدوا أباءهم وأكثر حجتهم كيف سنترك دين آبائنا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٢]، التقليد

الذي جعلهم يستمرون، حتى أن عم النبي ﷺ أبا طالب كاد أن يسلم لولا جلساء السوء الذين عيروه، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ: آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

أعوذ بالله، جلساء السوء مصيبة والتقليد مصيبة أعظم.

قوله: (..لَمْ يُبْقِ شُبْهَةً لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ اَلْقُرْآنَ هُوَ هَذَا اَلْكِتَابُ اَلْعَرَبِيُّ اَلَّذِي هُوَ كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر).

والمعنى أنه لولا أنه حروف وكلمات وآيات ما استطاعوا أن يدعوا أنه شعر؛ لأن ما ليس بحروف وكلمات ما يكون حتى شعرًا، حتى العرب وكفار قريش أعقل من الأشاعرة في هذا الأمر حيث قالوا كلام نفساني وليس بحروف ولا بكلمات إلى آخره، وهكذا من زعم أنه اسما لغيره؛ أي وصفا لغير الله جل وعلا، فهذا باطل، فالقرآن صفة من صفات الله، فالله هو الذي تكلم به ولم يتكلم به غيره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٢٩ - وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [البقرة:٢٣].

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ.

الشرح:

قوله: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ.

في هذا رد على المفوضة الذين يقولون لا يُدرى ما معنى الصفات، الله أعلم بمعناها، فكيف يتحداهم بكلام لا يُدرى ما معناه، هذا باطل، هذا رد على المفوضة، وهذا ينفي عن ابن قدامة مذهب التفويض.

تحدى الله الأنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم تحداهم بما هو أقل أن يأتوا بعشر سور مثله، ثم تحادهم أن يأتوا بسورة واحدة، وتحداهم أن يأتوا بحديث مثله، ولو آية واحدة، وعجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فهو كلام الله الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود:١٣]، والآية الأخرى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨]، ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣]، ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور:٣٤].

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٣٠- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ [يونس:١٥]، فَأَثْبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ.

الشرح:

ومعناه إنما كُتِبَ في القرآن هو كلام الله وهو الآيات التي ذكرها الله عز وجل، وهي الآيات التي تحدى الله عز وجل الجن والإنس أن يأتوا بمثلها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٣١- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩]. بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ.

الشرح:

قوله: وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾.

كذلك ما يُحفظ في الصدور هو كتاب الله.

قوله: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ..﴾

كتاب مكنون أي اللوح المحفوظ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٣٢- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كهيعص ﴾ [مريم:١]، ﴿حم * عسق ﴾ [الشورى:١-٢]، وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ.

٣٣- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الشرح:

قوله: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كهيعص ﴾ [مريم:١]، ﴿ حم * عسق ﴾ [الشورى:١-٢]، وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ.

أي أنه أُنزل بهذه الأحرف التي هي من اللغة العربية، أُنزل بلغة العرب التي هذه حروفها.

تقدم معنا على الحروف المقطعة في التفسير بأنها تدل على عظمة القرآن وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر هذه الأحرف التي لغة العرب متألفة من هذه الأحرف: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور:٣٤]، هذه الحروف هي حروف اللغة العربية، والقرآن نزل بهذه الأحرف، فليأتوا بمثل هذا القرآن الذي هو من أحرف كلامهم، هذا من التحدي، ولذلك أكثر السور التي فيها الحروف المقطعة يُذكر بعدها القرآن، وأيضًا يعتبر امتنانًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الناس وعلى هذه الأمة أن أنزل القرآن بهذه الأحرف العربية، ﴿ الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:١-٤].

قوله: وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ اَلْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيه، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

هو بهذا اللفظ ضعيف، أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده نهشل بن سعيد وهو متروك، والمحفوظ عنه موقوفًا عليه أنه قال: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»، ثابت عن ابن مسعود موقوفًا وله حكم الرفع.

[الحث على قراءة القرآن والإيمان به والعمل به للآخرة]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٣٤- وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اِقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ».

٣٥- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ).

٣٦- وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهُ).

٣٧- وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِه، وَحُرُوفِهِ.

٣٨- وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ.

الشرح:

قوله: وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «اِقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ .. ».

أي: أنهم يحسنون القراءة ولكنهم لا ينتفعون به، يريدون به الدنيا، «لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ»: أي لا يتدبرونه، بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده ابن لهيعة، ولكنه مقرون بعمرو بن الحارث، وفي إسناده وفاء الحميري وهو مجهول الحال، وله شاهد في الصحيح المسند عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد قال ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»، الحديث حسن بشواهده، حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا قد أُعلَ ولكن الحديث بالشواهد حسن.

قوله: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- (إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ.

أي القراءة الصحيحة وأما أن يلحن فيه فكانوا يكرهون اللحن في الكلام العربي فضلًا عن قراءة القرآن، والأثر منقطع لم يثبت، من طريق الشعبي عن عمر ولم يدركه، ذكره صاحب "كنزل العمال": (ج٢ ص٣٣٦) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن يزيد عن أبي بكر، ومن طريق الشعبي عن عمر، وكلاهما منقطع.

قوله: وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ).

وجد هذا من كلام إبراهيم النخعي كما في مصنف ابن أبي شيبة (ج١٠ ص٥١٣).

قوله: وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ.

ويلزم الأشاعرة أن لا يكفروا من جحد بعض الألفاظ ويقول ليست كلام الله؛ لأنهم يقولون إنما هي من تعبير جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وليست من كلام الله، وعلى هذا فإذا أنكر حروفًا وكلام يلزمهم أن لا يقولوا بتكفيره، وهو ما ينكر المعنى وإنما أنكر كلمات أو حروف، هذه حجة كبيرة عليهم؛ لأنه متداول في كتب الشافعية ومن أخذ بمذهب الشافعية من الأشاعرة تكفير من أنكر آية من القرآن.

* * *

فصل في إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ:

٣٩- رُؤْيَةُ اَلْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِم وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥].

٤٠- فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ اَلسُّخْطُ، دَلَّ عَلَى أَنَّ اَلْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ اَلرِّضَى، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

٤١- وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٤٢- وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَة، لَا لِلْمَرْئِيّ، فَإِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ.

الشرح:

قوله: وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ.

وهي حقيقة بالأعين، وهي من أعظم الكرامات، بل هو أعظم نعيم يكرم الله به أهل الجنة، أعظم نعيم يكرم الله به أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله، فيرى المؤمنون ربهم في الجنة، ويتمتعون بذلك: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، قال الله عز وجل عن الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فإذا حجب الكفار دل على أن المؤمنين لا يحجبون: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، والزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل كما فسرها النبي ﷺ والصحابة من بعده: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، والمزيد هو النظر إلى وجه الله عز وجل كما فُسر في الحديث: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، فُسِّرَ أيضًا بالنظر إلى وجه الله عز وجل، وأما الأدلة من السنة فهي متواترة:

حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، متفق عليه.

وحديث صُهَيْبٍ -بن سنان- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»، رواه مسلم.

وحديث أبي هريرة وأبي سعيد في الصحيحين في أحاديث الشفاعة قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» وفي رواية: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**»، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**».

حديث رجل من الصحابة في صحيح مسلم: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**»، ومعناه أن المؤمنين يرون إلى ربهم بعد الموت.

وفي الصحيحين عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»، فأثبتَ أنهم سينظرون إليه تعالى.

قوله: وَيَزُورُونَهُ.

مسألة الزيارة ليس فيها دليل صريح ولكن الله عز وجل يتجلى لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد أورد ابن القيم بعض الأحاديث المتعلقة بالزيارة في كتابه "حادي الأرواح" ولم تثبت فيها ضعف.

قوله: (ويكشف لهم الحجاب فينظرون إليه)[٦].

حجاب الله جل وعلا مخلوق أم هو صفة من صفات الله جل وعلا؟

الحجاب مخلوق، الحجاب هو نور آخر غير نور وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي خلق هذا النور، والدليل: حديث أَبِي مُوسَى -من افراد مسلم- أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**» - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «**النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انتهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»، لو كانت صفة ما يقال لو كشفه، صفات الله ما تُكشف ولا تُزال، فيكشف الله الحجاب وأيضًا في حديث صهيب بن سنان: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى**

[٦] ليست في متن لمعة الاعتقاد.

رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»، وصفات الله لا تُزال، ونور وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يتحمله أحد في الدنيا للحديث المذكور حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سبحات أي نور وجهه جل وعلا يحرق كل شيء، ولكن الله في الآخرة يخلق للمؤمنين قوة، قوة في أبصارهم يتحملون النظر ويتمتعون بالنظر إلى وجه الله عز وجل، وأما في الدنيا فلم يتحملها جبل، جبل من الجبال ما تحملها: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣]، أندثر الجبل.

قوله: وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ.

وهذا من نعيم المؤمنين ومن أعظم النعيم أن الله يكلم المؤمنين، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا »، ما شاء الله ما أعظمه من نعيم، فلعل كشف الوجه مع إحلال الرضى عليهم كلهما من أفضل النعيم، وكلهما ربما يكونان في وقت واحد، فيحل عليهم رضوانه ويكشف الحجاب عن نفسه جل وعلا فيتمتع المؤمنون بالنظر إلى وجه الله، ومن دعاءه ﷺ : «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»، فهي لذة عظيمة.

قوله: قَالَ اَللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

ناضرة الأولى بالضاد والمقصود فيها النَضَرَة، فيها نُضرة وسرور ونعيم مما حل بها من النعيم، والثانية بالظاء تنظر.

قوله: .. وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

من حديث جرير بن عبد الله.

ما معنى لا تُضَامُّونَ؟

أي لا تزدحمون في رؤيته، بالضم والتشديد « **لَا تُضَامُّونَ** »، وشكلها بعضهم بتخفيف الميم أي لا يصيب أحدكم ضيم وغيم أو ظلم في رؤيته بحيث انه يُنقص من حقه في الرؤية، ورواية: «**لاَ تُضَارُونَ**» في حديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين ما معناها؟

أي لا يحصل لأحدكم الضرر في رؤيته.

قوله: «كَمَا تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ».

هل يُفهم من هذا الحديث تشبيه وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقمر؟

لا؛ إنما هو تشبيه للرؤية بالرؤية.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ، لَا لِلْمَرْئِيِّ، فَإِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ.

من أنكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة؟

المعتزلة والجهمية، قولٌ مبتدع، والأشاعرة يثبتون الرؤية وينفون العلو، ولذلك احتج عليهم أهل السنة والجماعة فقالوا إذا كان المؤمنون يرون ربهم فلا شك أنهم يرونه فوقهم، فأين تريدون أن يرونه؟ قالوا يُرى في غير جهة، فجاؤوا بكلام مضحك، لا تقبله العقول الصحيحة، فكيف يُرى في غير جهة، كل مرئي لا بد يُرى في جهة: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [النحل:٥٠]، ولذلك ضحك المعتزلة من الأشاعرة فقالوا أنهم أتوا بما يناقض العقول، فإذن لابد عليهم أن يثبتوا صفة العلو كما أثبتها أهل السنة والجماعة، نفى المعتزلة رؤية الله عز وجل يوم القيامة فسحقا لهم، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام:١٠٣]، قالوا لا تدركه الأبصار معناه أنه لا يُرى، ما هو الجواب على هذه الشبهة؟

الإدراك هو الإحاطة، رؤية مع الإحاطة، فالمؤمنون يرون ربهم ولا يحيطون بالله جل وعلا: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ [الأنعام:١٠٣]، هذا أحد الجوابين وهو أن نفي الإدراك لا يلزم منه نفي الرؤية، قد قال الله عز وجل في حق قوم موسى مع قوم فرعون: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [الشعراء:٦١]، فرد موسى و﴿ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء:٦٢]، فنفى عنهم الإدراك مع أنهم قد نظر بعضهم إلى بعض، فحصلت الرؤية ولم يحصل الإدراك.

والجواب الثاني لأهل السنة عن هذه الآية: المراد به في الدنيا، لا تدركه الأبصار في الدينا، روى الإمام مسلم في صحيحه عن رجل من الأنصار مرفوعًا: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**».

واستدلوا بنفي رؤية الله يوم القيمة بقوله تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فقالوا "لن" تفيد التأبيد إنه لن يراه أبدًا في الدينا ولا في الآخرة، ما الجواب على هذه الشبهة؟

أن "لن" لا يُسلم لهم أنها تفيد التأبيد في الدنيا والآخرة، فقد يكون النفي في الدنيا بسبب عدم قدرته على ذلك كما جاء بيانه في الحديث، ويدل على أن لن لا تفيد التأبيد قوله تعالى في حق الكفار: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة:٩٥]، أي الموت، وليس المراد في الآخرة فإنهم في الآخرة يتمنون الموت: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧]، ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:٤٠]، يتمنون الموت في الآخرة، قال ابن مالك في الكافية:

ومن رأى النفي بـ"لن" مؤبدًا ** فقوله اردد، وخلافه اعضدًا

لا تفيد التأبيد، وقال الله عز وجل عن أخي يوسف: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ [يوسف:٨٠]، محدد، لو كانت تفيد التأبيد ما يصلح أن تُحدد، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف:٨٠]، وقد تفيد التأبيد إذا دل السياق على ذلك كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣]، الله عز وجل يتحداهم، هذه السياقات للتأبيد، ليست موضوعة للتأبيد هي موضوعة للنفي، قد تدل على التأبيد بالقرائن والسياق، وقد لا تدل على التأبيد، فقولهم باطل دلت الأدلة على رؤية الله جل وعلا فيحمل النفي على أنه في الدنيا كما دل عليه الحديث، وقد استدل أهل العلم بطلب موسى من ربه الرؤية

على أنه ليس محالًا وإلا لما طلب موسى رؤية الله جل وعلا، إنما صار محالًا في الدنيا لعجز المؤمنين عن ذلك؛ ولأن الله عز وجل ادخر هذا النعيم لعباده المؤمنين في الجنة، فقالوا لو كان أمرًا مستحيلًا لذاته مما طلبه موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأيضًا الله عز وجل لم يقل إني لا أُرى أو ما يبين هذا المعنى، وإنما قال: ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فقوله: لن تراني لا يفيد التأبيد، وأيضًا تعليق الرؤية بالجبل وتجليه عز وجل للجبل يدل على أنها ليست أمورًا مستحيلة، إنما منع الله المؤمنين في الدينا لضعفهم وادخر لهم هذا النعيم إلى الآخرة، وهناك رؤية للناس عامة في أرض المحشر وقت الحساب رؤية عامة على الصحيح من أقوال العلماء، ومعنى رؤية عامة أنه يراه حتى المنافق والكافر: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»، وفي البخاري: «**لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ**»، فزيادة حجاب في البخاري، ليس دونه حجاب ولا ترجمان، يكلمه ربه، فهذه في حق الكافر لا تعتبر رؤية نعيم إنما هي كالكلام، فكلامه مع الكافر كلام تقريع وتوبيخ وحساب، وكذلك الرؤية ليست رؤية نعيم في حق الكافرين والمنافقين، وهي رؤية نعيم في حق المؤمنين في الجنة، وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ**

كَمَا نَسِيتَنِي»، فهذا لم يكن يؤمن بلقاء الله، ولم يؤمن بالبعث والنشور، وهذا حال الكافر، ومع ذلك أثبتَ اللهُ له اللقي فيلقى الله العبد، وأثبت له الكلام: «أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ»، إلى آخره.

والمنافقون تتكرر لهم رؤيا أخرى عند المرور على الصراط، عند أن يقول الله عز وجل: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ»، ثم بعد ذلك: «إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ»، فهذه رؤية أخرى للمنافقين قبل المرور على الصراط، ولكنها ليست

رؤية نعيم، رؤية النعيم هي للمؤمنين في الجنة، وهذه المسألة اختلف فيها أهل السنة فمنهم من نفاها، نفى رؤية الكفار في أرض المحشر، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين:١٥]، وكلمة حجبَ لا تدل على النفي مطلقًا، فقد تُطلق على من رأى ثم حجب، من رأى ثم حُجبَ يُطلق عليه أنه محجوب، وأيضًا من أثبتها فهم يقولون ليست رؤية نعيم، والصحيح إثباتها، وقد أثبتها أيضًا جماعة من الحنابلة، منهم شيخ الإسلام وابن القيم رحمهم الله.

* * *

فصل في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ:

٤٣ - وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِه، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِه، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِه، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِه.

وَلَا مَحِيدَ عَنِ الْقَدَرِ الْمَقْدُور، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُور، أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ.

خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِه، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد:٢٢]، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥].

الشرح:

قوله: وَمِنْ صِفَاتِ اَللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ اَلْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ.

فعال لما يريد كما قال الله عز وجل عن نفسه: ﴿ **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج:١٥-١٦]، ويدخل في ذلك الصفات الفعلية التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو أثبتها له النبي ﷺ في السنة، الصفات الفعلية داخلة في ذلك من الرضا والغضب والخلق والرزق والسخط والمحبة والبغض والكراهية والمجيئ يوم القيامة لفصل القضاء، والنزول في الثلث الأخير إلى السماء الدنيا، وغير ذلك مما أثبته الله لنفسه من الصفات الفعلية يفعلها متى يشاء وكيفما شاء.

ما الفرق بين قولهم الصفات الفعلية والصفات الذاتية؟

الفرق: أن الصفات الذاتية التي هي ملازمة لذات الله لا تنفك عنه، فهو متصف بالسمع والبصر والعزة والحكمة وسائر صفاته التي هي ملازمة لذاته تسمى ذاتية، والفعلية هي المتعلقة بالمشيئة يفعلها متى شاء.

وقد أنكر المبتدعة الصفات الفعلية، وقالوا أن الله لا تحله الحوادث، فجاؤوا بهذا للفظ المجمل الذي يحتمل الباطل، لينفروا الناس عن إثبات الصفات، قالوا الله منزه أن تحله الحوادث، بمعنى إنك إذا أثبتَ أن الله يفعل فمعناه أنه تحله الحوادث يقولون هكذا، يقولون أن الفعل هو تغير جال الفاعل من حال إلى حال، والله منزه من أن تحله الحوادث ويتغير هكذا يقولون، وهذا كلام باطل، فالله أثبت لنفسه أنه يفعل كذا ويفعل كذا فنثت ما أثبت لنفسه، وهذا لفظ مجمل فإن الإنسان إذا سمع عبارة أن الله لا تحله الحوادث قد يتبادر إلى ذهنه إنه تنزيه صحيح، بمعنى أن الله عز وجل منزه من أن يحصل فيه شيء من مخلوقاته، أو أن يختلط فيه شيء من مخلوقاته، تعالى عن ذلك، الله بائن من خلقه، مستوٍ على

عرشه، وهم يقصدون بها معنى آخر وهو نفي فعل الله تعالى لا أن ينفوا أن الله جل وعلا يختلط بمخلوقاته أو تحل به بعض مخلوقاته بل يريدون أن ينفوا أفعال الله وأن الله لا يفعل شيئًا، تعالى الله عن قولهم وقد قال الله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧]، لا يكون شيء إلا بإرادته، الإرادة الكونية، فلا يحصل شيء إلا بإرادة الله: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩]، ولا يخرج شيء عن مشيئته، ومن ذلك أفعال العباد لا تخرج عن مشيئة الله: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩]، ليس للعبد مشيئة ولا إرادة إلا بمشيئة الله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]، ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٦]، لا يخرج شيء عن مشيئته، من المخلوقات ومن أفعال العباد خيرها وشرها، فكل ما يحصل في ملك الله فهو بمشيئته.

من الذي قال: (إن أفعال العباد ليست تحت مشيئة الله)؟

القدرية المعتزلة، سبحان الله عما يقولون، تعالى الله وتقدس عن هذه المقالات، هذا مضمونه أن الله ناقص في ملكه حيث يحصل في ملكه ما لا يريده، هذا ما يكون إلا في حق المخلوقين، أما الله فلا يكون في ملك إلا ما يريد: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، ثم قال: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٨٣]، ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]، كفار قريش أعقل من القدرية في هذا الأمر، كفار قريش أثبتوا أن الله مدبر للأمور كلها: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨]، الأمر كله لله، وأفعال العباد الله خالقها بمشيئته وإرادته: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات:٩٦]، أفعال العباد خيرها وشرها كلها من خلق الله جل وعلا بمشيئته وإرادته وحكمته، لا يخرج شيء عن مشيئته.

قوله: (ويجب الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وقليله وكثيره إنه من الله سبحانه).

هذا موجود في بعض النسخ دون بعض، الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، فلا يحقق عبد الإيمان إلا بإيمانه بالقدر خيره وشره، ومعنى الإيمان بالقدر أن يؤمن المؤمن بأن الله عز وجل قد علم كل ما هو كائن وكتب ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشائه وخلقه، لا يتم إيمان العبد بالقدر حتى يؤمن بالمراتب الأربع.

علـــم كتابـــة مولانـــا مشـــيئته وخلقـــه وهـــو إيجـــاد وتكـــوين

كل ما يكون في ملك الله، وكل المخلوقات، فقد علمه الله أزلًا، **ما معنى أزلًا؟**

أزلا أي ليس له بداية، علم الله ذلك أزلًا بدون أن يُسبق بجهل، علم الله ليس له ابتداء، صفات الله كلها التي أثبتها لنفسه ليس لها ابتداء لا يزال الله متصف بصفاته أزلًا، كما أن الله بذاته لا بداية له: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد:٣]، فكذلك صفاته كلها ليس لها ابتداء، فلا يتم إيمان العبد بالقدر حتى يؤمن بأن الله قد علم كل ما سيكون أزلًا، وكتب كل ما يكون إلى قيام الساعة في اللوح المحفوظ، وشاء الله ذلك وخلقه عند أن أراد وقوعه ووجوده: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس:٨٢]، **أيهما أسبق العلم أم المشيئة؟**

العلم والمشيئة أزليان، ما يقال أيهما أسبق، كلهما أزلي لا ابتداء له، ولكن هناك مشيئة مع الفعل وهي تابعة للمشيئة الأزلية، ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس:٨٢]، ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [التكوير:٢٩]. فالمشيئة والإرادة الكونية أزليان، وهناك أيضًا إرادة ومشيئة عند الفعل تابعة للمشيئة السابقة لا تتنافى معها، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد شاء أزلًا أن يخلق السماء والأرض وأن يبعث نبينا محمدًا ﷺ، وشائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عند أن أراد أن يخلق ذلك وهو تابع للمشيئة القديمة، أثبت الأشاعرة الإرادة القديمة، ولم يثبتوها عند الفعل، وهذا من الصفات التي أثبتوها على غير ما أثبتها أهل السنة، فما عندهم إلا إرادة أزلية تتعلق بجميع الإرادات، وليس عندهم إرادة أو مشيئة عند الفعل، وأهل السنة أثبتوا هذا وهذا، كما أثبته الله لنفسه: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ**

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، هذه إرادة عند الفعل، وهي تابعة للإرادة القديمة، إذن العلم والمشيئة أزليان، ولكن هناك مشيئة عند الفعل تابعة للمشيئة السابقة، كما أن الإنسان قد يحصل هذا للإنسان يكون له مشيئة قبل شهر أنه سيصنع بعد شهر كذا وكذا، ثم عند الفعل تتجدد له إرادة عند أن يوقع الفعل الذي يريده، ولله المثل الأعلى وإنما أردنا تقريب الفهم وإلا فالله ليس كمثله شيء، صفات الله جل وعلا تليق بجلاله وصفات العبد تليق بنقصه.

أيهما أسبق العلم أم الكتابة؟

العلم أسبق من **الكتابة**؛ لأن العلم أزلي والكتابة كانت قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة بعد أن خلق الله القلم، قال له أكتب، فكتب في اللوح المحفوظ ما أراد الله أن يكون إلى قيام الساعة، وخلق الأشياء التي كتبها في اللوح المحفوظ كائنة بعد الثلاثة الأمور بعد العلم والكتابة والمشيئة يحصل الخلق.

علـــم كتابـــة مولانـــا مشـــيئته وخلقـــه وهـــو إيجـــاد وتكـــوين

إذن هي على هذا الترتيب، العلم، ثم الكتابة، ثم المشيئة والمراد بها المشيئة التي عند الفعل، ثم الخلق، إذا آمن العبد بهذه الأربعة الأمور فقد حقق الإيمان بالقدر على ما أمره الله ، خيره وشره أي أفعال الخير وأفعال الشر، وكذلك شر المقدرات التي يكرهها ابن آدم ولكن الله عز وجل ليس في فعله شر فهو شر نسبي، الإيمان بالقدر خيره وشره أي شر نسبي أي بالنسبة للعباد بالنسبة لبعض الأمور، يكون شرًا نسبيًا، وأما أفعال الله فليست شرًا.

ما الدليل على أن الشر ليس في فعل الله؟

في مسلم عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، في ضمن دعاء الإستفتاح في قيام الليل، **وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا قدر أمرًا تراه أنت من الشر فهو شر نسبي ولله حكم بالغة في خلق هذا الشر، كما خلق الشيطان وهو أعظم الشر، خلقه الله وقدر ذلك لأمور خير كثيرة يعلمها الله ولحكم عظيمة يعلمها الله جل وعلا، خلق الوحوش والثعابين وذوات السموم وهي شر بالنسبة للناس ولكن لله حكم في خلقها، ما خلقها الله إلا لحكم بليغة، خلق الله المجرمين والظالمين والكفار وهم شر ولكن لله حكم يبتلي الله من شاء من عباده ويحصل الدعاء والضارعة إلى الله والرجوع إليه ويحصل الجهاد بالمال والنفس، فأمور كثيرة يحبها الله جل وعلا.

القدرية الغلاة أنكروا الأربع المراتب، وكفرهم معلوم من الدين بالضرورة، الذين أنكروا علم الله لما سيحصل من الأمور هذا كفره متعين، بل من لم يكفر من هذا شأنه فهو كافر، الذين أنكروا علم الله وانه لا يعلم الأمور إلا بعد

حصولها هؤلاء غلاة القدرية كفرهم الصحابة رضوان عليهم، قَالَ عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، وهؤلاء الغلاة انقرضوا، وإنكار العلم والكتابة لا مجال للتأويل فيه فهو رد لأدلة الكتاب والسنة فكفره متعين، ثم نشأت قدرية أقل من القدرية الأولى في الشر ولكنهم أيضًا مبتدعة، فأنكروا أن الله عز وجل يخلق أفعال العباد، أو يشاؤها، بحجة تنزيه الله عز وجل عن أن يريد الشر والكفر والمعاصي، وهذا لازمه اتهام الله عز وجل بالنقص في ملكه، فكيف يحصل في ملكه وخلقه ملا يريده تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، فأنكروا المشيئة والخلق وها قول كفر أيضًا ولكن لم يُكفروا بسبب الجهل القائم على التأويل، ويريدون أن ينزهوا الله من بعض ما يظنونه، وقد وقعوا في البدع ولولا التأويل لكانوا كافرين لإنكارهم مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخلقه لأفعال العباد، ففيه رد لأدلة الكتاب والسنة: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات:٩٦]. ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [المدثر:٣١]، وما أكثر أدلة الكتاب والسنة في الدر على هؤلاء المبتدعة من القدرية المعتزلة الذين نفوا مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد، قد ألف الإمام الخباري رَحِمَهُ اللَّهُ جزءًا سماه خلق أفعال العباد، فنؤمن بأن أفعال العباد مخلوقة، لا شك في ذلك عندنا ولا مرية ولا ريب في ذلك، فالله عز وجل هو خالق العباد أنفسهم فأفعالهم مخلوقة، فهم أنفسهم مخلوقون، ونشئت فرقة مبتدعة آخرون فقالوا أن العبد ليست له مشيئة في فعله وانه مجبور وأنه كالريشة في مهب الريح وكحركة المرتعش ليس له

مشيئة، وهذا أيضًا ردٌ لأدلة الكتاب والسنة، وهو أيضًا قول كفر، ويتفاوت الجبرية في بدعتهم فمنهم الغلاة، ومنهم دون ذلك، فالله عز وجل أثبت للعبد مشيئة وإرادة، والدليل: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان:٣٠]، ولكنها منقادة لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تخرج عن مشيئة ربنا سبحانه: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود:١٥]. أثبت له إرادة، وجميع الأفعال التي نسبها الله للعباد في كتابه الكريم تدل على أنهم يفعلون من قبل أنفسهم: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧]، فأثبت له رميا ولكنه بإعانة الله له، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى أي سددك بالرمي وسدد الإصابة في الكافرين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:٦]، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]، جميع الأفعال التي ذكرها الله في القرآن ونسبها الله إلى الفعالين تدل على أن لهم مشيئة وإرادة ويفعلون من قبل أنفسهم، وكل عبد يشعر من نفسه أنه يفعل الشيء إذا أراده ويترك الشيء إذا أراده، يدخل المسجد إذا أراد ولا يدخله أيضًا إذا أراد، وإذا شاء أكل وإذا لم يشئ لم يأكل، ما يجادل في ذلك إلا من ينكر الحقائق، وينكر الأمور المحسوسة المعلومة، وقد يستغرب الإنسان أو قد يتحير في مثل هذا الأمر كيف أن الله عز وجل قد قدَّر عليه أن يفعل ذلك الشر فلا شك أنه سيقع ولا محالة لأن الله قد قدر عليه ذلك، ثم أيضًا له مشيئة وهذا أيضًا معلوم من قِبل النفس ولا يجادل في ذلك إلا من ينكر الحقائق، فكل إنسان يعلم من نفسه إنه يعمل هذه المعصية بمشيئته، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يظلمه فأقام الله

عليه الحجة بأن بين له ان هذا طريق الخير وان هذا طريق الشر، بين له طريق الخير وطريق الشر: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠]، وأنزله إليه الكتب والرسل وأقام الحجة على العباد، فمن عصى الله جل وعلا فقد عصاه بعد قيام الحجة، وعصاه بمشيئته التي هي تباعة لمشيئة الله، وعلى العبد أن يسلم في هذا الأمر وأن لا يخوض فيه وإذا جاءه الشيطان يوسوس له في هذا الأمر كيف يقدر الله عليه الشر ثم يعذبه عليه، فعليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وعليه أن يؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما ظلم العبد: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران:١٨٢، الأنفال:٥١، الحج:١٠]، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]. وعليه أن يكف عن السؤال لقوله تعالى: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وعليه أن يؤمن أن الله إذا هداه إلى الخير فإن هذا من فضل الله عليه، وأن الله إذا خذله عن الخير ووقع العبد في الشر فذلك من عدل الله فيه: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، فلا يستطيع المسلم أن يعلم الأمر على كيفيته وعلى تفاصيله ولكن ليعلم العبد أن الله عز وجل إن هداه فهذا من فضل الله عليه وإن خذله فهذا من عدل الله فيه: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، فيكف المسلم عن التفكير في هذا الأمر، وأسلم الناس في القدر من ابتعد عن الخوض فيه، كما قال جماعة من السلف وأضل الناس فيه من خاض فيه، يضلون ويزيغون، فهذا سر من أسارا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى المسلم أن يؤمن بهذه الأمور التي ذُكرت، أن الله عز وجل إن هداه فهذا من فضل الله عليه، وإن وقع في المعصية والشر فهذا من عدل الله فيه، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أقام عليه الحجة بإرسال الرسل، وأن الإنسان له

مشيئة وما يصنع المعصية إلا بمشيئته، وهذا شيء يعقله الإنسان من نفسه ولو أنكر ذلك لأنكر الحقائق، والعجب أنه ما يرضى لنفسه أن يُحتج عليه بالقدر ثم يحتج بالقدر على دين الله جل وعلا وعلى توحيد الله، فيترك الإسلام والتوحيد بحجة القدر، ثم إذا لُطِمَ أو ضُرِبَ وقيل له قدر الله عليك ما يرضى بهذا، هذا يدل على أنه يخالف الأمور المحسوسة والحقائق، فهل يرضى أن يُخذ عيه ماله أو يُقتل ولده أو تُقطع يده ويقال له قدر الله عليك، ما يرضى بهذا سيقاتل ولن يرضى بهذا الأمر، فكيف يرضى بترك الصلاة ويقول قدر الله عليَّ بترك الصلاة، فهذا من الزيغ والضلال البعيد، نسأل الله العافية.

قوله: وَلَيْسَ فِي اَلْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ.

ما وجد فقد وجد بإرادة الله، وما لم يوجد فلم يوجد بإرادة الله، وكل شيء بقضاء الله وقدره، ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان سيكون: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٨]، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

قوله: وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، فلا يكون شيء قليل ولا كثير ولا حركة لمخلوق من المخلوقات إلا بتدبير الله جل وعلا: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. ﴿ قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦]، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، كل شيء بقضاء وقدر.

قوله: وَلَا مَحِيدَ عَنْ اَلْقَدَرِ اَلْمَقْدُور، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اَللَّوْحِ اَلْمَسْطُور.

فكل إنسان صائر إلى ما قُضي له، «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وفي حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ [الليل:٥-٦]، الآيَةَ، هذه وصية النبي ﷺ أمام القدر، لا اعتراض بلما ولا بكيف، ولا كيف هذا ولا لما هذا: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وصى النبي ﷺ وأمر بالعمل، فمن أراد السعادة والهداية فليأخذ بوصية النبي ﷺ ، يقبل على العمل الصالح ويتقي الله سبحانه وييسره الله للحسنى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل:٥-١٠]، هذه وصية

النبي ﷺ ، المفلح والمهتدي من أخذ بوصية النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا يبقى يخوض في القدر فإنه باب مزلة، إذا صار يبحث وينقب في هذا الأمر فإنه يزل إلا أن يشاء الله، وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ كَمَا قال الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء:٢٣]، فَمَنْ سَأَلَ لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتاب كان من الكافرين. هذا من كلام الإمام الطحاوي في عقيدته الطيبة المشهورة.

ومن الأسئلة التي تنتشر عند الناس يقولون:

هل الإنسان مخير أم مسير؟

والجواب: هو مسير لما قد قُضي له، ولكن الله عز وجل قد جعل له مشيئة وإرادة يستطيع بها أن يميز بين الخير والشر، وأن يعمل الخير ويتجنب الشر، فكل إنسان قد قدَّر الله عليه ويُيسر لما خُلِقَ له، «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، ولكن الله عز وجل جعل له مشيئة وإرادة وخيرة، فلا يشعر من نفسه أنه مجبور، بل هو يرى من نفسه أنه مختار، وهذا أمر واقع لا محالة، يشعر كل إنسان من نفسه بذلك، ولا يجادل في ذلك إلا مفتونٌ ضال، «**اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»، ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [فاطر:٢]، ﴿ **وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** ﴾ [الرعد:٤١]، أي لا مؤخر لحكمه، هذا مراد به الحكم الكوني،

«فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢]، «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، واللوح المسطور هو اللوح المحفوظ: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر:٥٣]. أي قد سُطر وكُتب في اللوح المحفوظ، **فمتى كتب الله المقادير؟**

روى مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ »، عقب خلق القلم، «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرَ قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

ما هي أدلة اللوح المحفوظ من القرآن، أو أنه قد كُتبتْ المقادير؟

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، القرآن المجيد مذكور بلفظه وحروفه وكلماته في اللوح المحفوظ، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر:٥٢-٥٣]، وقول الله: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة:٧٧-٨٠]، ﴿ كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ [الواقعة:٧٨]، أي: اللوح المحفوظ، ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]، يعني: أنه بيد الملائكة، وكل الله به ملائكة، وقوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨]، كل شيء قد كُتب في اللوح المحفوظ على أحد التفسيرين في الآية، وهناك تفسير آخر أنه ما يكتب عليهم من

الحسنات والسيئات والأول أقرب، وهناك من قال أنه القرآن ذكر الله فيه ما يُحتاج إليه، وقوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩]، هذه الآية جمعت بين العلم والكتابة، وقول الله: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه:٥٢]، ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢]، ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف:٤]. ﴿ يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد:٣٩]، ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج:٧٠]، وهذه الآية أيضًا جمعت بين العلم والكتابة: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس:١٢]، ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:٥١]، ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق:٤]. وبقي أكثر مما ذُكرَ.

قوله: أَرَادَ مَا اَلْعَالَمُ فَاعِلُوهُ.

أي كل ما فعله العَالَمَ فقد أراده، والعالم هو اسم لجميع المخلوقات، وكل ما سوى الله من العالم، فالعالم جميع المخلوقات، فكل ما يحصل في العالم فالله هو الذي أراده، ولا يمكن أن يحصل شيء في ملك اله إلا بمشيئته وإرادته.

قوله: وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ.

لو عصمهم من المعاصي والسيئات لاعتصموا ولكن الله قدر عليهم أيضًا السيئات، قدر الله على أناس الطاعة فضل منه، وقدر على أناس المعاصي

والسيئات عدلا منه: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

قوله: وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ لِيَمُوتَ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، أَخْذُ الْحَلَالِ وَتَرْكُ الْحَرَامِ»، أخرجه ابن حبان والحاكم، وهو حديث صحيح، وجاء عن غير جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديث عبدالله بن مسعود في الصحيحين قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ».

قوله: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ.

كلمات عظيمة مباركة مأخوذة من كتاب ربنا جل وعلا، وقد أقام الله حجته على العباد وخلق لهم العقل والمشيئة، والطاقة والإستطاعة، وأرسل إليهم الرسل: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ

وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، وفي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٨-٤٩]. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر:٥٣]، آيات عظيمة، المعارضة للأدلة والسؤال لما وكيف سبيل الزيغ، ليس لك ذلك: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، عليك أن تؤمن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أقام الحجة على العباد وأنه أعطاهم من المشيئة والاستطاعة والعقل ما يقدرون به على الفعل وبين لهم طريق الخير وطريق الشر، وأرسل إليهم الرسل وأقاموا عليهم الحجة، فما يعرض بعد ذلك إلا من أراد الله له بحكمته الضلال والإعراض.

قوله: قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢].

ما أكثر من تأتيه من قبل الشيطان في هذا الباب، كيف قدَّر الله على العاصي المعصية ثم يعذبه عليها وكيف قدر على الكافر الكفر ثم يعذبه عليه؟ وهذا من وساوس الشيطان الذي يجب عليك أن تستعيذ بالله منه، ويجب عليك أن تبتعد عن هذا الباب، وأن تعمل بقوله تعالى: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وأن تتذكر قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]، فعليك أن تؤمن أن الله لا يظلم أحدًا ولكن هناك سر من أسرار الله عز وجل لا يستطيع المسلم أن يتعقَّله في أمر القدر، ولكن يجب عليه

أن يؤمن بما علمناه وبما ذكره الله في كتابه، وعلمناه نبينا ﷺ في سنته أن من هداه الله عز وجل فذلك من فضل الله ورحمته وتوفيقه، ومن أضله الله فذلك من عدل الله فيه ومن حكمة الله فيه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، فما بقي حجة بعد إرسال الرسل، قال الله عز وجل عن المشركين: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى * قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾ [طه:١٣٤-١٣٥]، أي لو أنهم ما أُرسل إليهم الرسل لاحتجوا: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فيجب على من تأتيه هذه الوساوس أن ينكف عنها، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يكثر من قراءة المعوذات والإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذكِّر نفسك أن النبي ﷺ أوصى الصحابة بالعمل ولم يعارض لهم بين الأدلة، والصحابة رضوان الله عليهم أوصوا من بعدهم بهذا، «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، وبينوا لمن بعدهم أن الهداية من الله وأن الضلال من الله، وأن من هداه الله فبرحمته وأن من أضله الله فبعدله، فكن سالكًا سبيل نبيك عَلَيْهِ السَّلَامُ وسبيل سلفك الصالح يعصمك الله من الزلل والضلال.

قوله: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ **[الحديد:٢٢].**

نبرأها أي نخلقها، قوله إِلَّا فِي كِتَابٍ إشارة إلى اللوح المحفوظ، قد تقدمت أدلة متكاثرة تتعلق بالكتابة.

قوله: وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥].

المراد هنا الإرادة الكونية، فالله عز وجل ما يريد الضلال شرعًا، إنما أراده كونًا، وإلا فلا يشرع الله المعاصي ولا الكفر ولا الضلال.

[من أدلة الإيمان بالقضاء والقدر]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٤٤ - رَوَى اِبْنُ عُمَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا اَلْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، فَقَالَ جِبْرِيلُ: صَدَقْتَ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٥ - وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ».

٤٦ - وَمِنْ دُعَاءِ اَلنَّبِيِّ ﷺ اَلَّذِي عَلَّمَهُ اَلْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ اَلْوِتْرِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ».

٤٧ - وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اَللَّهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيه، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا اَلْحُجَّةَ بِإِنْزَالِ اَلْكُتُب، وَبِعْثَةِ اَلرُّسُلِ. قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

٤٨ - وَنَعْلَمَ أَنَّ اَللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ.

الشرح:

قوله: رَوَى اِبْنُ عُمَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ- قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا اَلْإِيمَانُ؟) الحديث، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

لكنه من رواية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبيه.

قوله: وَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ».

ضعيف جدًا، في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي منكر الحديث، متروك، يرويه عن أنس أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث، وأورده الحاكم في معرفة علوم الحديث؛ لأنه مسلسل لأن كل راو أمسك على لحيته فيقول آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قاله أنس وقاله يزيد الرقاشي وقاله من رواه عنه وهكذا، لكنه شديد الضعف.

قوله: وَمِنْ دُعَاءِ اَلنَّبِيِّ ﷺ اَلَّذِي عَلَّمَهُ اَلْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ اَلْوِتْرِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ».

حديث الحسن بن علي حديث صحيح، ولكن قوله "في قنوت الوتر" اختلف الرواة في ذكرها، فالحفاظ يروون الحديث بدون زيادة "في قنوت الوتر"، وإنما بلفظ: علمني النبي ﷺ دعاء أدعو به.. الخ، وأما زيادة "في قنوت الوتر" فالأصح شذوذها، وقد أعلها ابن حبان وابن خزيمة وآخرون من أهل العلم، والشاهد قوله: **«وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»**، فالله عز وجل يخلق الخير والشر.

قوله: (وَلَا تَجْعَلُ قَضَاءَ اَللَّهِ وَقَدَرَهُ..).

القضاء والقدر اسمان لشيء واحد، فقضاء الله هو القدر، والقدر هو القضاء، ولكنهما إذا اجتمعا افتراقا، أو يفرِّق بينهما أهل العلم، إذا قيل قضاه الله وقدره،

فاختلف أهل العلم في وجه الافتراق بينهما، فالأصح أن القدر اسم للقدر القديم العلم والكتابة، علم الله القديم ثم كتابته في اللوح المحفوظ، ويكون القضاء يُراد به الخلق وإيجاد الفعل، قضى الله هذا الأمر، وعكس بعض أهل العلم فقالوا القضاء اسم للعلم القديم والقدر لإيجاد الفعل، فإذا ذُكر أحدهما شمل الأمرين، وإذا اجتمعا فالقدر اسم للعم، قدَّر الله هذا أي علمه، وكتبه وشاءه أزلًا، والقضاء اسم للخلق والإيجاد، والأمر في هذا واسع.

قوله: وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اَللَّهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

كما يصنع العصاة، يستمر في المعصية ويقول قدَّر الله عليَّ ذلك، فهذه حجة بائرة، وقد تقدم الكلام في ذلك، وقد ذكر شارح الطحاوية قال: وَقَدِ احْتَجَّ سَارِقٌ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَدَرِ، فَقَالَ: وَأَنَا أَقْطَعُ يَدَكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

قوله: وَنَعْلَمَ أَنَّ اَللَّهَ -سُبْحَانَهُ- مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا اَلْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ.

فما يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها.

قوله: وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَا اِضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ.

وهذا أمر يعقله الإنسان من نفسه، ولا ينكره أحد إلا المعاند، أن كل إنسان يعقل من نفسه أن عنده القدرة على الفعل وعلى تركه، وأنه ليس بمجبور، وهذا سر الله تعالى في خلقه في أمر القدر حيث أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد قضى هذا الأمر وهو كائن لا محالة ومع ذلك يشعر المسلم من نفسه إنه قادر على الفعل وعلى تركه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وَقَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [غافر:١٧].

٤٩ - فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلاً وَكَسْبًا، يُجْزَى عَلَى حُسْنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اَللَّهِ وَقَدَرِهُ.

الشرح:

فلا شك أن العبد له قدرة ومشيئة وله أفعال وله تكسب، وكلها تابعة لقضاء الله وقدره، وابتدع الأشاعرة في مسألة الكسب بدعة؛ لأنهم جبرية، فقالوا أنعم للعبد كسب ولكنه كسب غير مؤثر في إيجاد الفعل، فأثبتوه ونفوه، إثبات ونفي في آن وحاد، وأهل السنة والجماعة يثبتون للعبد إنه متسبب وأن عنده كسب يؤثر في إيجاد الفعل بعد مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد جعل الله تسكب العبد سببًا في إيجاد الفعل ولكن كل ذلك بمشيئة الله وقدره، أما الأشاعرة قالوا كسب غير مؤثر في إيجاد الفعل يعني ليس له إنما له التسمية فقط، فالأشاعرة جبرية في مسألة القدر.

* * *

فصل: في الإيمان قول وعمل واعتقاد ويزيد وينقص

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ: حَقِيقَةُ اَلْإِيمَان

٥٠ - وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَان، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالْجَنَان، يَزِيدُ بِالطَّاعَة، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَان.

٥١ - قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

فَجَعَلَ عِبَادَةَ اَللَّهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصَ اَلْقَلْب، وَإِقَامَ اَلصَّلَاة، وَإِيتَاءَ اَلزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنْ اَلدِّينِ .

٥٢ - وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ:«اَلْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ».

٥٣ - فَجَعَلَ اَلْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنْ اَلْإِيمَانِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة:١٢٤]، وَقَالَ: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ [الفتح:٤].

٥٤ - وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ اَلنَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ اَلْإِيمَانِ»، فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلاً.

الشرح:

قوله: وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَان، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالْجَنَان، يَزِيدُ بِالطَّاعَة، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَان.

هذا الذي عليه عقيدة أهل السنة والجامعة في الإيمان: قول وعمل، قوله وقول باللسان أي النطق بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ثم أيضًا سائر الأعمال التي تقال باللسان، وقوله عمل بالأركان أي بجوارح الإنسان، وعقد بالجنان أي اعتقاد بالقلب، اعتقاد التوحيد واعتقاد الحق، «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فيعتقدها جميعًا، فيؤمن بها أي يقر بها، وسمي عقد؛ لأنه عزم مؤكد في القلب، كأنه عقد عليه، أمر أجتمع عليه قلبه، واختصر السلف هذا بكلمتين: الإيمان قول وعمل، وفسَّره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وفسَّره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين فقال: فَلَا بُدَّ مِنْ قَوْلِ الْقَلْبِ، وَقَوْلِ اللِّسَانِ، وَقَوْلُ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَالتَّصْدِيقِ بِهَا، وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ مَا تَضَمَّنَتْهُ - مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَنْفِيَّةِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ، الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، الَّتِي يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُهَا لِغَيْرِهِ، وَقِيَامُ هَذَا الْمَعْنَى بِالْقَلْبِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَيَقِينًا، وَحَالًا - مَا يُوجِبُ تَحْرِيمَ قَائِلِهَا عَلَى النَّارِ.

وعمل القلب سائر الأعمال من المحبة والرغبة والرهبة والخوف والتوكل على الله جل وعلا وغير ذلك من أعمال القلوب، وعمل اللسان من الأمور الأخرى من تلاوة القرآن وذكر الله جل وعلا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم المسلمين، وعمل الجوارح سائر الطاعات، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة

يشمل هذا كله، جميع الطاعات والأعمال الصالحة هي من الإيمان واجبها ومستحبها، كلها من الإيمان.

والإيمان لغة: هو التصديق مع الإقرار، التصديق فقط بدون الإقرار لا يسمى إيمانًا، فالإقرار مع التصديق به هو الإيمان في اللغة العربية.

وأخطأ من قال هو التصديق فقط، فلابد أن يكون مصحوبًا بالإقرار، فلذلك يقال آمنت له، ولا يقال صدقت له، ويقال صدقته ولا يقال آمنته، فدل على أنه لا ترادف بين التصديق والإيمان وإنما مع الإقرار، أقررت له.

قوله: قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]، فَجَعَلَ عَبَادَةَ اَللَّهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصَ اَلْقَلْب، وَإِقَامَ اَلصَّلَاة، وَإِيتَاءَ اَلزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنْ اَلدِّينِ.

وهذا دليل على أن الأعمال من الإيمان، فذكر التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقال ذلك دين القيِّمة.

قوله: وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ:«اَلْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ اَلْأَذَى عَنْ اَلطَّرِيقِ».

متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولفظ البخاري رواية بالشك، ورواية ببضع وستون شعبة، والشاهد منه أن الأعمال من الإيمان، فذكر أنها بضع وسبعون شعبة ثم ذكر أعلاها وأدناها.

من يذكر أدلة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان؟

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، **«مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ**

لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣]، يعني صلاتكم عند البيت، فسمى الصلاة من الإيمان، «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»، «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

إشكال: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر:٣]، فرَّق بين الإيمان والعمل الصالح، **فما هو الجواب على هذا الإشكال؟**

الجواب الأول لأهل السنة والجماعة: إنه ذكر الخاص بعد العام، من باب ذكر الأهمية، للاهتمام به، والجواب الآخر: إذا اجتمعا افترقا، اجتمع هنا الإيمان والعمل، فيكون المراد بالإيمان تصديق القلب والعمل الزائد على التصديق.

قوله: فَجَعَلَ اَلْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنْ اَلْإِيمَانِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة:١٢٤] وَقَالَ: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ [الفتح:٤].

دل على أنه يزداد بالطاعة، وهذا يدل أيضًا على أن الأعمال من الإيمان؛ لأنه ما زاد بها إلا لأنها منه، ما يزداد بشيء ليس منه.

قوله: وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ اَلنَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ اَلْإِيمَانِ»، فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلاً.

أشار إلى الروايات الواردة: «**بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ**»، جمعها المؤلف، من حديث أنس في الصحيحين.

من الذي خالف أهل السنة وقال الإيمان لا يزيد ولا ينقص؟

طائفة مبتدعة يقال لها المرجئة، قالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص، هو شيء واحد، وهذا قول باطل، يخالف الأدلة الشرعية، فالمرجئة أكتفوا بأن الإيمان هو التصديق بالقلب وهذا قول باطل، فلا ينفع تصديق بالقلب دون نطق باللسان وبدون الإقرار بذلك، فلو صدَّقَ بلقبه وجحد بلسانه ما حكمه؟

كافر، والدليل ما حصل من فرعون، أستيقن وصدَّقَ بلقبه ولكنه جحد واستكبر: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل:١٤]، وكذلك هرقل ملك الروم، علم أنه النبي ﷺ وصدَّقَ ولكنه لم يؤمن خوفًا على ملكه فمات على كفره.

وهناك قسم من أقسام المرجئة قالوا: قول اللسان فقط هو الإيمان بدون التصديق، وهؤلاء هم الكرَّامية، وهذا قول باطل أيضًا، فما يكفي أن ينطق بلسانه وهو ليس في قلبه التصديق، فهذا القول يجعل المنافقين مؤمنين؛ لأنهم نطقوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم.

وقسم آخر من طوائف المرجئة قالوا: اعتقاد القلب وقول اللسان، وأما الأعمال فليست من الإيمان، وهؤلاء أقلهم ضلالًا، وهم مرجئة الكوفة، ومنهم أبو حنيفة، قال هذا القول هو وطائفة من أهل الكوفة، وهذا قول باطل، الأعمال

الصالحة من الإيمان كما تقدم معنا الأدلة الكثيرة على ذلك، فهذه أقوال باطلة، وفيها رد للأدلة الشرعية.

وطائفة من المرجئة هي أبعد الطوائف قالوا: مجرد المعرفة في القلب تُعتبر إيمانا، وهؤلاء هم مرجئة الجهمية، وهذا قول باطل، عندهم مجرد أن تعرف الله حتى ولو لم تؤمن، على هذا القول إبليس يُعتبر مؤمنًا لأنه قد عرف ربه، فقد حلف بالله: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ص:٨٢]، قال العلماء حكم الجهم على نفسه بالكفر؛ لأنه من أبعد الناس معرفة بالله، فقد عطل الله عن صفاته، ووصفه بما يُوصف به العدم، فقال: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا حال فيه، ولا فوق العالم، ولا فيه، ولا ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب منه شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى لشيء، ولا يراه أحد، ونحو ذلك، فوصفه بما يوصف به العدم، وعلى هذا فقد حكم على نفسه بالكفر.

* * *

فصل في وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ:

٥٥ - وَيَجِبُ اَلْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ اَلنَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ، أَوْ غَابَ عَنَّا، نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقِلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ، مِثْلَ: حَدِيثِ اَلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرْ اَلْمَنَامَاتِ.

٥٦ - وَمِنْ ذَلِكَ:

أَنَّ مَلَكَ اَلْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَقْبِضَ رُوحِهِ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ.

الشرح:

قوله: فَصْلٌ: وَيَجِبُ اَلْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ اَلنَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ، أَوْ غَابَ عَنَّا.

ولا يتم الإيمان حتى يؤمن بجميع ما ذُكر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ من الأمور المغيبة، سواء رأيناه أو لم نره، والإيمان بالمغيبات مما امتدح الله عز وجل عليه المتقين: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٣].

قوله: نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقِلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ.

هذا هو السبيل الحق، وهذه هي الطريقة التي تجب على المسلم سلوكها، نؤمن بجميع ما جاء في الكتاب والسنة، كل ما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به النبي ﷺ في سنته فهو حق، سواء عقلناه أو جهلناه أو لم نطلع على حقيقة معناه فهو حق.

قوله: مِثْلَ حَدِيثِ اَلْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرْ اَلْمَنَامَاتِ.

أمور مغيبة، أيد الله عز وجل نبيه بذلك، وذكر ذلك في كتابه الكريم، والإسراء والمعراج حق، **وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا** ، رد على من قال إنه منام، ولم يثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن معاوية أنه كان في المنام، آثار ضعيفة لم تثبت، في أسانيدها ضعف، كان في اليقظة لا شك في ذلك وإلا لماذا أنكرت قريش ذلك وأكبرت ذلك وكذبت، ولو كان منامًا ما أنكرتْ، فما كانوا ينكرون المنامات والرؤى، وكان يقظة بالروح والجسد: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء:١]، فقوله بِعَبْدِهِ يشمل الروح والجسد، والإسراء والمعراج من أعظم الآيات التي أيد الله بها نبيه ﷺ ، **وهل كان قبل أم بعد الهجرة؟**

قبل الهجرة لا شك في ذلك، وقد ذُكر تفاصيل ذلك في أحاديث الإسراء والمعراج في الصحيحين عن أنس وعن أبي ذر وعن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

وقد أورد الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث وطرقها في الإسراء والمعراج في أوائل تفسير سورة الإسراء.

كم حدث الإسراء والمعراج مرات؟

مرة واحدة لا شك في ذلك، وما حصل من اختلاف في بعض الألفاظ فبعضه كان فيه ضعف لا يعتمد عليه، ومن قال من الفقهاء تعددت فيه الإسراء والمعراج فهو قول بعيد جدًا أنكره العلماء، فالروايات الضعيفة لا يعتمد عليها، بعضهم إذا رأى اختلاف في بعض الروايات يقول يُحمل على تعدد الإسراء والمعراج وهذا قول باطل، فبعض الروايات ضعيفة لا يُعارض بها الأحاديث الصحيحة.

إلى أين كان الإسراء ومن أين ابتدأ؟

من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، صلى ﷺ في بيت المقدس، من بيت أم هانئ كما في بعض الروايات، أُخذ من بيت أم هانئ فُرج السقف بإذن الله، ثم أُخذ إلى زمزم إلى المسجد الحرام، وفُرج عن صدره وغسِّل صدره، ثم أُسري به إلى بيت المقدس ثم عُرج به حتى جاوز السماء السابعة وبلغ إلى سدرة المنتهى.

قوله: وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لِيَقْبِضَ رُوحِهِ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ.

الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نؤمن بذلك، وقد أُعتذر لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنه لم يعلم إنه ملك الموت وأنه جاءه في صورة آدمي، يخبره بقرب أجله فدفع موسى عن نفسه فلطمه، فلم علم إنه ملك الموت مرسل من الله عز وجل قال الله عز وجل لملك الموت: «**ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ،**

فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، وقد طعن بعضهم في أحاديث الصحيحين بمثل هذا الحديث فيتلمسون بعض الأحاديث التي يحاولون زعزعة الثقة في قلوب الناس في أحاديث الصحيحين، قالوا كيف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سيلطم ملك الموت وأرادوا أن يكذبوا الحديث، ونؤمن بأن هذا الحديث حق وبأنه وقع ما أخبر به النبي ﷺ ولكن تأويله على ما تقدم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٥٧ - وَمِنْ ذَلِكَ:

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مِثْلُ: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْتُلُهُ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ.

الشرح:

قوله: وَمِنْ ذَلِكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ.

أي نؤمن بما أخبرنا به نبينا ﷺ من أشراط الساعة أو ما جاء في الكتاب والسنه وهي أمور مغيبة ولكن وجب علينا الايمان بها.

قوله: مِثْلُ خُرُوجِ الدَّجَّالِ.

فنؤمن بخروج الدجال في آخر الزمان يمكث في الناس أربعين يومًا يدعي الربوبية؛ يومٌ كسنة ويومٌ كشهر ويومٌ كجمعة وسائر أيامه كأيامنا، وقد جاء صفة خروجه وذكر كيفية الخروج وبعض ما يصنعه الدجال في حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم، وحديث ابن عمر متفق عليه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**»، قال النووي: أَمَّا **طَافِئَةٌ** فَرُوِيَتْ بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ فَالْمَهْمُوزَةُ هِيَ الَّتِي ذَهَبَ نُورُهَا وَغَيْرُ الْمَهْمُوزَةِ الَّتِي نَتَأَتْ وَطَفَتْ مُرْتَفِعَةٌ وَفِيهَا ضَوْءٌ. انتهى.

إشكال في هذا الحديث: أعور العين اليمنى، وفي حديث حذيفة أعور العين اليسرى.

أهو أعور العين اليمنى أم اليسرى؟

جاء في بعض الروايات ممسوح العين اليسرى، واليمنى ناتئة طافئة، طافئة أي إنها ناتئة، إذن ممسوح العين اليسرى واليمنى ناتئة طافئة معيبة، فإذا قيل أعور العين اليمنى باعتبار ما فيها من النتوء، وهذا يرجح رواية طافية على طافئة أي ناتئة.

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر**»، وفي رواية: «**الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ**»، فهي فتنة عظيمة بهذا الدجال، كما في حديث النواس بن سمعان، ولكنه أعور كيف يكون ربًا وهو أعور، «**وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، أستدل أهل السنة والجماعة بأن لله عينين بهذا الحديث، فالله عينان تليق بجلاله، فالله أعلم بكيفيتهما، قال أهل العلم: ولو كانت أكثر من عينين لكان ذكر ذلك أيسر في التفريق فيقال هو أعور وربكم له كذا كذا عين ولكن قال: «**وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، إشارة واضحة إلى أن لله عينين، وقد جاء حديث ولكن في إسناده ضعف، قال: يقوم بين عيني الرحمن.

وهذا من فضل الله على الناس أن جعل صفاته واضحة؛ أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مسلم كاتب وغير كاتب، ولكن كثير من الناس يفتنون بفتنته إلا من عصم الله، وأكثرهم من اليهود وأصحابهم من جهة أصبهان، قَالَ: «**يَتْبَعُ**

الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»، أخرجه مسلم عن أنس، وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ**»، جفال الشعر أي كثيره، وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ**»، قال النووي: (ظفرة) هي جلدة تغشى البصر وقال الأصمعي لحمة تنبت عند المآقي.

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي الدَّجَّالِ قَالَ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ**»، فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**»، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ فِي قِصَّةِ الدَّجَّالِ حُجَّةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي صِحَّةِ وُجُودِهِ. انتهى.

وهذا هو الذي عليه أهل السنة إنه مخلوق موجود، ولكن قدَّر الله أن يتأخر خروجه إلى الساعة التي يريدها الله، ثم يقتله المسيح بن مريم عليه اسلام.

قال: وَأَنَّهُ شَخْصٌ بِعَيْنِهِ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ وَأَقْدَرَهُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ مَقْدُورَاتِ اللَّهِ تَعَالَى. انتهى. ولله الحكمة أمكنه من بعض الأمور لبتلي الله العباد بذلك، فهذه أعظم فتنة خلقها الله، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**»، أعظم فتنة هي فتنة الدجال، وقول القاضي: وَأَنَّهُ شَخْصٌ بِعَيْنِهِ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ وَأَقْدَرَهُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ مَقْدُورَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ. انتهى. ولا يقدر على إحياء شخص إلا هذا الشخص فقط، قال القاضي: مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ وَمِنْ ظُهُورِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالْخِصْبِ مَعَهُ وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَنَهَرَيْهِ وَاتِّبَاعِ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَهُ وَأَمْرِهِ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَالْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ فَيَقَعُ كُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ ثُمَّ يُعْجِزُهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره وَيُبْطِلُ أَمْرَهُ وَيَقْتُلُهُ عِيسَى ﷺ وَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجَمِيعِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالنُّظَّارِ خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَهُ وَأَبْطَلَ أَمْرَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَبَعْضِ الْمُعْتَزِلَةِ. انتهى.

وعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ،**

فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ،

فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فخفض فيه ورفع" بتشديد الفاء فيهما وفي معناه قولان أحدهما أن خفض بمعنى حقر وقوله رفع أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهو أنه على الله تعالى عوره ومنه قوله ﷺ هو أهون على الله من ذلك وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ثم يعجز عنه وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه، والوجه الثاني: أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد بلاغًا كاملًا مفخمًا.

قوله: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ»، جاء في الصحيح المسند ما بين ويفسر هذه الرواية عن حذيفة وهو صحيح على شرط الشيخين أخرجه أحمد، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «لَأَنَا لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا، وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ

الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا [تَتَّضِعُ] لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»، وفي رواية البزار فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ لَيْسَ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ، وَلَا كَبِيرَةٍ إِلَّا تَضَعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ فَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةِ مَا قَبْلَهَا نَجَا مِنْهَا، وَاللَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**».

وفي حديث النواس الحث على اجتناب مجالسة الدجال وأن من أراد الثبات فليبتعد عنه، وفيه فضل أوائل سورة الكهف ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**».

وقوله: «**إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**»، يستفاد من هذا أن المسلمين إذا كانوا مستضعفين في بلدة من البلدان فعليهم أن يتجنبوا الكفار، أن يتحرزوا منهم، يتبعدوا عنهم، ليس لك قوة على قتالهم فتحرز وابتعد عنهم، فمن يبقى يخالطهم مع الذلة فهذا خطأ، **ويأجوج ومأجوج من نسل آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ما الدليل على ذلك؟**

حديث أَبِي سَعِيدٍ –في الصحيحين– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** » قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»، فهذا دليل واضح على أن يأجوج ومأجوج من نسل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، **ومن نسل نوح أيضًا** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **ما الدليل؟** قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات:٧٧]، فليس على وجه الأرض أحد إلا من ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجميع الموجودين من الإنس على ظهر الأرض كلهم من أبناء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن أبناء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات:٧٧]، لم يبقى إلا ذرية نوح، ولكنهم مفسدون في الأرض: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف:٩٤]. الظاهر إنهم من جهة المشرق؛ لأن الله عز وجل ذكر أن ذا القرنين ضرب الأرض حتى بلغ حتى مغرب الشمس، ثم بعد ذلك ضرب الأرض حتى بلغ مطلع الشمس، ثم سلك طريقًا أخرى حتى بلغ السدين، فالظاهر أنه في جهة المشرق.

واستشكل أهل العلم: هل أُقيمت عليهم الحجة، لأنهم مردوم عليهم؟

فمحمول على أنها قامت عليهم الحجة بدعوى ذي القرنين، ولكن قد مضت سنوات عديدة، وأحسن ما يقال فيهم إن الله عز وجل قد علم طبعهم وأنهم قوم عتاة، كما علم الله عز وجل من الطفل الذي قتله الخضر، طُبع يوم طُبع كافرًا، وهؤلاء أيضًا علم الله حالهم، وأنه مطبوع قلوبهم بالكفر، فإن كانوا لم تبلغهم دعوة يختبرون يوم القيامة، ولكن فسادهم المعلوم يدل على أنهم قد طُبِعوا على الكفر وأنهم لا ينتفعون بالاختبار يوم القيامة ويكونون من أهل النار، وإن كانت بلغتهم دعوة يتوارثونها بعضهم عن بعض فهذا لا إشكال فيه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

﴿ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]، هم بين أمرين: إما أن تكون بلغتهم الحجة، والله أعلم كيف بلغتهم، أو أنهم سيختبرون يوم القيامة، وقد علم الله من شأنهم أنهم مفسدون فاسدون مطبوعون على الكفر، فهم من أهل النار.

قوله: وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ.

والدابة التي تخرج ما جنسها وما نوعها وفي أي مكان تخرج؟

لم يثبت شيء في وصفها ولا في تعيين مكان خروجها، ومن قال إنها تخرج من مكة ليس معه دليل على ذلك، الله أعلم، أخبرنا الله تعالى عن خروج الدابة ولم يخبرنا عن تعيين الدابة ولا نوعيتها ولا مكان خروجها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٨٢].

قوله: وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

أيهما أسبق خروج الدابة من مطلعها أم طلوع الشمس؟

لم يُبين في الحديث أيهما أسبق، حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو في صحيح مسلم قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»، فيدل على إنهما متعاقبان متقاربان، وقد جاءت الأدلة الواضحة في أن طلوع الشمس من مغربها قاطع للتوبة، ما الدليل على ذلك؟

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ

﴿مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، فسرها النبي ﷺ بطلوع الشمس من مغربها، ففي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾** [الأنعام:١٥٨] »، وأيضًا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»، معناه إذا تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فلا توبة له، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل:٨٢]، هَذِهِ الدَّابَّةُ تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ وَتَرْكِهِمْ أَوَامِرَ اللَّهِ وَتَبْدِيلِهِمُ الدِّينَ الْحَقَّ، يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ، قِيلَ: مِنْ مَكَّةَ، وَقِيلَ: مِنْ غيرها كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى فَتُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ والحسن وقتادة ويروى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

تُكَلِّمُهُمْ كَلَامًا، أَيْ تُخَاطِبُهُمْ مُخَاطَبَةً، وَقَالَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ: تُكَلِّمُهُمْ فَتَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ، وَيُرْوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى، وَالله أعلم. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: تجرحهم، وعنه رواية قال: كلّا تفعل هَذَا وَهَذَا، وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ وَلَا مُنَافَاةَ، وَالله أعلم. انتهى.

قوله: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: تجرحهم أي على قراءة تكلْمهم من الكلم وهو الجرح وهي قراءة شاذة، والصواب إنه من الكلام، تُكَلِّمُهُمْ، هذا هو الثابت والمثبت في المصاحف.

في تفسير ابن الجوزي قال: قوله تعالى: تُكَلِّمُهُمْ قرأ الأكثرون بتشديد اللام، فهو من الكلام. وفيما تكلِّمهم به **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنها تقول لهم: إِنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، قاله قتادة.

والثاني: تكلِّمهم ببطلان الأديان سوى دين الاسلام، قاله السدي.

والثالث: تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر، حكاه الماوردي، وقرأ ابن أبي عبلة، والجحدري: بتسكين الكاف وكسر اللام وفتح التاء فهو من الكَلْم قال ثعلب: والمعنى: تجرحهم، وسئل ابن عباس عن القراءتين، فقال: كل ذلك والله تفعله تُكلِّم المؤمن، وتَكْلِم الفاجر والكافر، أي: تجرحه.

قوله تعالى: (**أَنَّ النَّاسَ**) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة، وكسرها الباقون فمن فتح أراد: (**تُكَلِّمُهُم بِأَنَّ النَّاسَ**)، وهكذا قرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني: (**تكلِّمهم بأنَّ الناس**) بزيادة باء مع فتح الهمزة ومن كسر فلأنّ معنى: «**تكلِّمهم**» تقول لهم: إن الناس، والكلام قول. انتهى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند قول رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»، أَيْ أَوَّلُ الْآيَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ مَأْلُوفَةً، وَإِنْ كَانَ الدَّجَّالُ وَنُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، كُلُّ ذَلِكَ أُمُورٌ مَأْلُوفَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ بَشَرٌ، مُشَاهَدَةُ مِثْلِهِمْ مَأْلُوفَةٌ، أَمَّا خُرُوجُ الدَّابَّةِ بِشَكْلٍ غَرِيبٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، ثُمَّ مُخَاطَبَتُهَا النَّاسَ وَوَسْمُهَا إِيَّاهُمْ بِالْإِيمَانِ أَوِ الْكُفْرِ فَأَمْرٌ خَارِجٌ عَنْ مَجَارِي الْعَادَاتِ، وَذَلِكَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْأَرْضِيَّةِ، كَمَا أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، عَلَى خِلَافِ عَادَتِهَا الْمَأْلُوفَةِ - أَوَّلُ الْآيَاتِ السَّمَاوِيَّةِ. انتهى.

هذا كلام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توجيه أول الآيات؛ لأن هناك آيات قبلها من أشراط الساعة الكبرى: خروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والمسيح، وكلام ابن كثير موجود في النهاية.

إذن هناك إشكال حول حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو في «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»؛ لأن خروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والمسيح قبل ذلك، فما هو الجواب؟

هناك جوابان: أحدهما لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث جعلها أول الآيات أي التي ليست مألوفة.

والجواب الثاني: جواب الطيبي وجواب الطيبي أحسن وأجمل وهو أنه قسمها إلى قسمين: أمارات لقرب قيام الساعة ومن ذلك خروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول المسيح ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأمارات دالة على وقوع الساعة وهي طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ويلتحق بذلك أيضًا الريح الطيبة، وكلام الطيبي كلام طيب جميل وهو في شرحه على السنن، اسم كتابه الكاشف عن حقائق السنن نقله عنه الإثيوبي في شرحه على مسلم.

قوله: وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ.

أي من الأمور المغيبة التي أخبرنا بها ربنا جل وعلا وأخبرنا بها نبينا ﷺ، نؤمن بذلك، وقد ذكر جملة من المغيبات وسيأتي أيضًا جملة من ذلك.

[وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٥٨ - وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

٥٩ - وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ.

الشرح:

قوله: **وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.**

استعاذ من عذاب القبر عقب كل صلاة، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»، الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واللفظ لمسلم، وأنكر العقلانيون والمبتدعة الزائغون عذاب القبر ونعيمه، هم ينكرون عذاب القبر ونعيم القبر، ولكن كثر الكلام على العذاب؛ لأنهم يحتجون على أنه كيف يعذب وما أشبه ذلك، وإلا فهم يقولون لا عذاب ولا نعيم، وهذا كلام باطل، والأدلة على ذلك متواتر من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، **فما هي هذه الأدلة؟**

قال تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ **سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ [التوبة:١٠١]، مرة في الدنيا ومرة في البرزخ: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾

[الأنعام:٩٣]، وهذا من أصرح الأدلة، فهو دليل واضح بأنه بمجرد المفارقة يأتي بعده العذاب: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [الأنفال:٥٠]، ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [نوح:٢٥]، ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [السجدة:٢١]. فُسِّرا بذلك، والأصح أن الْعَذَابِ الْأَدْنَى أي المصائب في الدنيا لقوله لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، فالأدلة كثيرة.

ومن السنة: حديث البراء بن عازب الطويل صريح في المسألة، وأيضًا حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»، قَالَ فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»، وحديث عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟**» قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، وحديث سمرة بن جندب في الرؤية التي رآها النبي ﷺ رأى أناس يعذبون وهو حديث طويل معلوم في صحيح البخاري، وحديث عَنْ أَسْمَاءَ في الصحيحين قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي المَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَثْنَى

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ - مِثْلَ أَوْ - قَرِيبَ -لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ - لاَ أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»،

وبيانه حديث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ -أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»، والأدلة في ذلك متواترة ولا ينكره إلا رجل ضال، ولولا التأويل لكُفِّر؛ لأنه رد لأدلة الكتاب والسنة.

فماذا عن شبهتهم في وقله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢]، قالوا سماه مرقد فلا عذاب فيه لأنه رقود؟

كلمة رقود لا يلزم منها في اللغة العربية أنه لا يوجد عذاب، فقد ينام النائم ويرى من الرؤى ما يتألم منها ألمًا شديدًا، ويجد نفسه في عذاب وهو راقد، فلا ملازمة بين الرقود وبين أنه لا يعذب، هذا أحسن جواب، وجواب آخر لأهل

العلم قالوا هذه رقدة يرقدها بعد نفخة الصور الأولى، يعني قبيل النفخة الثانية، يرفع عنهم العذاب في ذلك الوقت، ثم كيف تترك الأدلة الصحيحة الصريحة المتواترة من أجل هذه الآية التي لم يفسرها أحد السلف بتفسيرهم إنه إنكار لعذاب القبر، يُقال لهم هاتوا صاحبيًا أو إمامًا من أئمة المسلمين فسرها بهذا التفسير، لا النبي ﷺ ولا الصحابة ولا أئمة الهدى، كلهم ما عرفوا تفسيرها حتى جاء هؤلاء العقلانيون المبتدعة الضالون المتأخرون يقولون أن تفسيرها أنه ليس هناك عذاب قبر، ما هناك أحد من السلف رد الأدلة المتواترة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ من أجل هذا، وحقيقة الأمر أنه تتبع للمتشابه، وهذا شأن أهل البدع والضلال يستدلون بعد أن يعتقدوا الضلال يذهبون ويلتمسون له الأدلة.

وسمعنا شبهة أخرى يقولون: إذا كان عذاب القبر حق فكيف سيعذب ناس الذين ماتوا قديماً ربما بعضهم معه ذنوب أقل من الذي يموت متأخر فيعذب أكثر منه إذا كان عذاب القبر ثابت، ما الجواب على هذه الشبهة الواهية؟

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أراد تعذيبهم فيعذب كل منهم بقدر ما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحكمته وعدله، ولا يُثبت أن عذاب الموحدين مستمر في عذاب القبر إنما المستمر هو عذاب الكافرين: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر:٤٦]، ثم إذا استمر العذاب قد يجعل الله الاختلاف في الكيفية والشدة، وهذه أمور معلومة حتى عند الناس قد يُعذب شخص ثلاثة أيام في الدنيا وشخص يعذب يوم واحد أشد وأشد من ذلك العذاب، فهذه شبه واهية وضلال بعيد، وهكذا النعيم أدلته واضحة منها حديث

البراء بن عازب في مسند أحمد، وعن عائشة في مسند أحمد، وعن أبي هريرة عند النسائي، أحاديث متكاثرة وصت حجال المؤمن وحال الكافر في البرزخ وذكر إن المؤمن في نعيم.

قوله: (وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ).

فما معنى فتنة القبر؟

سؤال الملكين، وقد تطلق فتنة القبر ويراد بها العذاب، ولكن مراده هنا السؤال، الفتنة في كتاب الله متعددة: منها العذاب ومنها الامتحان ومنها الابتلاءات بالخير أو بالشر، وكذلك الوقوع في الشهوة، فُتن أي وقع في المعصية والشهوة، والمراد في هذا الباب سؤال الملكين، نؤمن بذلك، فقد ذكر ذلك نبينا ﷺ في أحاديث متعددة مثل حديث أنس بم مالك في الصحيحين وحديث البراء بن عازب في مسند أحمد، وجاء عن عائشة وأبي هريرة عند أحمد والنسائي وعن جمع من الصحابة ذكر سؤال الملكين، ووقع في حديث أبي هريرة وهو حديث حسن عند ابن حبان والترمذي وغيرهما يقال لأحدهما منكر والآخر نكير، ففيه التسمية للملكين، وسماهما المؤلف هنا: **وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ**: ويناسب في هذا المقام قراءة حديث البراء فهو يعتبر شرحًا وافيًا لهذه الفقرة، ذكره الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح المسند برقم (١٤١) قال الإمام أبو بكر بن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ

يَنْكُتُ بِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَوْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، حَتَّى يَجْلِسُونَ مِنْهُ، مَدَّ الْبَصَرِ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ بِهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا، وَرَوْحِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا،

وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، حَتَّى يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ قَالَ: فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ فَيَقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ كَمَا تُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُوهَا، فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ، طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ، وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، قَالَ: «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قَالَ: «فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١]،» قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ الْمَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟، فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، وَقَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث حسن، ففيه إثبات عذاب القبر ونعيم

القبر، وفيه إثبات الفتنة، أهل السنة سعداء بإيمانهم بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، هداهم الله عز وجل للتمسك بالكتاب والسنة، يؤمنون بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، فتجدهم منشرحي الصدور مطمئنين عقيدة سلمية صحيحة، لأنها مأخوذة من الكتاب والسنة، ولا تجدهم يتناقضون، ولا يتكلفون، فهذه سعادة علينا أن نحمد الله عز جل على هذه النعمة، نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، قال في الصحاح للجوهري: والسَفَّودُ، بالتشديد: الحديدةُ التى يشوى بها اللحم.

وللفائدة قال في النهاية: قَدْ تَكَرَّرَ فِيهِ ذِكْرُ «المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَذِكْرُ «المَسِيح الدَّجَّالِ» أَمَّا عِيسَى فسُمِّي بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْسَحُ بِيَدِهِ ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِئَ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ أَمْسَحَ الرِّجْل، لَا أَخْمَصَ لَهُ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ خَرَج مِنْ بَطْنِ أمِّه مَمْسُوحا بالدُّهْنِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ يَمْسَح الْأَرْضَ: أَيْ يَقْطَعُهَا.

وَقِيلَ: المَسِيح: الصِّدِّيق.

وَقِيلَ: هُوَ بالعبرانِيَّة: مَشِيحاً، فَعُرِّب.

وَأَمَّا الدجَّال فَسُمِّي بِهِ؛ لِأَنَّ عَيْنَه الواحدَةَ مَمْسُوحَة.

وَيُقَالُ: رجلٌ مَمْسُوحُ الوجْهِ ومَسِيحٌ، وهو أَلَّا يَبْقَى عَلَى أحدٍ شِقْي وجْهِهِ عَيْنٌ وَلَا حاجبٌ إِلَّا اسْتَوى.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَمْسَحُ الأرْض: أَيْ يَقْطَعُها.

وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: إِنَّهُ المِسِّيح، بِوَزْنِ سِكِّيتٍ، وَإِنَّهُ الَّذِي مُسِحَ خَلْقُه: أَيْ شُوِّهَ.

قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَسُؤَالُ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ**: تقدم الكلام عن منكر ونكير وفتنة القبر، والفتنة أُستثني منها بعض الناس لا يُفتن ولا يُسأل، **فمن هؤلاء الذين لا يُفتنون في القبر؟**

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والدليل حديث عَائِشَةَ في مسند أحمد قَالَتْ: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ، فَاسْتَطْعَمَتْ عَلَى بَابِي، فَقَالَتْ: أَطْعِمُونِي، أَعَاذَكُمُ اللهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ: فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: «**وَمَا تَقُولُ؟**»، قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمُ اللهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ**»، فالأنبياء يُفتن بهم وعنهم يُسألون، «**فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ**».

والشهداء؛ الشهيد لا يُفتن في قبره، والدليل حديث رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ –عند النسائي– أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»، فما يُفتن.

وأيضًا من الذين ما يُفتنون في القبور: المرابط في سبيل الله، والدليل حديث سَلْمَانَ الفارسي في صحيح مسلم– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»، والمرابط هو الذي يحرس في الثغور، في ثغور المسلمين في

سبيل الله، يحرسون المسلمين من الأماكن التي يأتي منها أعداء الله، في الثغور أي في الحدود، هؤلاء يسمون مرابطين، وإذا مات حتى ولو لم يكن في حال معركة فله الفضل المذكور، وفي سنن الترمذي عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ**».

وأيضًا من الذين لا يُفتنون: ألحق بعضهم الصديقين؛ لأن الله تعالى قدمهم على الشهداء في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء:٦٩]، فقال بعضهم الصديق لا يُفتن، وليس في مسألة الصديق دليل صحيح، ولكن ألحق بعضهم الصديق بهذه الآية واختاره القرطبي في التذكرة، والراجح أنه على الأصل، يُتن لعدم وجود دليل يُستثنى، وقد يجعل الله للشهيد خصيصة وفضيلة وإن كان دون الصدِّيق في المنزلة، ولذلك رجح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الروح إنهم يُفتنون على الأصل لعدم وجود دليل يستثنيهم من ذلك.

وممن لا يُفتن أيضًا: الصبي والمجنون، المجنون الذي كان على جنونه من قبل بلوغه، فالصحيح فيهم عدم الفتنة لأنهم غير مكلفين، «**رُفِعَ القلم عن ثلاثةٍ: عن النَّائم حتى يستيقظَ، وعن الصَّبيِّ حتى يَحتَلِمَ، وعن المجنونِ حتى يَعقِلَ**».

[وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت وما بعده مشاهد يوم القيامة]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

٦٠- وَيُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُحَاسِبَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالشَّمَائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

٦١- وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

الشرح:

قوله: وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ.

نؤمن بذلك، نؤمن باليوم الآخر والبعث بعد الموت حق، ولا يصح إيمان المسلم إلا إذا آمن بذلك، وعدم الإيمان بذلك كفر بواح، فهذا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ولا يوجد مسلم إلا ويعلم بالبعث بعد الموت،

وأدلته كثيرة جدا في كتاب الله؛ لأن كفار قريش كانوا ينكرون البعث فكثرتْ الأدلة على ذلك في كتاب الله جدًا.

ما الأدلة الدالة على ذلك؟

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧]، ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢]، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٦]، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج:٤٣]، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٣٨]، ﴿ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ [العاديات:٩]، ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨]، هذه الآية من أعظم الآيات في إقامة الحجة على الكافرين في تقرير البعث بعد الموت، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس:٧٧]، أولًا ذكَّره الله بأصل خلقته، من نطفة، أليس الذي خلقك من نطفة قادر على أن يعيدك؟! ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٧٧-٨٣]، نزلت في العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أيحيى الله هذا بعد ما أرم؟ فقال

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم**»، قال: ونزلت الآيات من آخر يس.

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ [يس:٧٨]، نسي خلق من أين خُلق، من نطفة، قال الله عز وجل: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم:٩]، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان:١]، ﴿ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة:٣٥-٤٠].

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [يس:٨١]، وهم يقرون بأن الله خلق السموات والأرض فكيف ينكرون البعث، وخلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس وأعظم من بعثهم: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان:٢٨]، ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف:٣٣]، ثم بين قدرته العظيمة فقال: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

فآيات كثيرة في تقرير البعث بعد الموت، ومن الأدلة الأخرى أيضًا على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس:٥٣]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ:٣]، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧]، ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة:٦]، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ

ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون:١٥]. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]، وهذه الآية أيضًا فيها تقرير عظيم للبعث، لما بدأ وذكر أصل خلقة الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٩]، انظروا كيف ذكر الله أطوار خلق ابن آدم، ثم ذكر الله خلق السموات ليقيم الحجة على الكافرين فهم يؤمنون ويقرون بأن الله هو الذي خلق السموات، فكيف أقررتم بخلق السموات وأنكرتم البعث، وأيضًا من الأدلة: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٥]، ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات:١٣-١٤]، ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الصافات:١٦-٢٤]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٥٦]، فالأدلة كثيرة جدًا على تقرير البعث، ثلاثة عشر سنة أقام النبي ﷺ بمكة ينزل عليه القرآن وفي تلك السور عامتها فيها تقرير البعث بعد الموت، وحتى في السور المدنية كذلك فيها تقرير ذلك بكثرة.

قوله: وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصُّورِ: ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس:٥١].

كم عدد النفخات في الصور؟

الصحيح أنها نفختان؛ **النفخة الأولى** هي نفخة الصعق، ويقال لها أيضًا نفخة الفزع، والدليل: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾ [الزمر:٦٨]، وفي الآية الأخرى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ [النمل:٨٧]، فهي فزع وصعق، وجعلها بعض أهل العلم نفختين، نفخة يفزع الناس بها، ونفخة يفزعون، والصحيح أنها نفخة واحدة يحصل لهم بها الفزع والصعق مرة واحدة، يفزعون ويصعقون، وهذا يحصل حتى في بعض الأصوات المزعجة عند أن تبدأ تسمعها تفزع وإذا كانت شديدة عليك تُصعق بها، هذا شيء معلوم، نفختان نفخة يصعق فيها من بقي على وجه الأرض ومن في السماء أيضًا حتى الملائكة يصعقون منها إلا من شاء الله، **من هؤلاء الذين قال الله فيهم:** ﴿ **إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ** ﴾ [النمل:٨٧]**؟**

قال بعض أهل العلم: لعل المراد بهم حملة العرش، وقال بعضهم: لعله جبريل وميكائيل وإسرافيل، والأفضل أن يقال الله أعلم بهم لعل هؤلاء المذكورين منهم، ولكن لا نجزم بتعيين أحد، ولكن نجزم ببقاء من في الجنة ممن خلقه الله للبقاء، كالحور العين والولدان المخلدين الذين خلقهم الله للبقاء ولم يكتب عليهم الفناء، فهؤلاء الذين في الجنة داخلون في الاستثناء، وقد يدخل من شاءه الله من ملائكته المقربين دون أن نخوض في التعيين؛ لأن الله لم يطلعنا على

ذلك، الله عز وجل قال: ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل:٨٧، الزمر:٦٨]، فنحن نتوقف عن الخوض في تعيين أحد منهم، فالنفخة الأولى يُصعق فيها من في السموات والأرض صعقة موت، وتكون على شرار الخلق في ذلك اليوم في الأرض، قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»، «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**»، والمؤمنون يرسل الله عليهم ريحًا طيبة، يكرمهم الله بموتة طيبة، يرسل الله عليهم ريحا طيبة مسها مس الحرير باردة، قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»، فهذه النفخة تكون على شرار الخلق في الأرض، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨]، ثم فارقة بين النفختين، زمن، في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ**» قَالَ: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَبَيْتُ؛ أي سمعه مطلقًا فرواه كما سمعه، قد يكون أربعين يومًا أو شهرًا أو سنة، «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، وقد ثبت عند الطبراني بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُمْنِي كَمَنِيِّ الرَّجَالِ، فَتَنْبُتُ جُسْمَانُهُمْ، وَلُحُمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ كَمَا يَنْبُتُ الْأَرْضُ مِنَ السُّدِّيِّ**»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [الروم:٤٨]، وهذه النفخة الثانية تنبت فيها الأجساد قبل النفخة ثم يُنفخ

فتتطاير الأرواح وتُعاد إلى الأجساد وتتشقق الأرض: ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات:١٠-١٤]، يعني على وجه الأرض: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨]، فإذا قام الناس من قبورهم رأوا الأهوال العظيمة، يرون تشقق وتفطر السماء وتزلزل الأرض، ويرون الجبال وهي كالهباء المنثور: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ:١٨-٢٠]، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:١٠٥-١٠٨]، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق:١-٥]، ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير:١-١٤]، كل هذه الأهوال يرها الناس لذلك ما يعرف أحد أحدًا، يحشرون حفاة عراة غرلًا لا ينظر أحد إلى أحد من عظم الأهوال: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار:١-٥]، يرون انفطار السماء وانتثار الكواكب، أهوال عظيمة يراها الناس عند أن يقوموا من قبورهم ولذلك لا ينظر أحد إلى أحد يحشرون حفاة عراة غرلًا، وغرلًا أي غير مختونين.

قوله: وَيُحْشَرُ اَلنَّاسُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بِهِمَا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ اَلْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**».

فمن أول من يُكسى من الخلائق بعد الخروج من القبور؟

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما في "الصحيحين" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾** [الأنبياء:١٠٤]، **وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**»، فنسأل الله العافية وأن يظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يدخلنا الجنة وإياكم بغير حساب ولا عذاب.

مسألة: .....

الجواب: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق:٤]، يكونون على وجه الأرض حتى إذا بُدلت جمعهم الله على الصرط، فإذا خُلقتْ الأرض الأخرى نُشروا فيها: **﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾** [إبراهيم:٤٨]، قَالَ يَهُودِيٌّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**».

قوله: وَيُحْشَرُ اَلنَّاسُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بِهِمَا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ اَلْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

والحشر حشران؛ حشر من أشراط الساعة، وحشر هي الساعة بنفسها، **فما هو الحشر الأول؟**

هو نار تخرج من قعر عدن أو بحر حضرموت تسوق الناس إلى محشرهم إلى الشام، قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُونَ هَاهُنَا**»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ، «**مُشَاةً وَرُكْبَانًا، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ تُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ، وَأَوَّلُ مَا يُعْرِبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ**»، ومن أشراط الساعة الكبرى خروج نار من بحر حضرموت من قعر عدن تنتشر فتسوق من بقي من الناس إلى أرض الشام، هذا حشر من علامات الساعة الكبرى.

والحشر الآخر هو حشرهم عند خروجهم من قبورهم، وهو الحشر يوم القيامة، آمنا بذلك، وبما جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

[أنواع الشفاعات]

قوله: حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

أي أنهم يحشرون ويقفون في أرض المحشر زمنًا الله أعلم بمقداره، وتدنو الشمس من الخلائق حتى تكون منهم قدر ميل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا**

أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»، متفق عليه، وهذه هي الشفاعة العظمى في فصل القضاء، يوم طويل مقداره خمسين ألف سنة، وهذا حديث أنس في الصحيحين أيضًا، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي:

يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

قوله: وَيُحْشَرُ اَلنَّاسُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بِهِمَا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ اَلْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

تقدم معنا أن هذه الشفاعة هي الشفاعة في فصل القضاء، **فكم الشفاعات الثابتة في الأدلة الشرعية؟**

١)الشفاعة العظمى التي ذكرها المؤلف، فصل القضاء بين الخلائق.

٢)شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب لتخفيف العذاب.

٣)وشفاعة النبي ﷺ لدخول الجنة، هذه الثلاث الشفاعات خاصة بالنبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد.

❖**وبقية الشفاعات:**

١)الشفاعة في إخراج الموحدين من النار وهذه عامة للأنبياء والصالحين وللشهداء وللملائكة لمن أذن الله، يشفعون في إخراج الموحدين فيكرمهم الله ويكرم المشفوع له، وكله بإذن الله، ولمن رضي له، وهذه الشفاعة ينكرها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة.

٢)وشفاعة لرفع الدرجات ومغفرة الذنوب، وهذه عامة أيضًا، وتكون حتى في الدنيا مثل صلاة الجنازة والدعاء للأموات.

ما الدليل على أن الصلاة على الجنازة تعتبر شفاعة؟

حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ في "صحيح مسلم" أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ - أَوْ بِعُسْفَانَ - فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ، انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**».

قوله: وَيُحَاسِبَهُمْ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والحساب نوعان: حساب عرض، وحساب استقصاء، وفي الصحيحين عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ [الانشقاق:٨]، قَالَتْ: فَقَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ**»، ولكن الله يلطف بالمؤمنين، وإذا حاسبهم حساب عرض يقول: سترتها عليكم في الدنيا وأنا أغفرها لكم اليوم، كما في الصحيحين عن ابْنَ عُمَرَ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ**»، فهذ حساب يسير، حساب العرض، يقع حتى على بعض المؤمنين، وحساب المناقشة على الكافرين، وعلى من شاء الله تعالى ممن ارتكب كبائر فيعذبه بها، «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ**».

وينجي الله أقومًا فلا يحاسبهم بالكلية؛ وهم الأنبياء والشهداء وكذلك السبعون الألف، قال النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هذا فضل عظيم.

قوله: وَتُنْصَبُ اَلْمَوَازِينُ.

للحساب: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، تنصب الموازين للحساب، نؤمن بذلك كما أخبر الله جل وعلا، ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

قوله: وَتُنْشَرُ اَلدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ اَلْأَعْمَالِ إِلَى اَلْإِيمَانِ وَالشَّمَائِلِ.

نؤمن بذلك، منهم من يأخذ صحيفته بيمينه، ومنهم من يأخذها بشماله، فمن أخذها بيمينه فقد نجا، ومن أخذها بشماله فقد هلك: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ

عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٣-١٥]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء:٧١].

قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق:٧-١٢]:ذكر الله حال من يأخذ كتابه بيمينه أنه من أهل السعادة، ومن أخذ كتابه بشماله أنه من أهل الشقاوة، وظاهر هذه الآية أن المؤمنون الذي يأخذ كتابه بيمنيه يصير من المفلحين، والذي يأخذ كتابه بشماله يصير من الخاسرين ومن الكافرين، وهكذا أيضًا فيما يتعلق بالموازين ذكر الله الذي يثقل موازينه أنه من المفلحين، وأن من خفت موازينه فإنه من أصحاب نار جهنم، صاحب الكبيرة الذي أراد الله تعذيبه بكبائر ارتكبها لا يمكن أن يقال أنه يأخذ كتابه بيمينه ثم يُعذب بقدر ذنبه، ظاهر الأدلة أن من أخذ كتابه بيمينه فقد نجا وصار من السعداء، فقد يشارك الكافرين في هذه الخصلة، وإن كان ليس من الخاسرين كخسارة الكافرين، أو أن يخف موازينه وإن كانت ليست كخفة الكفار، فيعذب بقدر ذنبه، وأما أن يقال أنه يأخذ كتابه بيمينه فخطأ؛ لأن الله جزم في حق من أخذ كتابه بيمينه أنه من السعداء، وأيضًا ما يقال في حقه أنها تثقل موازينه ثم يعذب، فالأقرب أنه يشارك الكفار في هذه الخصلة وإن كان حاله إنه ليس كالكفار في الخسارة، فشقاوته مؤقتة، والله أعلم.

قوله: وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَان وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ.

والذي عليه أهل السنة انه ميزان حقيقي يزن الله به أعمال العباد، وقوله: **وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَان وَلِسَانٌ**: اللسان: هو الموضع المتوسط الذي يبين تكافئ الكفتين أو ثقل أحدهما، ولم يثبت حديث فيما يتعلق باللسان ولكن هذا هو المعروف في لغة العرب، جاء في الأحاديث ذكر الكفتين من ذلك حديث البطاقة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**»، قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**»، أخرجه الترمذي، وأحمد وهو حديث حسن من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، وأنكر المعتزلة الميزان وقالوا المراد به العدل، هذا رد للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، قال الله عز وجل: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:٨]، وقال النَّبِيِّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**»، فهذا ضلال عظيم، من ضلالات المعتزلة المبتدعة، فالأدلة واضحة صريحة في ذلك.

وهو ميزان واحد على الصحيح، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ**»، والخلاف فيها بين أهل السنة هل هو ميزان واحد أم ميازين؟ الخلاف فيها بين أهل السنة، وعلى القول بالجمع ما يُدرى كم عددها.

واختلف أيضًا أهل السنة هل الوزن للعمل نفسه أم للعامل أم للبطاقة؟ وكلٌّ قد جاء به دليل.

ما الدليل على وزن العمل نفسه؟

قوله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ**».

وما الدليل على وزن صحائف العمل؟

حديث الطاقة.

وما الدليل على وزن صحاب العمل؟

حديث ابن مسعود: أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»، فلا مانع أن يحصل هذا وهذا.

والأصل أن الوزن للعمل؛ سواء جُعل العمل في صورة شيء محسوس له ثقل، أو جُعل ثقله بصحيفته، فالوزن هو للعمل سواء جُعل العمل في صورة شيء محسوس له ثقل، أو جُعل ثقله بصحيفته أو جُعل ثقل العمل في صحاب العمل، فأصل الوزن هو للعمل.

قال ابن قدامة: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]: الآية الثانية سياقها في حق الكافر: ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا**

أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣-١١٠]، فقوله: ﴿ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٥]، يدل على أنهم من الكافرين.

أصحاب الكبائر من المسلمين الذين أراد الله تعذيبهم بكبائر ارتكبوها، هل هم ممن خفت موازينهم أم ممن تثقل موازينهم؟

الجواب: نجزم بأنهم ليسوا ممن ثقلت موازينهم؛ لأن الله جعلهم من المفلحين، فما يمكن أن يقال ثقل ميزانه ثم يعذب بقدر ذنبه، ولا يمكن أن يقال يعطى صحيفة حسناته بيمينه ثم يعذب بقدر ذنبه لأنه مباشرة يفرح: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]، إذًا فليس ببعيد أن أصحاب الكبائر الذين أراد تعذيبهم يشاركون الكفار في شيء من هذا من خفة الميزان وأخذ الكتاب بالشمال، وليس حالهم كحال الكافر.

ثم أيضًا خفت الموازين قد يقال كيف خفت ميزانه وعنده كلمة التوحيد؟

والجواب عند أهل العلم: أن بعض الناس توحيده ضعيف بسبب ما يخالطه من الشرك والرياء ومن التعلق بغير الله وإن كان عنده أصل التوحيد ولكن أضعفه بالشرك الأصغر، وأضعفه بكبائر كثيرة، فإذا أراد الله تعذيبه عذبه، ونؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعذب من شاء بحكمته وعدله، بالعدل والحكمة: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ

فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦]. ومن نجاه من العذاب فذلك بفضل الله ورحمته، ونسأل الله أن يرحمنا وأن يعالمنا برحمته، ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعفو عنا وأن يغفر لنا وأن يرحمنا.

[الإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وسلم]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٦٢ - وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ فِي اَلْقِيَامَة، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اَللَّبَن، وَأَحْلَى مِنْ اَلْعَسَل، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ اَلسَّمَاء، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

الشرح:

وقد توسع الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أحاديث الحوض حتى أورد ما يقارب تسعة عشر حديثًا وعامتها متفق عليها، أحاديث الحوض من الأحاديث المتواترة، ولم يُذكر الحوض تصريحا في كتاب الله ولكن جاء فيما يتعلق بالكوثر وتفسيره في سنة رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:١-٣]، روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:١-٣]، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ**

بَعْدَكَ» زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: «**مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**»، فالكوثر نهر يصب في حوض النبي ﷺ وسمي الحوض بالكوثر لأنه يمد منه، ومن أنكر الحوض فهو ضال مبتدع، أنكره المعتزلة، هذا ضلال بعيد، من الذي قال:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شافعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

البيتان للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصفته جاءت في الأحاديث، طوله وعرضه سواء، مربع الشكل، مسيرة شهر.

وقد اختلفت الأحاديث في ذكر المسافات ففي بعضها ما بين صنعاء والمدينة، وفي بعضها ما بين مقام إلى عمّان، وفي بعضها من أيلة إلى الجُحفة، والظاهر إنها عبارة عن تقريبات كلٌ يبين له النبي ﷺ بما يفهمه من المسافات، والرواية التي فيها التنصيص على مسيرة شهر مُبينةٌ لتلك الروايات كلها، مسيرة شهر، والاختلاف الوارد في تلك المسافات باختلاف السير، وربما كثير منها متساو في الواقع أو متقارب ولكن إذا اختلف فيه فيكون اختلافه باختلاف السير.

أورد الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الصفات:

وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ فِي اَلْقِيَامَة، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اَللَّبَن، وَأَحْلَى مِنْ اَلْعَسَل، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ اَلسَّمَاء، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

جاء في تلك الأحاديث أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**»، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «**مِنْ**

مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**»، من حديث ثوبان في صحيح مسلم، محمول على أهل الاستجابة من أهل اليمن ولو لم يكونوا ممن جاء بعد الأنصار فالحديث عام يشمل الأنصار ومن جاء بعدهم من مناصري الحق، وهذا يدل على ان الحوض في أرض المحشر يشربه الناس الذين أراد الله لهم النجاة؛ لأنه من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدا، فدل على أن من شرب منه فهو من أهل النجاة.

قوله: **وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ اَلسَّمَاء:** جاء في حديث أَبِي ذَرٍّ – في مسلم – قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**آنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا**»، فنص على أن أباريقه أكثر من عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، فتكون الروايات التي فيها أباريقه كعدد نجوم السماء أي في الكثرة لا في حقيقة العدد؛ لأن هذه الرواية جُزم فيها بأنها أكثر.

قول النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»، **ما معنى فَرَطُكُمْ؟**

أي سابق لكم، أي يستقبلهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهل للأنبياء الآخرين أحواض؟

جاء حديث عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»، ولكن فيه ضعف حسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، فلو ثبت لكان حوض نبينا ﷺ أفضلها وأحسنها، وإلا فالأحاديث لم تسلم من الكلام فيها.

ولا شك أن الحوض قبل الصراط؛ لأن الصراط ما بعده إلا المجاوزة إلى الجنة أو السقوط في النار، فماذا عن حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ**»، فكيف أمره أول ما أمره أن يطلبه على الصراط مع أن الصراط آخر شيء يمر عليه الناس؟

نعم؛ محمول على أنه ليس عند المرور على الصراط ولكن عندما تبدل الأرض غير الأرض، عندما تبدل الأرض إلى أرض أخرى قَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»، فلعله في هذا الوقت، يجمع اللهُ الناس عند الصراط قبل أن ينشر الناس على الأرض الأخرى، وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**»، وكلاهما في صحيح مسلم.

مما جاء في وصفه مما رواه الشيخان حديث عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، متفق عليه، يستفاد منه أنه مربع الشكل، و في حديث أَبِي ذَرٍّ – في مسلم – قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ**

آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»، من أفراد مسلم، وفي حديث ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ»، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»، من أرفاد مسلم، وعن عَائِشَةَ قالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»، وفي رواية: «فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»، أي بُعدًا، وفي رواية: «فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»، الذود عن الحوض يكون للكافرين والمرتدين وقد يُذاد أيضًا بعض أهل الكبائر من المبتدعة وغيرهم من أهل الكبائر، **ما الدليل على ذلك؟**

في مسند أحمد حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي»، فالذي يصدقهم ويعينهم على الظلم لا يرد عليه ﷺ الحوض، مع أنهم ليسوا بكفار وإنما أهل كبائر، ومع ذلك قال: «وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي»، فيذاد عن الحوض أهل البدع

والضلال وأهل الكبائر ومن شاء الله منهم، وقد يتجاوز الله عن بعض أهل الكبائر فيردون ويعفو الله عنهم، أهل الكبائر تحت مشيئة الله في هذه الأمور.

[وجوب الإيمان بالصراط والشفاعة]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٦٣- وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ اَلْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ اَلْفُجَّارُ.

٦٤- وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَنْ دَخَلَ اَلنَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْكَبَائِرِ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا اِحْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحُمَمًا، فَيَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِه.

٦٥- وَلِسَائِرِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨].

٦٦- وَلَا تَنْفَعُ اَلْكَافِرَ شَفَاعَةُ اَلشَّافِعِينَ .

٦٧- وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ فَالْجَنَّةُ مَأْوَى أَوْلِيَائِه، وَالنَّارُ عِقَابُ لِأَعْدَائِه: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥].

٦٨- وَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ اَلْجَنَّةِ وَالنَّار، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا أَهْلَ اَلْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ اَلنَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ».

الشرح:

قوله: وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ اَلْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ اَلْفُجَّارُ.

والصراط جسر ينصب على جهنم، إذا انتهي من الحساب وتساقط أهل النار في النار لا يزال أناس ممن كان يظهر الإسلام من الفجرة والمنافقين يكونون مع

المؤمنين يُفضحون عند الصراط: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ [الحديد:١٣-١٤]، في الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ،

فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، هذا الحديث يعتبر شرحًا لما تقدم، والشاهد منه وصف الصراط، «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ»، هذا هو الصراط، وما ينجو منه إلا من نجاه الله، ويمر المؤمنون عليه بقدر أعمالهم،

فيُعطون نورًا بقدر الإيمان والعمل الصالح؛ لأنه ظلمة شديدة أيضًا، ويمكنه الله من الإسراع في المرور على قدر عمله أيضًا، حتى أنه جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ**»، يتفاوتون في النور، كما قال الله عز وجل: ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [الحديد:١٢-١٣]، ينطفئ نور المنافقين في ذلك اليوم فيطلبون من المؤمنين أن ينتظرونهم ليستضيئوا معهم من نورهم، وفي صحيح مسلم برقم (١٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ»، فذكر الحديث، وهذا حديث من أفراد مسلم برقم (١٩١) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا»، قال الله: ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم:٨]، نؤمن بالصراط كما أخبر به نبينا ﷺ، هل ذُكر الصراط في القرآن؟

نعم، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧١-٧٢]، فقد جاء بيانه في

حديث قصة حفصة عن أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»، قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** ﴾ [مريم:٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾** [مريم:٧٢]»، إِلَّا وَارِدُهَا أي: مارٌ على نار جهنم، فالمرور على الشيء لا يقتضي دخوله: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ** ﴾ [القصص:٢٣]، أي مر على ماء مدين: ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ [مريم:٧٢]، قال بعضهم: إن المؤمنين يدخلونها ولكنها تكون عليهم بردًا وسلامًا، وهو قول شاذ ضعف، قول باطل ليس عليه دليل، فالأحاديث مبينة أن المراد المرور على الصراط، وأدلة المرور على الصراط واضحة متواترة، الله عز وجل يقول في المؤمنين: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا** ﴾ [الأنبياء:١٠٢]، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ [الأنبياء:١٠١]، مبعد عن النار، ويمر كطرف العين وكالبرق، كيف يدخلها وقد قال: منهم من يمر كطرف العين وكالبرق: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣]، والصراط كما جاء في الأحاديث مضروب على جهنم، وأما القنطرة التي بعد الصراط فليست من الصراط، لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، -في صحيح البخاري- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ،**

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»، فالقنطرة هي بعد الصراط وليست من الصراط؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن الصراط جسر مضروب على جهنم وأن المؤمنين يمرون على الصراط فكونهم يحبسون في القنطرة دليل واضح على أنها ليست من الصراط، هذه من أهوال يوم القيامة التي نؤمن بها كما أخبر بها النبي ﷺ .

قوله: وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَنْ دَخَلَ اَلنَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْكَبَائِرِ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا اِحْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحُمَمًا، فَيَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ.

والنبي ﷺ له الحظ الأوفر من هذه الشافعة، ولكنها ليست خاصة به، الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين فيشفع الأنبياء والمؤمنون والملائكة كما جاء في حديث أبي سعيد المتقدم، وحرم الله على النار آثار السجود من الموحدين وجوههم ومواضع السجود كلها، هذا إذا كان من المصلين الساجدين، وهذه الشافعة حق أنكرها المبتدعة؛ أنكرها المعتزلة والخوارج، فقالوا من دخل النار خلد فيها، فالنار ليس فيها تعذيب مؤقت عندهم وإنما يدخلها الكفار، فكيف بأصحاب الكبائر قالوا يخلدون في نار جهنم، وهذا كلام باطل، أصحاب الكبائر الموحدين لا يخلدون في النار، والأدلة في ذلك كثيرة، «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»، متفق عليه عن أنس، وفي أحاديث الشافعة أيضًا قال النبي ﷺ : «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي،

فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ »، قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »، فيحد له ﷺ حدًا وهكذا الأنبياء الآخرون، والمؤمنون يشفعون في الشفاعة ويخرجون أناس كثر من نار جهنم، ولا يُشفع عند الله إلا لمن أذن له، أذن للشفاع وأذن للمشفوع له، ورضى عن المشفوع له، ولا يرضى الله إلا عن أهل التوحيد، وأما أهل الشرك والكفار لا شفاعة لهم، الشفاعة المنفية في القرآن في حق الكافرين، والشفاعة في حق الموحدين من أصحاب الكبائر: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، في حق الكفار: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، أي لا شفاعة للكافر أو لا شفاعة لمن لم يأذن الله له، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]، أي الظلم الأكبر؛ الشرك بالله: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:١٢٣].

قوله: وَلِسَائِرِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ.

يكرم الله الأنبياء والمؤمنين والملائكة بهذه الشفاعات، وإلا فالله قادر أن يخرجهم بنفسه بدون الشفاعات، ولكن هذا من إكرام الله للصالحين، للمؤمنين يشفعون في إخوانهم الذين في النار فيظهر الله فضل هؤلاء الصالحين الذين

شفعوا، ولا يشفعون إلا بإذن الله ولا يشفعون إلا فيمن أذن، فهذا منقبة للأنبياء والملائكة والمؤمنين هذا منقبة لهم، أن الله قبل شفاعتهم في إخوانهم: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، النبي ﷺ هو أكثر من يشفع، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرُوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ»، أخرجه ابن ماجه وهو حديث صحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»، متفق عليه، وعن جابر بنحوه، اختار النبي ﷺ الشفاعة لأنها أعم، واختبأ دعوته المستجابة شفاعة، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»، النبي ﷺ أرحم بهذه الأمة منها بأنفسها.

قوله: [وَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ]: جاء ذكره في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ في الصحيحين قال: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ

الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ ».

قوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨].

هذه شروط الشفاعة؛ أن تكون بإذنه، أذنه للشافع وللمشفوع له.

قوله: وَلَا تَنْفَعُ اَلْكَافِرَ شَفَاعَةُ اَلشَّافِعِينَ.

كما قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، ما الجمع بين ذلك وبين شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب خفف الله عنه العذاب بشفاعة نبيه، قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»؟

مخصوص من الأدلة، وأيضًا هي للتخفيف ولم ينجو من العذاب، شفاعة خاصة وهي للتخفيف فقط.

قوله: وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ فَالْجَنَّةُ مَأْوَى أَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابُ لِأَعْدَائِهِ.

نؤمن بذلك، بأن الجنة والنار قد خلقتا، وقد رآهما النبي ﷺ ليلة أسري به، فقد رأى الجنة والنار في ليلة أسري به، وقد عرضتا على النبي ﷺ وهو في صلاة الكسوف يصلي بالناس، عرضت عليه الحجنة والنار، والله عز وجل يقول عن الجنة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١]، وفي النار: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤]، في آيات كثيرة من كتاب الله مما يدل على ذلك، والأحاديث كثيرة في ذلك، في أن الجنة والنار قد خلقتا، **فمن يذكر الأدلة على ذلك؟**

قال الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٤]، ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:٦٣]، وأيضًا أسكن آدم الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥]، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[الزمر:٧٤]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا** »، قَالَ: «**فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا**»، قَالَ: «**فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا** »، قَالَ: «**فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا** »، أخرجه الترمذي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**»، «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**».

قوله: **لَا تَفْنَيَانِ؛** أي أنها خلقت للبقاء لا تفنى أبدًا، جميع الأدلة التي في كتاب الله وسنة رسوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [التغابن:٩]، تدل على ذلك، وفي الحديث فيما يتعلق بالجنة، «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا**»، أبدية: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٦-١٠٨]، وقال الله عز وجل عن الكافرين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٥٦]، وقال الله عن النار: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧]، هذا الذي عليه عقيدة أهل السنة والجامعة أنهما مخلوقتان ولا تفنيان ولا تبيدان، فالكفار مخلدون في نار جهن، والمؤمنون مخلدون في الجنة.

قوله: **وَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ "يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ.**

متفق عليه، عن أبي سعيد الخدري وعن ابن عمر، وأخرجه أيضًا البخاري عن أبي هريرة، الأملح هو الأبيض الذي خالطه شيء من السواد، وهذا الذبح للموت إشارة إلى الخلود، «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى**

حُزْنِهِمْ»، ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم:٣٩]، هذا يوم الحسرة عند أن يروا أنهم مخلدون في نار جهنم بدون موت، حياة في عذاب دائم أعاذنا الله وإياكم من ذلك، وهذا الذبح للموت بعد خروج الموحدين الذين عذبهم الله بكبائر ارتكبوها، ومعناه ما بقي موت بعد ذلك اليوم، لم يثبت عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نسب إليه انه يقول بفناء النار، هذا لم يثبت عنه بل شيخ الإسلام يقول بقول أهل السنة، الجنة والنار أبديتان لا تفنيان، وما جاء عن ابن القيم من أن النار تفنى في كتابه "حادي الأرواح" قد رجع عنه، فله كلام آخر في كتابه "الكلم الطيب"، يبين أنها أبدية على الكفار وأن الذين ينقطع عنهم العذاب هم الموحدون الذين عُذبوا بكبائر ارتكبوها، وأما نار الكفار فلا تفنى صرح بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الوابل الصيب": ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض. انتهى.

وهذا واضح، وأيضًا لا يقال أن نار العصاة تفنى ليس عندنا دليل على هذا، وإنما عندنا من الأدلة انهم يخرجون من النار، والنار دركات ولا شك أنهم في موضع دون نار الكافرين، لا شك في ذلك.

فصل في حقوق النبي ﷺ وأصحابه

[الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ:

٦٩- وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ اَلْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِه، وَلَا يُقْضَى بَيْنَ اَلنَّاسِ فِي اَلْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِه، وَلَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِه.

٧٠- صَاحِبُ لِوَاءِ اَلْحَمْد، وَالْمَقَامِ اَلْمَحْمُود، وَالْحَوْضِ اَلْمَوْرُود، وَهُوَ إِمَامُ اَلنَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، أُمَّتُهُ خَيْرُ اَلْأُمَم، وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ اَلْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمْ اَلسَّلَامُ-.

الشرح:

ومحمد رسول الله ﷺ نؤمن بذلك نبينا ﷺ رسول حق من الله جل وعلا إلى هذه الأمة وإلى الناس كافة، إلى أن تقوم الساعة، وأُرسل إلى الجن والإنس ﷺ ، ولم يتقدمه نبي في عمومه دعوته كما عمم نبينا ﷺ بدعوته جميع المكلفين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨]، «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»، **ما الدليل على عموم رسالته؟**

قول الله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨]، وحديث: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ

عَامَّةً»، متفق عليه عن جابر، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]،

قوله: خَاتَمُ اَلنَّبِيِّينَ.

ختم الله به الأنبياء، **ما الدليل على ذلك؟**

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال النَّبِيِّ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ**»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ**»، متفق عليه، عن جابر وعن أبي هريرة وجاء أيضًا في مسلم عن أبي سعيد، وقال رسول الله ﷺ : «**وأنا خَاتَمُ النبيين لا نَبيَّ بعدي**»، أخرجه أبو دواد عن ثوبان، والأدلة على ذلك كثيرة متواترة، وهذا أمر من الأمور المعلومة من الدين بالضورة عند جميع المسلمين، من خالف في ذلك فهو كافر سواء في رسالته ﷺ ، من ادعى أن رسالته خاصة بالعرب أو لست عامة للثقلين، أو أنها محدودة بزمن محدد فهو كافر مرتد، ومن ادعى أنه ﷺ ليس بخاتم النبيين وأنه تأتي النبوة بعده فهو مرتد كافر، هذه أمور كفرية صاحبها مرتد وكفره معلوم من الدين بالضرورة.

وقوله: وَسَيِّدُ اَلْمُرْسَلِينَ.

النبي ﷺ هو أفضل الرسل وسيدهم، **فما الدليل؟**

قول رسولُ الله -ﷺ-: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدم**»، وقول رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟**»، فذكر حديث الشفاعة العظمى، متفق

عليه عن أبي هريرة، وأيضًا روى مسلم عن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»، إشكال على هذا حيث أنه من المعلوم أن النبي ﷺ سيد المرسلين وخير الأنبياء ومع ذلك جاء في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فما هو الجواب على هذا الإشكال؟

قيل أنه قاله تواضعًا، وقيل أنه قاله قبل أن يُطلعه الله على ذلك وهذا الجواب الثاني أحسن؛ لأنه قال في الحديث الآخر: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»، فمعناه أنه ﷺ أطلعه الله على منزلته بعد، إذًا كان قبل ذلك على الصحيح.

فماذا عن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ**»؟

أي لا يجوز التفضيل على سبيل الانتقاص أو على سبيل الفخر، فلا يُفضَّل نبينا ﷺ على نبي على سبيل التنقص والافتخار، لا يجوز ذلك، فكان النهي

بسبب ما صحبه من ذلك، ولا شك أن الأنبياء يتفاضلون في المنزلة عند الله جل وعلا وهيرهم نبينا محمد ﷺ ، وبعده خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبعده في المنزلة موسى كليم الرحمن، ثم بعدها عيسى، ونوح عليهما السلام، فهؤلاء الخمسة خير الرسل، وقد جمعهم الله في آيتين، فما هما الآيتان؟

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب:٧]، ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣]، ولذلك سماهم بعض العلماء أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ؛ لأنهم خير الرسل وأعظمهم منزلة، إشكال على هذا التفضيل؛ كيف نفضل بين الأنبياء والله عز وجل يقول: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥]؟

لا يُفرَّق بينهم في وجوب الإيمان بهم جميعًا، وفي تصديقهم وفي الإيمان بأنهم كلهم صادقون مصدَّقون، وفي أنهم كلهم أدوا الرسالة وبلغوا الأمانة كما أمرهم الله، فلا تفريق بينهم في الإيمان: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٠-١٥٢]، فلا تفريق بينهم في الإيمان، وأما التفاضل فقد قال الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ

مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فقد أثبت الله التفاضل.

قوله: لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِه.

نعم، فهو ركن من أركان الإيمان، «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ**»، فلا يصح إيمان العبد حتى يشهد برسالة جميع الأنبياء، كل من ذكرهم الله نؤمن برسالتهم كما أخبرنا الله بذلك وكما ذكره نبينا ﷺ ، ومن ذلك إيماننا برسالة نبينا ﷺ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥]، أيده الله بالآيات العظيمة، أيده الله بالقرآن العظيم، الآية العظيمة التي لا تزال هذه الآية إلى أن تقوم الساعة، أيده الله بالإسراء والمعراج، أيده الله بالآيات الكثيرة، ليس هذا موضع ذكرها.

قوله: لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِه.

والرسالة والنبوة بينهما عموم وخصوص؛ فالنبوة عامة، فكل من أوحى الله إليه ونبأه الله صار نبيًا، فإذا أُرسل إلى قوم مكذبين يدعوهم إلى التوحيد صار نبيًا رسولًا، هذا أحسن تفريق بين الرسول والنبي؛ أن النبي ﷺ من أوحى الله عز وجل إليه ونبأه الله سواء بشرع جديد أو بشرع سابق، فإذا بُعثَ إلى قوم مكذبين

يدعوهم إلى التوحيد فهي رسالة خاصة، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، وكلهم لهم أصل الإرسال حتى النبي مرسل من حيث أنهم مأمورون بالتبليغ وتعليم الناس وبالدعوة إلى الله، من حيث أصل المعنى أُرسل بلا شك: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الحج:٥٢]، فكل من الرسول والنبي له أصل الإرسال، وقال الله سبحانه: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ** ﴾ [الأعراف:٩٤]، ولكن إرسال الرسول أخص من النبي بحيث انه أُرسِلَ إلى قوم مكذبين مخالفين يدعوهم إلى التوحيد ويقيم عليهم حجة الله: ﴿ **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء:١٦٥].

وأما تفريق من فرق بأن النبي بشرع قديم، بشرع من قبله، والرسول بشرع جديد، فهذا منتقد، من أي وجه يُرد هذا القول؟

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي وليس برسول وقد أتى بشرع جديد ما أحد قبله، وقد سأل رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، مُكَلَّمٌ**»، وقد أتى بشرع جديد ما أحد قبله، وأيضًا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان على دين أبائه وأجداده: ﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ** ﴾ [يوسف:٣٨]، فقد سماه الله رسولًا: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** ﴾ [غافر:٣٤]، فيوسف رسول مع أنه على شريعة آبائه يعقوب

واسحاق وإبراهيم عليهم السلام لكنه أُرسل إلى قوم مشركين دعاهم إلى التوحيد: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠]، وهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول وكان على ما جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وتفريق من فرق بين الرسول والنبي بأن النبي لا يؤمر بالتبليغ والرسول أُمر بالتبليغ أيضًا فرق باطل، من أي وجه؟

كل إنسان حتى ولو لم يكن نبي فكيف ما يأمر بالتبليغ، وآدم عليه اسلام قد بلغ شرع وعلم أبنائه التوحيد، فهذا تفريق باطل بل هو مأمور بالتبليغ، ومأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتفريق أمر لابد منه؛ لأن الله عز وجل فرَّقَ بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:٥٢]، فرَّقَ الله بينهما، وأيضًا سُأل النبي ﷺ : كَم المُرْسَلُونَ؟ قَالَ: "ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ"، وأما الأنبياء فهم أكثر من ذلك، فدل على التفريق.

قوله: وَلَا يُقْضَى بَيْنَ اَلنَّاسِ فِي اَلْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِه، وَلَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِه، صَاحِبُ لِوَاءِ اَلْحَمْد، وَالْمَقَامِ اَلْمَحْمُود، وَالْحَوْضِ اَلْمَوْرُود، وَهُوَ إِمَامُ اَلنَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، أُمَّتُهُ خَيْرُ اَلْأُمَم، وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ اَلْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمْ اَلسَّلَامُ.

.....

.....

.....

[فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٧١- وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ اَلصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ اَلْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو اَلنُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ اَلْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ لِمَا رَوَى عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ اَلنَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ.

٧٢- وَصَحَّتْ اَلرِّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَيْرُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتَ سَمَّيْتَ اَلثَّالِثَ.

٧٣- وَرَوَى أَبُو اَلدَّرْدَاءِ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتْ اَلشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ اَلنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ».

٧٤- وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اَللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ اَلنَّبِيِّ ﷺ لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ اَلنَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي اَلصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ اَلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ اَلصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ اَللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ.

٧٥- ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ.

٧٦- ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ.

٧٧- ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِفَضْلِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

٧٨- وَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ: وَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

٧٩- وَقَالَ ﷺ: «الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»، فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرح:

قوله: وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

فالصديق خير هذه الأمة بإجماع أهل السنة، ثم عمر لا خلاف في تفضيل أبي بكر ثم عمر، في البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، وفي صحيح البخاري عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»، تلقيب أبي بكر بهذا الوصف العظيم الصدق، ما سبب ذلك؟

سارع إلى تصديق النبي ﷺ بالإسلام ثم لما أُسري بالنبي ﷺ ، فسمي الصديق، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

ولُقب عمر بالفاروق فرَّق الله به بين الحق والباطل، قال عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ**»، رواه البخاري.

ولُقب عثمان بذي النورين لتزوجه ببنتي النبي ﷺ رقية ثم أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن، وهذا الترتيب لهم هو ترتيبهم في الخلافة وفي الفضل، ترتيبهم في الفضل هو كترتيبهم في الخلافة، من الذي قال: **من فضّل عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار؟**

قاله أبو أيوب السختياني ثم الإمام أحمد والدارقطني، وعدد من السلف قالوها، وأزرى بالمهاجرين والأنصار أي تنقصهم؛ لأنه إذا قدم علي على عثمان فقد خالفهم، ومعناه أنهم جهلوا الأفضلية أو ظلموا، فتقديم علي على عثمان سواء في الفضل أو في الخلافة فهو من البدع المحدثة، وإن كان التقديم في الفضل أخف من التقديم في الخلافة ولكن الصحيح فيه انه من البدع.

قوله: لِمَا رَوَى عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ اَلنَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ.

الحديث في البخاري بدون الزيادة، فيبلغ ذلك..، وهي عند الطبراني وهي زيادة ضعيفة.

قوله: وَصَحَّتْ اَلرِّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَيْرُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتَ سَمَّيْتَ اَلثَّالِثَ.

تفضيله لأبي بكر وعمر ثابت في البخاري كما تقدم، ورواية: ولو شئت سميت الثالث.

قوله: وَرَوَى أَبُو اَلدَّرْدَاءِ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتْ اَلشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ اَلنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ».

حديث ضعيف تفرد به عبدالله بن سفيان الواسطي، وهو ضعيف، فإذا جاء أن بقية بن الوليد تابعه فبقية أسقطَ رجلًا متروكًا يقال له محمد بن الفضل بن عطية، فلا تنفع تلك المتابعة، فالحديث ضعيف لم يثبت.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اَللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ اَلنَّبِيِّ ﷺ لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ.

وخلافته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثابتة باختيار الصحابة له ولم يحصل التنصيص من النبي ﷺ ولكن حصلت الإشارة والتنبيه على خلافته وعلى انه أحق من غيره، حصل من النبي ﷺ الإشارة الواضحة البينة والتنبيه البين على أن أبا بكر أحق بالخلافة بعده، من يذكر أدلة على ذلك؟

تقديمه في الصلاة، «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، ولَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتِ الْأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. فَأَتَاهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ.

وأيضًا حديث قول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**»، وحديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، -في الصحيحين- قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»، وفي الصحيحين

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: فِي مَرَضِهِ «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»، هذا شبه تنصيص، شبه صريح في ذلك، ولماذا لم نقل أنه استخلفه مع أنه قال: «**وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»؟

لو كان استخلفه بنص صريح لما حصل الخلاف بين الصحابة، وأيضًا عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ ... وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا وَأَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ أَبَدًا، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ؛ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعَزُّهُمْ أَحْسَابًا، بَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ.

لو كان هناك تنصيص على الخلافة لما جاز لأبي بكر أن يقول هذه العبارة: بَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ، ولكان حصل إظهار الكتاب أو من سمع التنصيص يقول سمعتُ النبي ﷺ ، وأيضًا من الأدلة أنه قِيلَ لِعُمَرَ أَلاَ تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: «أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الْكَفَافُ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ

تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ ﷺ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ.

إذًا هذا التنصيص صريح أن النبي ﷺ ما استخلف، ولكن أبو بكر استخلف بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجعله على الناس ونعم الخليفة، عهد به أبو بكر ووصى بأن يكون الخلفية بعده عمر.

قوله: وَتَقْدِيمِ اَلنَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي اَلصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ اَلصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، وَإِجْمَاعِ اَلصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ اَللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ.

ومن قال أنه لم يكن مستحقًا للخلافة فهو مبتدع ضال بل هو أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ ، ومن قال أن عليًا كان موصى له بالخلافة وأُخذت لأبي بكر الصديق فهذا مبتدع، رجل ضال، ويعتبر كلامه طعنًا في الصحابة وفي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كيف بايع لأبي بكر وعنده وصية بالخلافة؟! فهذا كذب لم يوصى علي بالخلافة، وما كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبايع أبا بكر وعنده وصية بالخلافة فهذا طعن في علي أنه لم يقم بأمر النبي ﷺ ، وطعن في آل بيت رسول الله ﷺ كلهم بايعوا لأبي بكر، وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: " لاَ، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ"، صحيفة فيها علم فيها أسنان الإبل والديات والزكوات والجراحات، وفيها أن لا يقتل مسلم بكافر، وكان ينكر غاية الإنكار على من يقول أن آل بيت رسول ﷺ خُصوا بشيء.

قوله:ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ.

أي أحق بالخلافة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فهو خير الناس بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فما ترك بعده خيرًا من عمر فقدمه، فرضي الله عن أبي بكر الصديق حيث اختار للمسلمين هذا الرجل فنفع الله به نفعًا عظيمًا.

طرق الخلافة وتولي الخلافة يكون:

إما بالاستخلاف كما فعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يستخلف غيره ولا يجوز له أن يستخلف إلا من يراه أهلا لذلك؛ لأن هذه أمانة فلا يضعها إلا حيث يراه نصحًا لدين الله، فلا يقدم قرابة ولا أهلًا وأحدًا.

وإما بالاختيار من أهل الحل والعقد، من ذوي الأحلام والنُهى كما اختاروا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم أيضًا اختاروا عثمان، وقد جعلها مشورة بين ستة فاختاروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فهذه هي الطرق الشرعية للاستخلاف؛ الاختيار لمن هو أهل لذلك وفيه صفة الإمامة، وإما بالاستخلاف لمن فيه الصفات الشرعية، وأما إذا أخذها بالقوة فإذا استتب له الأمر فوجبت له الطاعة، «أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»، يعني إذا تغلب على الناس وثبتت له الأمور، ها إذا كان مسلمًا، وأما إن كان كافرًا فاستتبت له الأمور فالحكم الشرعي أنه لا طاعة له، فإن كان عندهم قدرة على استبداله وعلى الخروج عليه فيجب عليهم أن يغيروه: «**وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، وإن لم يقدروا فعليهم بالصبر وطاعته من باب دفع الضرر لا من باب انه له حق الطاعة الشرعية.

قوله: ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ.

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصته معروفة في استخلافه، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: " كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ؟ قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ، قَالَ: قَالاَ: لاَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ (ص:١٦) حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، -

وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ، فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلاَمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ، مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي

فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلاَ خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ [الحشر:٩]، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ، وَجُبَاةُ المَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ،

فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالإِسْلاَمُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالاَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ، وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلاَ بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ المِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ".

قوله: ثُمَّ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لِفَضْلِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتمع كبار الصحابة في المدينة وبايعوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وتمت له البيعة في جميع أمصار الإسلام إلا في الشام، اجتهدوا وأخطأوا، معاوية ومن كان معه أخطأوا في عدم المبايعة، ثم حصل بعد ذلك الفتن المعلومة، قد تدارسانها في كتاب "الشرعية" للآجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: وَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِيهِمْ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

وهذا دليل على أن الخلفاء الراشدين لا يسنوا شيئًا مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ ، حيث أمر باتباعها والعض عليها، وأما اختلافهم في بعض الأحكام الفقهية فليس ملزمًا؛ لأن قوله سنة أي طريقة، إنما أراد أن طريقتهم وهديهم موافق لهدي رسول الله ﷺ ، وإلا قد وجد اختلاف في بعض المسائل الفقهية كاختلافهم في توريث الإخوة مع الجد، واختلفوا في بعض المسائل الفقهية الأخرى، ولكن هذا لا يخالف أنهم ملازمون لهدي النبي ﷺ ولم يأتوا بطريقة

أخرى يخالف طريقته في جميع أمورهم، ولذلك إذا انفرد أحدهم بمسألة ولم يوجد له مخالف ولا يوجد من الأدلة الشرعية ما يخالف ذلك فلا ينبغي أن يُختلف عنه في تلك المسألة ولو كان من غير الخلفاء الأربعة الراشدين وبلا شك، تلك الفتوى التي لا تجد فيها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ووجدت فيها فتوى لأحد الخلفاء الراشدين فيُعض عليها.

قوله: وَقَالَ ﷺ: «اَلْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»، فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي خلافة نبوة، حديث سفينة عند أحمد وأبي داود، وهو حديث صحيح، وجاء عن أبي بكرة بنوحه عند أحمد، فإذا عددتَ ثلاثين سنة وجدتها آخرها خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ سَفِينَةُ: " أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ "، فصار مجموعها ثلاثين سنة.

[نشهد بالجنة لمن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٨٠- وَنَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ، كَمَا شَهِدَ لَهُمُ اَلنَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي اَلْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي اَلْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي اَلْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي اَلْجَنَّةِ، وَعَبْدُ اَلرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي اَلْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ اَلْجَرَّاحِ فِي اَلْجَنَّةِ».

الشرح:

حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي عن سعيد بن زيد وعن عبد الرحمن بن عوف، وحديث سعيد بن زيد أصح إسنادًا، وسعد هو سعد بن أبي وقاص، هؤلاء العشرة كلهم من المهاجرين، وسعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل.

للمصطفى خير صحب نص أنهمُ ... في جنة الخلد نصا زادهم شرفًا

هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدين والخلفاء

هؤلاء العشر نُص عليهم بسبب أنهم جُمعوا في حديث، وإلا فالمبشرون من الصحابة أكثر من ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٨١- وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ لَهُ اَلنَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ شَهِدْنَا لَهُ بِهَا، كَقَوْلِهِ: «اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ».

الشرح:

أخرجه أحمد عن أبي سيعد وأخرجه أيضًا الترمذي عن حذيفة، وجاء عن جماعة من الصحابة وهو حديث صحيح، الحسن والحسين سيدًا شباب أهل الجنة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وَقَوْلِهِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ».

الشرح:

متفق عليه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله سبب فما هو السبب في هذا الثناء عليه؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾ [الحجرات:٢]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

والشهادة لإنسان بالجنة على التعيين لا يشهد إلا لمن جاء به النص حتى ولو كان مؤمنًا تقيًا زكيًا برًا ورعًا ومات على ذلك فنقول نرجو له الجنة أما الجزم فلا نجزم إلا لمن جاء به النص، حتى وإن أثنى عليه المؤمنون الصالحون، عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ**»، متفق عليه، وهو محمول على أنه ﷺ يوحى إليه وقد جزم بسبب الوحي وأما غيره فيكون من باب الرجاء، لحديث عند البزار وهو في الصحيح المسند عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ: بِالنَّبَاوَةِ أَوْ بِالنَّبَاةِ يَقُولُ: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَ؟ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ»**، فقوله يوشك من أفعال المقاربة يدل على ناه ليس على سبيل الجزم وإنما على سبيل الرجاء، قال بعض أهل العلم أولاد الأنبياء في الجنة هل هذا الكلام مُسلمٌ فيه؟

لا؛ هذا التعميم فيه نظر، نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ولده من الكافرين، ومات على الكفر وقصته معلومة.

عدد كبير من صحابة النبي ﷺ جاءت فيهم أدلة في الشهادة لهم بالجنة، ذكر ابن قدامة العشرة المبشرون والحسن والحسين وثابت بن قيس، فمن يستحضر غيرهم من الصحابة؟

بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ: «**عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ**

نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «**دَفَّ نَعْلَيْكَ**» يَعْنِي: تَحْرِيكَ، متفق عليه.

عُكَّاشَةُ بن محصن؛ قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

عمار بن ياسر؛ «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**».

حذيفة بن اليمان؛ «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

جميع شهداء أُحد؛ لأن الله أثنى عليهم.

عبد الله بن سلام؛ في الصحيحين عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: " مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ " قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ** ﴾ [الأحقاف:١٠]، الآيَةَ، هذا محمول على سماع سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن مسعود.

من شهد بدرًا والحديبية.

خديجة بنت خويلد، «**بَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ، فِيهِ وَلَا نَصَبَ**».

[من عقيدة أهل السنة والجماعة]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٨٢- وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، إِلَّا مِنْ جَزَمَ لَهُ اَلرَّسُولُ ﷺ لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِن، وَنَخَافُ عَلَى اَلْمُسِيءِ.

٨٣- وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ.

٨٤- وَنَرَى اَلْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيَيْنِ مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، برًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَصَلَاةُ اَلْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ.

٨٥- قَالَ أَنَسٌ قَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ اَلْإِيمَانِ، اَلْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اَللَّهُ ﷻ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي اَلدَّجَّال، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٌ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الشرح:

قوله: وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، إِلَّا مِنْ جَزَمَ لَهُ اَلرَّسُولُ ﷺ.

أي لا يُعين أحد أنه من أهل الجنة إلا من حكم له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، ولا نعين أيضًا أحدًا أنه من أهل النار إلا من جاء فيه النص أنه من أهل النار كإبليس وأبي جهل وأبي لهب وصناديد الكفر الذين ماتوا على الكفر ونعلم أنهم ماتوا على الكفر كالذين سُحبوا إلى قليب بدر، وما جاء في النصوص أنهم ماتوا على الكفر أيضًا يحكم عليهم بالنار، ولذلك ينبغي التحرز من التعيين لأنك ربما ما حضرتَ موت ذلك الكافر قد ربما يكون أسلم في سياق الموت وأنت ما

تدري، فلا يتجرأ المسلم على تعيين هذا الرجل أنه من أهل النار قد يكون أسلم بغير علمك ومات على غير الإسلام، وأيضًا بعض الكفار قد يكون له شبهة في كفره وأنت لا تدري، أو يكون عنده جهل في بعض المسائل التي كفر بها ولم تقم عليه الحجة، وعلى هذا فالتعيين لا يُعين لاحتمالات كثيرة، ولكن كل من مات على الكفر وقد قامت عليه الحجة فهو من أهل النار، وأيضًا حكم عام الكافرون في النار، كما يقال المؤمنون في الجنة، وأما تعيين أحد فلا يعين إلا من جاء به النص، فرعون وقارون وهمان ومن أشبههم.

قوله: لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى اَلْمُسِيءِ.

من كان محسنًا فنرجو له الجنة، ومن كان مسيئًا وهو من المسلمين فنخاف عليه النار، ومن كان من الكافرين فهو من أهل النار على سبيل العموم.

قوله: وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ.

أي الذنوب التي هي دون المكفرات، ولكنه أخطأ بهذا الإطلاق فبعض الذنوب مكفرة وبعض الأعمال تخرج صاحبها عن الإسلام، وإن كان مقصده الذنوب التي ليست من نواقض الإسلام، ولكنه أطلق فأخطأ في هذا الإطلاق، فهناك ذنوب وأعمال مكفرة تنقض الإسلام.

من يأتي بأمثلة لنواقض الإسلام بذنوب وأعمال تنقض الإيمان؟

ترك الصلاة تكاسلًا عند جمع كبير من أهل العلم، وهو من الذنوب وعدوه من المكفرات.

الإستهزاء بالله وبرسوله ﷺ وبدينه وبأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، من الذنوب العظيمة الموجبة للكفر، والسب من باب أولى.

دوس المصحف أو الإساءة إليه أو رميه في النجاسات فهذا من المكفرات، من نواقض الدين.

سب الصحابة جملة، فهذا من المكفرات، أو اتهام أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما برأهن الله.

أيضًا السحر من الكفر.

سب الملائكة أو إظهار العداوة لهم.

إنكار أو جحود الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كلها من المكفرات، لكن المؤلف في هذه الجملة لم يقصد الجحود والإنكار وإنما أراد الأعمال والذنوب، أما الجحود للأمور المعلومة من الدين بالضرورة فهذا من الردة.

قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: وَنَرَى اَلْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيَيْنِ مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، برًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

ما دام من المسلمين، حديث في الصحيح المسند عزاه الشيخ إلى الإمام أحمد.

قوله: وَصَلَاةُ اَلْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ.

فلا يُترك حجٌ ولا جهاد ولا صلاة الجمعة ولا الجماعة خلف أئمة الفجور بل يُصلى خلفهم، كما كان الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف الثقفي الظالم الفاجر، وصلوا خلف أئمة الجور، وهذا من تمام الطاعة لولاة الأمر أن يُصلى خلفهم، وأما ترك الصلاة خلفهم فهذا من مذهب الخوارج، كما أن لهم الطاعة ما

داموا على الإسلام فكذلك يُصلى خلفهم ويجاهد معهم ويحج معهم ما داموا على الإسلام، وقد قال عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، فلم يُأمر بترك الطاعة إلا عند الكفر البواح، وقد جاء حديث، «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»، ولكنه ضعيف لم يثبت، ولكن عمل المسلمين والصحابة وأهل السنة والجماعة عليه، وإنما ابتدع الخوارج ترك الحج والجهاد والصلاة خلف أهل الفجور؛ لأنهم يكفرون بالكبائر.

قوله: قَالَ أَنَسٌ قَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ اَلْإِيمَانِ، اَلْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ اَلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اَللَّهُ ﷻ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي اَلدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الحديث ضعيف، في إسناده يزيد بن أبي نُشبة مجهول.

[وجوب تولي الصحابة ومحبتهم]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٨٦- وَمِنَ السُّنَّةِ: تَوَلِّي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَاعتقاد فَضْلِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

٨٧- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

الشرح:

الحديث متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ووهم بعض الرواة فجعله عن أبي هريرة، وحديث أبي هريرة في صحيح مسلم ولكنه وهم من بعض الرواة أخطأ فيه فجعله عن أبي هيرة، رجح الدارقطني وغيره ذلك، والمد هو ملئ الكفين، ولا نصيفه أي ملئ كف واحدة، هذه فضيلة عظيمة لأصحاب رسول الله ﷺ .

ما تعريف الصحابي؟

هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك، إذًا فمن ارتدوا فليسوا بصحابة من جفاة الأعراب وأهل النفاق فلا يقال ارتد الصحابة، فهم ليسوا بصحابة.

المهاجرون والأنصار والذين حسنت صحبتهم لرسول الله ﷺ كثيرون وثبتهم الله على الصحبة وعلى الإيمان حتى ماتوا على ذلك، ونشروا الإسلام وفتحوا الفتوحات، فالحديث: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، محمول على بعض جفاة الأعراب أو بضع من كان عنده نفاق أو ما أشبه ذلك، وأما حمله من بعض المبتدعة على الصحابة، على خيار الصحابة فهذا من البغي والظلم العظيم، ومن النفاق.

من الذي قال: «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ»؟

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في صحيح مسلم.

ومن الذي قال: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ "؟

عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في "فضائل الصحابة" لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ وسنده صحيح.

ما أكثر الأدلة في فضائل الصحابة، من يذكر من كتاب الله جل وعلا؟

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨]. ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر:٩]، ثم أثنى الله على من جاء بعدهم وسلِمَ قلبه من الغل عليهم: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠]، ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧].

من السنة أحاديث كثيرة:

منها: حديث وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي**»، أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة"، «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، متفق عليه، وأيضًا حديث العرباضَ بن سارية، وهو مِمَّن نزل فيه: ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة:٩٢]، قالَ : صَلَّى بنا رسولُ الله -ﷺ- ذات يوم، ثم أقبلَ علينا، فوَعَظَنا موعظةً بليغةَ ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَت منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسولَ الله -ﷺ- كانَ هذه موعظةُ مودعٍّ، فماذا تَعهدُ إلينا؟ قال: «**أوصيكُم بتقوى الله والسمعِ والطَّاعةِ وإنْ عَبْداً حبشيًّاً، فإنَّه من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالةٌ**»، أخرجه أبو دواد، وحديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا،**

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ»، وفي مسلم عَنْ أَبِي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»، وحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، وحديث «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»، متفق عليه عن أنس، وحديث البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»، وحديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»، رواه مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة.

هاجروا وناصروا، المهاجرون جمعوا بين الهجرة والنُصرة ولكن عُرفوا بالهجرة، والأنصار أيضًا ناصروا النبي ﷺ، كيف يتجرأ إنسان على التنقص من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد جاهدوا وهاجروا مع النبي ﷺ، ما يتجرأ عليهم إلا منافق، قدموا أموالهم ودمائهم من أجل مناصرة رسول الله.

حقوق زوجات النبي ﷺ

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٨٨- وَمِنْ اَلسُّنَّةِ: اَلتَّرَضِّي عَنْ أَزْوَاجِ اَلرَّسُولِ ﷺ أُمَّهَاتِ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْمُطَهَّرَاتِ اَلْمُبَرَّآتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، أُفَضِّلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ اَلصِّدِّيقَةُ بِنْتُ اَلصِّدِّيقِ اَلَّتِي بَرَّأَهَا اَللَّهُ فِي كِتَابِهِ، زَوْجُ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اَللَّهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاَللَّهِ اَلْعَظِيمِ.

الشرح:

وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة حب الصحابة ... كما تقدم، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن ما حصل من خلاف بين الصحابة فهم فيه على أحد أمرين: إما مجتهد مصيب وإما مجتهد مخطئ، وأن لهم من السابقة والصحبة والجهاد وغير ذلك من أعمال الخير ما يغفر الله به خطاياهم.

وهكذا أزواج النبي ﷺ عقيدة أهل السنة والجماعة حب أزواج النبي ﷺ، وأنهن أمهات المؤمنين وأنهن زوجات النبي ﷺ في الدنيا والآخرة والترضي عنهن، والإيمان بأنهن طاهرات مطهرات: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور:٢٦]، ومن طعن في زوجات النبي ﷺ واتهم أحداهن بالفاحشة فهو كافر مرتد، وعلى هذا إجماع أهل العلم، سواء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو غيرها من أمهات المؤمنين.

قوله: أُفَضِّلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ.

جزم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن أفضل نساء النبي ﷺ خديجة؛ وهي أزرت النبي ﷺ وأيدته ووقفت معه وهي أم أولاده وزكان يذكرها عند عائشة فتغار عائشة حتى تغار عائشة ولم تعرفها ولم ترها من كثرت ذكره ﷺ لخديجة، وقد فضَّلَ بعض أهل العلم حيث فضَّلَ عائشة من حيث نشر العلم وفضل خديجة من حيث الإيواء والنُصرة والمؤازرة للنبي ﷺ ، وهذا تفصيل طيب ذكره شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله، فخديجة وقفت معه ﷺ في أول دعوته وعائشة أفضل من حيث تبليغ العلم، بلغت علمًا كثيرًا للأمة عن نبينا ﷺ.

قوله: وَعَائِشَةُ اَلصِّدِّيقَةُ بِنْتُ اَلصِّدِّيقِ اَلَّتِي بَرَّأَهَا اَللَّهُ فِي كِتَابِهِ، زَوْجُ اَلنَّبِيِّ ﷺ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وهكذا سائر زوجات النبي ﷺ أزواجه في الدنيا والآخرة ولذلك حرَّم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن بعده: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٥٣]، فأكرم الله زوجات النبي ﷺ بأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ، قَالَ: «**فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ**»، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلاَفَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا.

قوله: فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اَللَّهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاَللَّهِ اَلْعَظِيم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:١١-١٩]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

[الرد على القادحين في معاوية رضي الله عنه]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٨٩- وَمُعَاوِيَةُ خَالُ اَلْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اَللَّهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ اَلْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الشرح:

.....

.....

من أحكام الولاية العامة

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٩٠ - وَمِنْ اَلسُّنَّةِ: اَلسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ وَأُمَرَاءِ اَلْمُؤْمِنِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ اَللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اَللَّهِ.

الشرح:

قوله: وَمِنْ اَلسُّنَّةِ.

أي من طريقة النبي ﷺ وأصحابه، فليس المراد هنا بالسنة قسيم الوجاب، أي أنه مستحب، بل إنه من أعظم واجبات الدين السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمرائهم ما داموا على الإسلام، وما لم يأمروا بمعصية، لا طاعة لمخلوق في معصية الله إنما الطاعة بالمعروف، والأدلة متواترة عن نبينا ﷺ في الأمر بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، **فمن يذكر حديثا في ذلك؟**

حديث العرباضَ بن سارية: أن النبي صَلَّى ﷺ قال: «**أوصيكُم بتقوى الله والسمعِ والطَّاعةِ وإنْ عَبْداً حبشيًّا، فإنَّه من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالةٌ**»، وحديث عُبَادَةَ بْنِ الصامت قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»، متفق عليه، وحديث أبي أُمَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا**

خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»، أخرجه الترمذي، وهو حديث حسن، وحديث حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»، وعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، «**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»، متفق عليه عن ابن مسعود وعن أسيد بن حضير، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»، وروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»، وحديث وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ –في مسلم– قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ،

فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**»، وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، متفق عليه، حديث أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»، وعَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ**»، رواه مسلم، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا**»، رواه مسلم، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ؛ الصحابة كانوا يأمرون بالصبر وطاعة ولاة الأمر وإن كانوا فجارًا، جاهدوا معهم وحجوا معهم وصلوا معهم، وقد أنكر كثير من الصحابة على ما حصل من الحسين بن علي حين خرج على الولي الفاجر الفاسق، خرج عليه فأنكر عليه الصحابة، ممن أنكر عليه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من آل بيت رسول الله ﷺ، وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرهما من الصحابة، وأنكروا الخروج على آخرين ممن خرجوا في أوقات متفرقة، كان الصحابة ينكرون عليهم، أنكروا على عبد الله بن الزبير قبل أن يتم له الأمر، وفي قوله ﷺ في حديث «**بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، يدل على أن الأمير إذا كان كافرًا الكفر البواح بحكم علماء المسلمين

الراسخين فيجوز الخروج عليه إذا تيسر لهم الأمر مع القدرة، ولكن يشترط العلماء أن يكون عندهم القدرة الكافية، وأما أن يخرجوا بدون فائدة إنما يؤدي إلى فتن وسفك الدماء فلا يجوز، وعلى هذا فلا يتجرأ الناس على هذا الأمر إلا بفتوى من العلماء الراسلخين في العلم، لا يأخذون بأقوال المبتدعة أو أقوال الخوارج أو المتحمسين والوعاظ الذين ما يدركون مصالح الأمة، فهؤلاء يفسدون أكثر مما يصلحون، انظروا إلى الثورات التي حصلت في بلدان المسلمين مع أن بعض أولئك الأمراء كانوا كفارًا ومع ذلك حصلت مفاسد ولم يستفيدوا من ذلك شيئًا، إنما حصلت مفاسد على الإسلام والمسلمين بدون فائدة، يتحمل وزر هذه الآثام العظيمة وسفك دماء السلمين الذين جرأوا الناس على ذلك من المبتدعة، وكذلك الوعاظ الذين يتكلمون في مثل هذه المسائل وهم لا يعلمونها ولا يحسنونها، يتجرؤون في الكلام على مثل هذه الفتاوى في النوازل العظيمة ويحمِّسون الناس عليها، ثم بعد ذلك يعرفون في قرارة أنفسهم أنهم مخطئون، وأكثرهم لا يعترف بخطئه حتى بعد أن تظهر مفاسد أعماله وأقواله، **من تعلمون من الوعاظ المشتهرين الذين شجعوا الناس على هذه الثورات سواء في بلاد الحرمين أو في بلادنا؟**

الزنداني والقرضاوي هؤلاء من كبار المبتدعة في هذه الأيام، وعائض القرني ومحمد العريفي وطارق السويدان هؤلاء كلهم مبتدعة شجعوا الناس على هذه الثورات ما عندهم علم.

وخالد الراشد وعبد الله صعتر –ما يستحق أن يُذكر– وهو أيضًا من المبتدعة، كل هؤلاء مبتدعة حزبيون، وهزاع المسوري ما له كبير شأن ولكن هو

منهم، ونبيل العوضي، وأما توكل كرمان فعميلة لليهود والنصارى ماسونية، ولكن نريد الوعاظ الذين غشوا المسلمين، وسفر الحوالي وناصر العمر من الحزبيين والمبتدعة، وأما طارق السويدان فعنده كفريات قد تكلمنا عليها من قبل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٩١- وَمَنْ وَلِيَ اَلْخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ، وَرَضُوا بِهِ، أَوْ غَلَبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً، وَسُمِّيَ أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ، وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِ، وَشَقُّ عَصا اَلْمُسْلِمِينَ.

الشرح:

أي من أخذ الإمارة ولو بالغلبة واستتب له الأمر فوجبت طاعته ما دام مسلمًا، ما الدليل على هذا؟

حديث العرباض بن سارية المتقدم، وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ في صحيح البخاري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»، وحديث أَبِي ذَرٍّ في صحيح مسلم قَالَ: (إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ)، فمثل هؤلاء لا يولَّون على طريقة شرعية؛ لأنهم ليسوا من قريس والأئمة من قريش، فمعناه أنهم تولَّوا بالغلبة ولم يأخذوا الحكم بالطريقة الشرعية، ومع ذلك أمر النبي ﷺ بطاعتهم وهذا الأمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل البدع.

التحذير من أهل البدع ووجوب مجانبتهم

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٩٢- وَمِنْ اَلسُّنَّةِ: هُجْرَانُ أَهْلِ اَلْبِدَعِ وَمُبَايَنَتُهُمْ، وَتَرْكُ اَلْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي اَلدِّين، وَتَرْكُ اَلنَّظَرِ فِي كُتُبِ اَلْمُبْتَدِعَة وَالْإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِهِمْ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي اَلدِّينِ بِدْعَةٌ.

٩٣- وَكُلُّ مُتَّسِمٍ بِغَيْرِ اَلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، كَالرَّافِضَة، وَالْجَهْمِيَّة، وَالْخَوَارِج، وَالْقَدَرِيَّة، وَالْمُرْجِئَة، وَالْمُعْتَزِلَة، وَالْكَرَّامِيَّة، والكُلَّابِيَّة، وَنَظَائِرِهِمْ، فَهَذِهِ فِرَقُ اَلضَّلَال، وَطَوَائِفُ اَلْبِدَع، -أَعَاذَنَا اَللَّهُ مِنْهَا-.

الشرح:

قوله: وَمِنْ اَلسُّنَّةِ هُجْرَانُ أَهْلِ اَلْبِدَعِ وَمُبَايَنَتُهُمْ، وَتَرْكُ اَلْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي اَلدِّين، وَتَرْكُ اَلنَّظَرِ فِي كُتُبِ اَلْمُبْتَدِعَة وَالْإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِهِمْ.

هذا كلام طيب في هجر المبتدعة وعدم مخالطتهم والجدال معهم، بل حتى عدم النظر في كتبهم، وعدم الإصغاء إلى كلامهم، فهذا عليه عقيدة أهل السنة والجماعة وهو منهج أهل السنة والجماعة، فإنهم من أعظم جلساء السوء بل مجالسة الفاسق الذي يعصي الله أهون من هذا، فإن ذاك يعتقد انه في معصية والمبتدع يعتقد أنه على طاعة ويدعوك إلى بدعته، والنبي ﷺ حذَّر من مجالسة جلساء السوء، فأهل البدع من أعظم جلساء السوء وتأثيرهم أعظم على الناس؛ لأنه يعتقد أنه على طاعة، قال سُفْيَانَ الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، الْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا»، **وقد دلت الأدلة من كتاب**

الله ومن سنة رسول الله ﷺ على هجر المبتدعة وعدم مجالستهم والبعد عنهم وعدم مخالطتهم، ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة؟

قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقد نقل القرطبي والشوكاني إجماع أهل السنة والعلماء على عدم مجالسة المبتدعة،

وأيضًا من الأدلة من كتاب الله؛ ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ﴾ [الأحزاب:٦٧]، الآيات، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]، ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨]. ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧]، لم يستثنِ إلا المتقين: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨]، ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام:٧٠]، ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، والآيات من كتاب الله كثيرة.

ومن السنة: حديث أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: «**الرجُلُ على دِينِ خَليلِهِ، فلينظر أحدُكُم من يُخالِلُ**»، أخرجه أبو دواد، وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»، عِمرانَ بنَ حُصَين يُحدث، قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**من سَمِعَ بالدَّجَال فليناً عنهُ، فوالله إن الرَّجُل ليأتيهِ وهو يحسِبُ أنه مؤمنٌ فيتَّبِعُهُ مما يبعثُ به من الشُّبهاتِ -أو لما يَبعَثُ بِهِ من الشّبُهات-**»، هكذا قال، أخرجه أبو داود، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»، فعلى المسلم أن يحب أهل الحق ويجالس أهل الحق، وأبو طالب ضره جلساء السوء لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ**

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]، وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، «انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ»، يدل على ضرر مجالسة أهل السوء.

ومن الآثار:

قال ابْنِ عَبَّاسٍ: (لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ)، أخرجه الدارمي والآجري في الشريعة.

وقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: (لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ)، رواه الدارمي بإسناد صحيح.

وعن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)، أخرجه مسلم في المقدمة.

وعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: (إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي غَيْرِهِ)، أخرجه الآجري في الشريعة بسند صحيح.

وقال الإمام الأوزاعي: (من خفيت علينا بدعته لم تخفى علينا ألفته).

وقال أَبَو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ: (مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ).

وقال الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلًا منه جل جلاله ومنة).

وقد تذاكرنا كلامًا جميلًا لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دروس سابقة **قسَّمَ فيه الهجر إلى قسمين:**

هجر ترك وهو في البعد عن المبتدعة وأهل السوء، فهذا مصلحته لازمة مستمرة، فيبتعد الإنسان عن مجالسة المبتدعة وعليه تنطبق كثير من الآيات والأحاديث والآثار التي أخذناها.

والهجر الثاني هجر التأديب والزجر؛ بأن يترك السلام عليه بل ويترك حتى الرد وعيادته في مرضه، ويترك الصلاة عليه إذا مات فهذا يسمى هجر زجر وتأديب فهذا لا يُعمل إلا لمصلحة راجحة، وأما إذا كان بهجرك للمبتدعة ينفر الناس عنك وعن دعوتك فلا تستخدم هذا الهجر، هجر التأديب فإنه إنما يُعمل للمصلحة، وهكذا إذا كنتَ مستضعفا داخل قريتك ما في إلا أنت من أهل الدعوة السلفية والناس كلهم إما عامة أو صوفية أو من الإخوان المسلمين فإذا أردتَ أن تهجر ستهجر القرية كلها إذن ستكون أنت المهجور، إذن هذا ما ينفع، أنت داعي إلى الله جل وعلا فكيف ستترك وتهجر هذا وهذا هذا خطأ، فهذا الهجر يُحتاج أن يُراعى فيه مصلحة في المهجور ومصلحة أيضًا عند الناس، هل المهجور ينتفع من هذا الهجر يتوب إلى الله، هل الناس ينتفعون من هذا الهجر فينزجرون من تلك البدعة أم أنهم يزدادون عنك نفورًا وتُشوه دعوتك، إذا كان

سيأتي على دعوتك بالتشويه ويفرح بذلك المبتدعة ويشوهونك عند الناس، والمبتدع نفسه ما ينزجر إنما يزداد عتوًا ونفورًا، والناس أنفسهم ما يعتقدونك إلا من الغلاة المتشددين، فخيرٌ لك أن تترك ذلك، والنبي ﷺ استمر في دعوته ثلاثة وعشرين سنة من حين بعثه الله لم يُنقل عن أنه هجر هذا الهجر إلا الثلاثة الذين خُلِّفوا، ما صنعه النبي ﷺ في عمره إلا مرة واحدة، مع كعب بن مالك وصاحبيه وكان في ذلك زجر وفيه مصلحة فتابوا إلى الله وصدقتْ توبتهم، وأنزل الله عز وجل: ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة:١١٨]، إلى قوله تعالى: ﴿ **وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾ [التوبة:٢٥]، فليكن الإنسان حكيمًا في دعوته، لا يكن منفرًا عن الدعوة السلفية، لا يكن منفرًا عن الحق وأهل الحق، فالشدة في هذه الأيام مع ضعف الدعوة يعني ما يمكن أنها تنفع إلا في حالات يسيرة جدًا، قد تنفع مع قريبك مع ولدك في بعض الحالات، مع صديق عزيز إذا شددتَ عليه يرجع، مع أقارب يودونك إذا زجرتهم يرجعوا، شيء نادر، وإلا فما رأينا إلا النفور من الناس في هذا الأمر، فنرى لإخواننا ولأهل السنة والجماعة جميعًا أن لا يستخدموا هجر الزجر والتأديب إلا مع اليقين أو غلبت الظن أنه ينفع وأن فيه مصالح شرعية، كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (ج٢٨ ص٢٠٣ وما بعدها) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

الْهَجْرُ الشَّرْعِيُّ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى التَّرْكِ لِلْمُنْكَرَاتِ.

وَالثَّانِي: بِمَعْنَى الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا.

فَالْأَوَّلُ: هُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ﴾ [النساء:١٤٠]، فَهَذَا يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَشْهَدُ الْمُنْكَرَاتِ لِغَيْرِ حَاجَةٍ مِثْلَ قَوْمٍ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ، وَقَوْمٌ دُعُوا إِلَى وَلِيمَةٍ فِيهَا خَمْرٌ وَزَمْرٌ لَا يُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُمْ لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ أَوْ حَضَرَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: حَاضِرُ الْمُنْكَرِ كَفَاعِلِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ**»، وَهَذَا الْهَجْرُ مِنْ جِنْسِ هَجْرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**».

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْهِجْرَةُ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ هَجْرٌ لِلْمَقَامِ بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يُمَكِّنُونَهُ مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَمِنْ هَذَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ [المدثر:٥].

النَّوْعُ الثَّانِي: الْهَجْرُ عَلَى وَجْهِ التَّأْدِيبِ وَهُوَ هَجْرُ مَنْ يُظْهِرُ الْمُنْكَرَاتِ يُهْجَرُ حَتَّى يَتُوبَ مِنْهَا كَمَا هَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ: الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ حِينَ ظَهَرَ مِنْهُمْ تَرْكُ الْجِهَادِ الْمُتَعَيَّنِ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ عُذْرٍ، وَلَمْ يَهْجُرْ مَنْ أَظْهَرَ الْخَيْرَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا فَهُنَا الْهَجْرُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّعْزِيرِ، وَالتَّعْزِيرُ يَكُونُ لِمَنْ ظَهَرَ مِنْهُ تَرْكُ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلُ الْمُحَرَّمَاتِ كَتَارِكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالتَّظَاهُرِ بِالْمَظَالِمِ

وَالْفَوَاحِشِ وَالدَّاعِي إِلَى الْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ الَّتِي ظَهَرَ أَنَّهَا بِدَعٌ، وَهَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ: إنَّ الدُّعَاةَ إلَى الْبِدَعِ لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ وَلَا يُصَلَّى خَلْفَهُمْ وَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُمْ الْعِلْمُ وَلَا يُنَاكَحُونَ، فَهَذِهِ عُقُوبَةٌ لَهُمْ حَتَّى يَنْتَهُوا؛ وَلِهَذَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الدَّاعِيَةِ وَغَيْرِ الدَّاعِيَةِ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَةَ أَظْهَرَ الْمُنْكَرَاتِ فَاسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ بِخِلَافِ الْكَاتِمِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَرًّا مِنْ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللَّهِ مَعَ عِلْمِهِ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ. إلى أن قال في (ص٢٠٦):

وَهَذَا الْهَجْرُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْهَاجِرِينَ [باختلاف الهاجر نفسه] فِي قُوَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ زَجْرُ الْمَهْجُورِ وَتَأْدِيبُهُ وَرُجُوعُ الْعَامَّةِ عَنْ مِثْلِ حَالِهِ، فَإِنْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ رَاجِحَةً بِحَيْثُ يُفْضِي هَجْرُهُ إلَى ضَعْفِ الشَّرِّ وَخُفْيَتِهِ كَانَ مَشْرُوعًا، وَإِنْ كَانَ لَا الْمَهْجُورُ وَلَا غَيْرُهُ يَرْتَدِعُ بِذَلِكَ بَلْ يُزِيدُ الشَّرَّ وَالْهَاجِرُ ضَعِيفٌ بِحَيْثُ يَكُونُ مَفْسَدَةُ ذَلِكَ رَاجِحَةً عَلَى مَصْلَحَتِهِ لَمْ يَشْرَعْ الْهَجْرُ؛ بَلْ يَكُونُ التَّأْلِيفُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِنْ الْهَجْرِ، وَالْهَجْرُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعُ مِنْ التَّأْلِيفِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَلَّفُ قَوْمًا وَيَهْجُرُ آخَرِينَ، كَمَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ لَمَّا كَانَ أُولَئِكَ كَانُوا سَادَةً مُطَاعِينَ فِي عَشَائِرِهِمْ فَكَانَتْ الْمَصْلَحَةُ الدِّينِيَّةُ فِي تَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ سِوَاهُمْ كَثِيرٌ فَكَانَ فِي هَجْرِهِمْ عِزُّ الدِّينِ وَتَطْهِيرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ. انتهى.

كلامٌ جميل، وكذلك هناك كلام للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا المعنى، والإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يُراعَ في الهجر المصلحة، ولغيرهم من أهل العلم كثير أن هجر التأديب يراع فيه المصلحية، فما أكثر ما يحصل من المبتدئين المتحمسين يحصل

منهم تنفير، فليحذر إخواننا ما نحب أن يحصل تحمس في السنة بمقابله ينفر الناس عن السنة، ماذا صنعتَ بهذا التحمس؟

عند أن تتحمس للحق وتأتي بألفاظ شديدة على المبتدعة وأنت في بداية أمرك، يقولون هذا عاده تعلَّمَ العلم أمس واليوم جاء يجرح ويعدل، إذًا لا، الإنسان يكون حكيمًا في الدعوة، ما يقبل الناس منك، فاطلب العلم واستمر في طلب العلم، عليك بالحفظ، عليك بحفظ الكتاب والسنة، والتزود من العلم، وتبدأ للناس بدعوة طيبة تدعوهم إلى التوحيد وإلى تعلم العقيدة الصحيحة، وإذا وثق الناس بك وبدعوتك سيأخذون بنصحك، وأما أن تبدأ بهذا الأمر والناس ما تعودوا هذا، ربما تأتي إلى عامة الناس وهم يعتقدون شخصًا من المبتدعة من أئمة الدين وربما لهم على هذه العقيدة عشرين سنة ثلاثين سنة أكثر من ذلك وأنت تأتي بيوم واحد تريد تغير الأمر كاملًا، هذا يحتاج إلى حكمة.

وأيضًا مما يُنبه عليه: أن الإنسان أيضًا حتى ولو جاءوا يسألونك فلا تتعجل وتأتي بألفاظ شديدة وتأتي بجميع المخالفات أبدأ شيئًا فشيئًا، ابدأ بالكلام العام هذا الرجل عنده مخالفات للسنة، هذا الرجل عنده مخالفات للشرع عنده كذا، حذَّرَ منه كبار العلماء، أما أن تأتي مباشرة وتقول هذا الرجل خبيث ضال مضل كذاب فاجر، هذا ما يصلح، لا تنفر الناس عن الخير.

اسلك الطريقة الطيبة في إيصال الحق إلى الناس، الألفاظ لها دورها في إيصال الحق، إذا أتيت بألفاظ شديدة ربما تنفر الناس وغيرك يأتي بألفاظ يسيرة توصل نفس المعنى مع الرفق بالكلام، كما قالوا:

تقـول هـذا مجـاج النحـل تمدحـه وإن تشـأ قلـتَ ذا قيـئ الزنـابير
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما والحـق قـد يعتريـه سـوء تعبـير

العسل إذا أردت ان تمدحه تقول: هذا مجاج النحل، وإذا أردت أن تذمه تقول: هذا قيئ الزنانير، وأيضًا يتربص المبتدعة غاية التربص ويفرحون ببعض الألفاظ الشديدة فيحذِّرون منك ومن دعوتك، وربما تأثرت دعوتك سنوات في تلك القرية أو في تلك البلاد أو ربما أكثر من ذلك، بسبب ما حصل من شدة في القول، فالرفق الرفق، ولنسارع نحن إلى الناس، نحن أولى بالناس، دعوة أهل السنة والجماعة أولى بالناس، فلا تترك الناس لغيرك، لا تترك العامة لغيرك يذهب فيلبس عليهم الإخوان المسلمون والتبليغ والصوفية وغيرهم من أهل البدع والضلال، لا تتركهم لغيرك سارع أنت أيها السني إليهم برفق ولين ودعوة طيبة وتوضيح للحق، ومن كان سببًا في نفرة الناس عن السنة وعن الحق يخشى عليه أن يكون له نصيب من قول الله عز وجل: ﴿ **وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل:٩٤].

قوله: وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي اَلدِّينِ بِدْعَةٌ

وهذا هو الذي يُجزم به ولا شك في ذلك؛ لأن النبي ﷺ قد قال ذلك، وكل من ألفاظ العموم، والنبي ﷺ عمم، وهذا رد على من قسم البدع إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، فليس في دين الله بدعة حسنة، «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وقد ثبت عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً)، وليس للمسلم أن يستحسن من قبل نفسه، فتقسم البدع

إلى حسنة وسيئة تقسيم مبتده، مخالف للأدلة الشرعية، «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وأما ما جاء عن بعض أهل العلم أنه يقول بدعة حسنة فمحمول على انه أراد البدعة اللغوية، بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الشرعي.

ما معنى البدعة في الشرع؟

كل ما تُعبد لله عز وجل مما ليس في دين الله بأصله أو بصفته أو بكيفيته أو بوقته، فهو من البدع، وأما البدعة بالمعنى اللغوي فهي بمعنى الاختراع وإحداث الشيء على غير مثال سابق، قال الله عز وجل: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [البقرة:١١٧]، أي خلقها على غير مثال سابق: ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف:٩]، أي ما أنا بأول رسول قد سبقني رسل، فالبدعة بالمعنى اللغوي قد تطلق على بعض الكيفيات التي جاءت في الشرع ولكنها تُركت ثم أُحييت فقد يطلق عليها ذلك والمراد أنها أُحييت وليس لأنها بدعة من أصلها، كما جمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس على صلاة التراويح قال نعمتْ البدعة هذه، فهو الذي جمعهم فلا يفهم أنها بدعة بالمعنى المذموم، وإنما أراد أن جمع الناس فيه واستمرارهم عليه أمر مستجد وإن كان قد حدث في عهد النبي ﷺ إلا أنه لم يحصل الاستمرار خشيتْ أن تُفرض على الناس، فهذا محمول على ذلك، **وأما حديث : «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً»، فما المراد به؟**

يحيي سنة قد أميتت أو كادت ان تموت بين الناس فهذا من إحياء السنن وليس هذا من البدعة الحسنة كما يزعم الصوفية وغيرهم، وتقييد المؤلف **وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي اَلدِّينِ بِدْعَةٌ**: تقييد طيب؛ لأن الأمر المستجد من الأمور الدنيوية لا

يدخل في البدع وإنما المراد في دين الله جل وعلا، بل الأمور الدنيوية تستجد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فالدين كامل فمن جاء بشيء من البدع لم يكن موجودًا في عهد النبي ﷺ فقد وقع في البدعة.

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

استدلال الصوفية بأن من البدع ما هو مستحسن بأن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع المصحف وأمر بإحراق كل مصحف يخالف ذلك الرسم الذي جمعه عثمان، **من يجيب على هذه الشبهة؟**

أولًا: ما صنعه الخلفاء الراشدون فلا يعد من البدع لحديث فلعيكم بسمنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليه بالنواجذ، فلا يمكن أن يأتي أحد الخلفاء الراشدين ببدعة، وأيضًا هذا من حفظ كتاب الله جل وعلا، وقد جمع الله قلوب الصحابة على ذلك، وشرح الله صدورهم لذلك، فهذا من حفظ كتاب الله جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، فنحن مأمورون بحفظ كتاب الله من التحريف والتبديل، وهذا من ذلك، وقبل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفق الله أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في جمع المصحف وفي كتابته حيث كان أولًا غير مجموع فُجمع مكتوب ثم بعد ذلك جمع في مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا على الصحيح الأذان الأول يوم الجمعة ما يحكم عليه بأنه بدعة وإن كنا نرى أن الأفضل أن يقتصر على أذان واحد، كما جاء عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما جاء في صحيح البخاري عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: (كَانَ

النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى المِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " الزَّوْرَاءُ: مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ "، في هذه الأزمنة زالت هذه العلة، فالناس يعرفون الوقت بسبب الساعات، فصار الإدراك أكثر، معروف متى ستقام الجمعة، وأيضًا انتشرت المكبرات والمساجد فنرى أن الأقرب إلى السنة ترك الأذان الأول يوم الجمعة، وأما ما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن أبي شيبة أن الأذان الأول يوم الجمعة محدث، فابن عمر كان يطلق الإحداث ويريد به الإحداث اللغوي لا الشرعي، فقد قال ابن عمر أيضًا في صلاة الضحى أنها بدعة، وجاء أيضًا عنه رواية قال ما ابتدع المسلمون بدعة أحسن منها، فالمراد به الإشارة إلى المعنى اللغوي وهو أن الناس داوموا عليها والنبي ﷺ لم يداوم عليها خشية أن تفرض على الناس، كما فهمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والنبي ﷺ قد حث عليها، في مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**»، وعَنْ أبي الدرداء ونُعَيْم بْنِ هَمَّارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: «**صَلِّ لِي يَا ابْنَ آدَمَ أَرْبَعًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ**»، أخرجه أحمد والترمذي، وينبغي للمسلم أن لا يتجرأ على الحكم بالبدعة إلا وهو مسبوق بسلف، وفي مسألة الأذان الأول ننصح بعدم التجريء بالحكم عليه بالبدعة فجميع العلماء المتقدمين لا يحكمون عليه بالبدعة، ولم يرد إلا هذا الأثر عن ابن عمر، وهو قد يتأول كما تقدم أي بدعة لغوية لا

شرعية، فمذاهب علماء المسلمين كلهم على عدم الحكم عليه بالبدعة بل كثير منهم يحكم عليه بأنه من السنن، فلا يتجرأ المسلم على مخالفة ما جاء عن أهل العلم.

قوله: وَكُلُّ مُتَّسِمٍ بِغَيْرِ اَلْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، كَالرَّافِضَة.

أما الرافضة فهم الذين رفضوا أبا بكر وعمر وتكلموا عليهم وسبوهم، وذكر بعض أهل العلم أنهم سموا رافضة بسبب أنهم طلبوا من زيد بن علي بن الحسين وقَالُوا لَهُ ابرأ عَن الشَّيْخَيْنِ وَنحن نُبَايِعك فَأبى فَقَالُوا إِنَّا نرفضك فَقَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتم الرافضة فَمن حِينَئِذٍ سموا الرافضة وَسميت شيعته بالزيدية.

فصار هذا الاسم يشمل كل من سب أبا بكر وعمر، كل من تكلم في أبي بكر وعمر رضي لله عنهما فهو رافضي، وهم أقسام:

منهم من بلغ به الأمر إلى أن يدعي أن عليًا إله والعياذ بالله.

ومنهم من قال كان أحق بالنبوة وإنما خان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعطاها لنبينا محمد ﷺ.

ومنهم من يرى أن القرآن ناقص.

وطبقة منهم يقولون هو الوصي بالخلافة وإنما أخذها أبو بكر بدون حق، وهذا تهام للصحابة كلهم أنهم ظلموا عليًا، واتهام أيضًا لعلي أنه لم يطالب بالحق فمعناه اتهام له بالجبن، ورئيسهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بحب آل بيت رسول الله ﷺ ، ثم أظهر هذه المكفرات العظيمة وادعى الألوهية لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأمر علي بن أبي طالب أن يُحرقوا بالنار.

قوله: وَالْجَهْمِيَّة.

وهم أتباع الجهم بن صفوان نُسبت إليه وإلا فأصل مقالة التعطيل مأخوذة عن الجعد بن درهم ولكن هو الذي نشر هذا المذهب فنُسب إليه المذهب، والجعد بن درهم تلقاه من قبل اليهود، عن رجل يقال له أبان بن سمعان، وأبان بن سمعان أخذه عن رجل يقال له طالوت عن لبيد ابن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ، فمذهب التعطيل أصله مأخوذ من اليهود؛ لأن مذهب الجهمية انهم يعطلون الأسماء والصفات، وإذا اثبتوا الأسماء يقولون أسماء مجازية ليس لها معاني ولا يُشتق منها صفات، فهم يعطلون الله عز وجل من أسمائه وصفاته، وإذا اثبتوا الأسماء يقولون أسماء مجازية لا تتضمن المعاني، ومن الذي صلب الجعد بن درهم؟

صلبه خالد بن عبد الله القسري، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولأجل ذَا ضحى بجعد خَالِد ... الْقَسرِي يَوْم ذَبَائِح القربان

إِذْ قَالَ ابراهيم لَيْسَ خَلِيله ... كلا وَلَا مُوسَى الكليم الدان

شكر الضحية كل صَاحب سنة ... لله دَرك من أخي قرْبَان

وفي كتاب "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" لأبي بكر الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ج١ص١٥١): وحكى بعضهم أن جهم بن صفوان الترمذي كان يدعو الناس إلى مذهبه الباطل وهو أن الله تعالى عالم لا علم له قادر لا قدرة له وكذا في سائر

الصفات وكان جلس يومًا يدعو الناس لمذهبه وحوله أقوام كثيرة فجاء أعرابي ووقف حتى سمع مقالته فأرشده الله تعالى إلى بطلان هذا المذهب فأنشأ يقول:

ألا إن جهـــمًا كـــافر بـــان كفـــره ... ومن قال يومًا قول جهم فقد كفر
لقـــد جـــن جهـــم إذ يســـمى إلهـــه ... سميعًا بـلا سـمع بصيرًا بـلا بصـر
علـــيمًا بـــلا رضـــيًا بـــلا رضـــا ... لطيفًا بـلا لطـف خبيرًا بـلا خـبر
أيرضـيك أو لـو قـال يـا جهـم قائـل ... أبـوك امـرؤ حـر خطـير بـلا خطـر
ملـــيح بـــلا ملـــح بهـــي بـــلا بهـــا ... طويـل بـلا طـول يخالفـه القصـر
حلـــيم بـــلا حلـــم وفي بـــلا وفـــاء ... فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر
جـــواد لا جـــود قـــوي بـــلا قـــوى ... كبـير بـلا كـبر صـغير بـلا صـغر
امـــدحًا تـــراه أم هجـــاء وســـبة ... وهـزأ أكفـاك الله يـا أحمـق البشـر
فإنـــك شـــيطان بعثـــت لأمـــة ... تصـيرهم عـما قريـب إلى سـقر

قال عبد الله بن المبارك: إن الله تعالى بعث الأعرابي رحمة لأولئك ورجع كثير من الناس ببركة أبياته. انتهى.

فالجهم بن صفوان أتى بالأقوال الكفرية ولذلك كفر العلماء الجهمية، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَقَـد تقلـد كفـرهم خَمْسُـونَ فِي ... عشـر مـن الْعلـمَاء فِي الْبلـدَانِ
واللالكـائي الامـام حَكَـاهُ عَـن ... هـم بـل قـد حَكَـاهُ قبلـه الطَّـبَرَانِيّ

أكثر من خمس مائة عالم من علماء المسلمين حكموا على الجهمية بالكفر، **ومن الذي قتل الجهم بن صفوان؟**

قتله سلم بن أحوس من أمراء خراسان، وللجهمية أقوال أخرى كفرية غير إنكار الصفات؛ منها قولهم بالجبر بأن الإنسان ليس له حركة ولا إرادة وإن حاله كالريشة في مهب الريح، ليس له أي مشيئة أو إرادة، ومن ذلك قولهم بأن القرآن مخلوق، فلهم كفريات كثيرة.

قوله: وَالْخَوَارِجِ.

والخوارج رئيسهم ذو الخويصرة التميمي الذي خرج على نبينا ﷺ ، منافق كافر، بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ**» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْقَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْقَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [التوبة:٥٨]، فهي أول بدعة وقعت في الإسلام، بدعة الخروج، فمنشأهم في عهد النبي ﷺ، وابتدأوا في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأظهروا مذهبهم

في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، **فما عقيدة هذه الفرقة المبتدعة، الخوارج، بماذا فارقوا الإسلام والسنة؟**

تكفير أصحاب الكبائر، والخروج على ولاة الأمر المسلمين، والخوارج شأنهم الخروج على ولاة الأمر؛ لأنه لا يخلوا ولي أمر من حصول المعاصي بل يقعون في الكبائر إلا من رحم الله، ومع جهلهم ربما يكفرِّون بما لم يُكفر به كما حصل تكفيرهم للصحابة رضوان الله عليهم، كفروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلجهلهم يحكمون على العمل أنه كبيرة ثم بناء عليه يحكمون بالتكفير ثم الخروج على ولاة الأمر، ما هو الرد على استدلالهم: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، **ما الجواب على هذه الشبهة؟**

أي ليس مؤمنًا كامل الإيمان، ما يفعل هذه المعاصي والكبائر وهو عنده الإيمان الكامل لأن النبي ﷺ قد قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

وأيضًا جعل الله لهم حدودًا ولو كانوا على الكفر لأمر بقتلهم، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، فلو كان السارق كافرًا لقُتِلَ ولكن جُعِلَ له حد، فهذه المقالة ما تنفق إلا على جاهل فما أكثر الأدلة الشرعية التي تدل على بقاء الإيمان مع الوقوع في المعاصي، كثيرة جدًا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا**

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨]، أدلة كثيرة وأكثرها أدلة التوحيد وفضل كلمة التوحيد: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»، وأيضًا إخراج الموحدين من النار؛ لأنهم بنوا على مذهبهم أنه كافر بسبب كبيرة فمعناه أنه مخلد في نار جهنم، فكيف بأدلة الشفاعة كلها، كلها تدل على بطلان قولهم، وقد تقدم معنا قراءة أدلة الشفاعة عند أن مر علينا كلام المؤلف عن الشفاعة.

من الذي قاتل الخوارج فنصره الله عليهم؟

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ، فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ، يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِالْحَقِّ**»، فكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي تولى قتالهم وتبين انه أقرب إلى الحق من معاوية ومن كان معه، الذين يخرجون على ولاة الأمور وإن لم يكفِّروا بالكبائر لهم مشاركة في هذه البدعة، بدعة الخروج، فقد شاركوا الخوارج في هذه البدعة، بدعة الخروج على ولاة الأمر بحجة تغيير الظلم، ما حصل بهذا إلا الفساد على مر الأزمان، من أعظم الفساد في دين الله جل وعلا وفي دنيا المسلمين وفي معاشهم الخروج على ولاة أمر المسلمين وهم على الإسلام، من أعظم ما يسبب الفساد في الدنيا والدين على مر الأزمان الخروج على ولاة الأمر، ولم يتعظ كثير من المسلمين بسبب التقاتل على الدنيا، فلا يزالون على هذه البدعة وعلى هذه المعصية العظيمة ولا يزالون يجنون نتائج هذه الجريمة إلى يومنا هذا.

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلْتُ الْحَرُورِيَّةَ فَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حِدَّتِهِمْ فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ

فَأُكَلِّمَهُمْ، قَالَ: إِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ نَزَلَ الْوَحْيُ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ لَنُحَدِّثَنَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَنْقِمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَتَنِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ؟ " قَالُوا: نَنْقِمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾ [الأنعام:٥٧]، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: وَقَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ لَئِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا لَا تُنْكِرُونَ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** ﴾ [المائدة:٩٥]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ **يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** ﴾ [المائدة:٩٥]، وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا** ﴾ [النساء:٣٥]، أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْنَبٍ ثَمَنُهَا رُبْعُ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلْ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، قَالَ: أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا، فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب:٦]. فَأَنْتُمْ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ فَاخْتَارُوا أَيَّتَهُمَا شِئْتُمْ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: «**اكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**» فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «**وَاللَّهُ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**»، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، «فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَقُتِلُوا».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "اعلام الموقعين": نَهْيُهُ عَنْ قِتَالِ الْأُمَرَاءِ وَالْخُرُوجِ عَلَى الْأَئِمَّةِ - وَإِنْ ظَلَمُوا أَوْ جَارُوا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ، سَدًّا لِذَرِيعَةِ الْفَسَادِ الْعَظِيمِ وَالشَّرِّ الْكَثِيرِ بِقِتَالِهِمْ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ؛ فَإِنَّهُ حَصَلَ بِسَبَبِ قِتَالِهِمْ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَالْأُمَّةُ فِي بَقَايَا تِلْكَ الشُّرُورِ إِلَى الْآنِ، وَقَالَ: «**إِذَا بُويِعَ الْخَلِيفَتَانِ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا**» سَدًّا لِذَرِيعَةِ الْفِتْنَةِ. انتهى.

ولو رأى ماذا يحصل على المسلمين اليوم فماذا سيقول!

وقال الإمام المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "التنكيل" (ج١ ص٢٨٨) قال: وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشر، خرج الناس على عثمان يرون أنهم

إنما يريدون الحق ثم خرج أهل الجمل يرى رؤساؤهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق فكانت ثمرة ذلك بعد اللتيا والتي أن انقطعت خلافة النبوة وتأسست دولة بني أمية ثم اضطر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرة، ثم خرج القراء مع ابن الأشعث فماذا كان؟ ثم كانت قضية زيد بن علي وعرض عليه الروافض أن ينصروه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى فخذلوه، فكان ما كان، ثم خرجوا مع بني العباس فنشأت دولتهم التي رأى أبو حنيفة الخروج عليها، واحتشد الروافض مع إبراهيم الذي رأى أبو حنيفة الخروج معه ولو كتب له النصر لاستولى الروافض على دولته، فيعود أبو حنيفة يفتي بوجوب الخروج عليهم!

هذا والنصوص التي يحتج بها المانعون من الخروج والمجيزون له معروفة، والمحققون يجمعون بين ذلك بأنه إذا غلب على الظن أن ما ينشأ عن الخروج من المفاسد أخف جدًا مما يغلب على الظن أنه يندفع به جاز الخروج وإلا فلا.

وهذا النظر قد يختلف فيه المجتهدان، وأولاهما بالصواب من اعتبر بالتاريخ وكان كثير المخالطة للناس والمباشرة للحروب والمعرفة بأحوال الثغور. انتهى.

ما حصل الخروج على مر الأزمان إلا وحصلت من وراءه الفتن العظيمة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر من إعلام الموقعين: وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مُنْكَرٍ؛ فَطَلَبَ إزَالَتَهُ فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَرَى بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إسْلَامٍ عَزَمَ عَلَى تَغْيِيرِ الْبَيْتِ وَرَدِّهِ عَلَى قَوَاعِدِ إبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ - مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ

- خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَمَا وُجِدَ سَوَاءٌ. انتهى.

قوله: وَالْقَدَرِيَّة.

والذين ضلوا في القدر قسمان:

قسمٌ غلوا في الإثبات، وقسمٌ نفوا القدر، وعند الإطلاق فالقدرية يراد بهم النفاة الذين نفوا القدر، **والذين نفوا أيضًا قسمان:**

قسمٌ غلاة، وقسمٌ نفوا المشيئة والخلق لأفعال العباد، والذين نفوا نفيًا عامًا نفوا العلم والكتابة والخلق والمشيئة، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين حيث نفوا عن الله أنه يعلم أفعال العباد، وقالوا ما يعلم الله بأفعال العباد إلا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم، وهؤلاء الذين كفَّرهم عبد الله بن عمر، فعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، وهؤلاء غلاة القدرية كفرهم متعين

معلوم من الدين بالضرورة، الغلاة الذين نفوا علم الله ونفوا أن الله كتب في اللوح المحفوظ المقادير، ويوجد طائفة من النفاة أقل منهم في الضلال وهم الذين أثبتوا العلم والكتابة ولكن نفوا الخلق والمشيئة، وقالوا ليس لله مشيئة وخلق لأفعال العباد، وهؤلاء أيضًا أقوالهم كفر ولكن لم يُكَفِّر العلماء أفرادهم بسبب الخطأ والتأويل؛ لأنهم أرادو تنزيه الله عز وجل فضلوا، فقالوا العبد يخلق أفعال نفسه والعبد هو الذي يشاء أفعاله وليس لله فيها مشيئة، قالوا لو قلنا أن لله فيها مشيئة فكيف يشاء المعصية ثم يعذبه عليها؟ فكانت هذه الشبهة هي التي أضلتهم.

فما الدليل على أن الله يخلق أفعال العباد ويشاؤها؟

قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات:٩٦]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [التكوير:٢٩]، فمشيئة العباد تابعة لمشيئة الله، لا يعملون شيئًا ولا يريدون شيئًا ولا يشاؤون شيئًا إلا إذا شاءه الله: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القصص:٦٨]، والادلة العامة: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾[البقرة:١٩٧]، فإذا كان قد علمه الله فكيف لا يشاءه: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [المدثر:٣١]، ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾ [يونس:٩٩]. أدلة كثيرة.

والقدرية جاء أثر عن ابن عمر، عن النبيِّ – ﷺ – قال: «**القَدَرِيَّة مَجُوسُ هذه الأمة: إنْ مَرِضُوا فلا تَعودُوهُم، وإن ماتوا فلا تَشْهدوهُمْ**»، وجاء عن جابر وعن

أنس، قد تتقوى إلى التحسين، وعلى أقل أحوالها موقوف على بعض الصحابة، **فمن أي وجه أُطلق عليها هذا الاسم؟**

لأن المجوس أثبتوا خالقين، خالقًا للنور، وخالقًا للظلمة، وهؤلاء القدرية أثبتوا مع الله خالقين لأفعالهم وهم العباد، يخلقون أفعالهم، أعوذ بالله، فهؤلاء مجوس هذه الأمة الذين نفوا عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشيئة والخلق، بل قال بعض أهل العلم هؤلاء أثبتوا خالقين ما هو فقط خالق واحد، كل يخلق فعل نفسه، وهو قول كفر لا شك في ذلك؛ لأن لازمه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يخلق كل شيء وهذا يخالف ما جاء في القرآن والسنة والأدلة المتواترة والأمور المعلومة، ومقتضاه أيضًا أنه يحصل في ملك لله ما لا يشاءه الله وما لا يريده، على قولهم أن هذا الفعل ليس بإرادة الله معناه كيف يحصل في ملك الله ما لا يريده، إذًا هذا نقص في ملك الله جل وعلا أنه يقع في ملكه ما لا يشاءه، نعوذ بالله، هذه أقوال كفرية لا شك فيها، ولكن لم يُكفر أعيانهم بسبب التأويل، ومن قامت عليه الحجة وبانت له وليس له تأويل وخلت عنه موانع التكفير فهذا يقع في الكفر، من موانع التكفير ما حصل لهؤلاء الطوائف الخطأ بالتأويل، يتأولون الأدلة ويريدون تنزيه الله فوقعوا في الكفر والضلال، هذه القدرية النفاة، وهم من المعتزلة، وسيأتي أن القدرية النفاة هم المعتزلة إنما المعتزلة مذهبهم في القدر هو النفي وسيأتي.

والطائفة الثانية لذين غلوا في الإثبات حتى قالوا العبد له مشيئة ولا إرادة ولا فعل ولا تسبب ولا تكسب، بل هو مجبور على الفعل، **هذا يسمى ماذا؟**

يسمون الجبرية؛ لأنهم نفوا عن العبد المشيئة قالوا العبد له مشيئة ولا إرادة ولا فعل ولا تسبب ولا تكسب، وإنما هو كالريشة في مهب الريح، فهؤلاء

الجبرية، والرد عليهم أن الله قد أثبت المشيئة في كتابه الكريم كما تقدم، وأثبت لهم تسبب وتكسب: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧]، أثبت لنبيه ﷺ الرمي ولكن الله هو الذي سدد ووفق في الرمي، وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى، حتى بالغ بعضهم فقال بعض الغلاة منهم إذًا العبد مجبور على فعله فكل ما يفعله طاعة لله، حتى ولو فعل المعصية هو مطيع لله لأنه مجبور ليس بفعله ذلك، وهؤلاء أكفر من الذين قبلهم أكفر من القدرية النفاة، فإن مقتضاه ولازمه أن الأنبياء ظلموا الناس فقاتلوهم وهم مجبورون على الكفر، إذن كيف قاتلوهم، ظلموهم، مقتضاه ان الكفار طائعون لله، بل أن فرعون عند أن قال: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات:٢٤]، طائع لله؛ لأنه مجبور على هذا القول، ما قاله بنفسه، فجميع الأقوال الكفرية والإلحادية كلهم طائعون لله لأنهم تكلموا بما جُبروا عليه، حتى قال بعض غلاتهم:

أصبحت منفعلا لما يختاره ... مني ففعلي كله طاعات

وهذا مذهب الجهمية، الجبرية أصلهم جهمية، والأشاعرة وقعوا أيضًا في الجبر لكنه أخف من جبر الجهمية فقالوا للعبد تسبب لكن غير مؤثر في وجود الفعل.

وأهل السنة والجماعة يقولون للعبد مشيئة وإرادة وتسبب وكسب، بسببٌ في وجود الفعل ولا يقع إلا بمشيئة الله، فالأشاعرة أيضًا جبرية ولكنهم أقل حالًا من الجهمية، الأشاعرة مبتدعة والجهمية كفار، ما معنى الجبرية؟

هم الذين ينفون عن العبد، يقولون ليس له مشيئة ولا إرادة ولا تسبب في الفعل، وهذا كلام باطل.

هذه مناظرة بين عَبْدَ الْجَبَّارِ الْهَمَذَانِيَّ مُعْتَزِلِيٌّ ضال، والْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَايِينِيُّ وهو أشعري ولكن وفق في هذه المسألة، اثبات المشيئة لله.

وَمِمَّا يُحْكَى أَنَّ الْقَاضِيَ عَبْدَ الْجَبَّارِ الْهَمَذَانِيَّ الْمُعْتَزِلِيَّ دَخَلَ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ، وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا أيضًا، وَكَانَ عِنْدَهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَايِينِيُّ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمُحَقِّقِي الْأَشَاعِرَةِ، فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ عَلَى الْفَوْرِ: سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ. [أي ما يخلق مثل هذه الأمور ولا يشاؤها سبحانه].

فَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فَوْرًا: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ. [هذا جواب يفحمه؛ لأن معناه أنك تنقصتَ ملك الله، وان الله عز وجل يقع في ملكه ما لا يشاء]، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ، وَفَهِمَ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ مُرَادَهُ: أَيُرِيدُ رَبُّنَا أن يُعْصَى؟ [نهى الله عز وجل عن المعصية ولا يريد ذلك شرعًا وإنما أراده وشاءه كونا لحكم بالغة، قدر الله على بعض الناس أن يقع في المعصية لحكم عظيمة بالغة: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء:٢٣]، ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [فصلت:٤٦]، فالمشيئة نعم يشاء الله ذلك لحكم بالغة وأما الإرادة فلا يريد الله ذلك شرعًا بل نهى الله عن ذلك].

فَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَيُعْصَى رَبُّنَا قَهْرًا؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ: أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى، وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى، أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ؟

فَقَالَ لَهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ: إِنْ كَانَ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَكَ فَقَدْ أَسَاءَ، وَإِنْ كَانَ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَهُ فَيَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، فَانْصَرَفَ الْحَاضِرُونَ وَهُمْ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَيْسَ عَنْ هَذَا جَوَابٌ.

وجواب هذا الْإِسْفِرَايِينِيُّ موافق لعقيدة أهل السنة.

قوله: وَالْمُرْجِئَة.

وسموا بالمرجئة؛ لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وقالوا العمل ليس من الإيمان، وهذا قول مبتدع، والأعمال من الإيمان، وبدعة القدر أقدم من الإرجاء؛ لأنها في أواخر عهد الصحابة ادركهم ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعة من الصحابة، وحذروا من هذه البدعة، والمرجئة في عهد التابعين، والمرجئة أقسام؛ منهم الغلاة، ومنهم غير ذلك.

فمن غلاة المرجئة من قال يكفي تصديق القلب، إذا صدق بلقبه فهو مؤمن، ولو لم يظهره على لسانه وجوارحه، وهذا قول باطل جدًا، فإنه يقتضي أن كل من صدَّقَ ولو لم يقر باللسان أنه مؤمن، بهذا التعريف يكون فرعون قد صدَّق بقلبه ولكنه جحد، على هذا القول يُحكم له بالإيمان، قال الله عز وجل: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل:١٤]، وهرقل صدَّق بقلبه ولكنه قدَّم ملكه على الإيمان فهو كافر ولا يُحكم له بالإيمان، فالقول أنه يكفي التصديق في الإيمان هذا قول باطل من أقوال غلاة المرجئة.

وأبعد منه من قال مجرد المعرفة، مجرد أن يعرف ربه، فالإيمان هو المعرفة، كقول الجهمية، فهذا على قولهم بمجرد معرفة ربه يحكم له بالإيمان سيُحكم حتى لإبليس بالإيمان لأنه عرف ربه، وعرف عظمة الله: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ**

أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢]، مجرد المعرفة ما تكفي في الإيمان، وفرعون كذلك صدق وعرف، وكثير من اليهود صدقوا وعرفوا أن النبي ﷺ حق، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦]، ومع ذلك كفروا عنادًا وبغيًا وحسدًا، فهم يهود كفار لا يحكم لهم بالإيمان، فهذه أقوال باطلة من أقوال غلاة المرجئة.

وهناك مرجئة قالوا : مجر النطق باللسان هو الإيمان، إذا نطق بالتوحيد فهو مؤمن، وهذا أيضًا باطل؛ لأنه إذا نطق به وليس في قلبه فلا ينفعه ولا يحكم له بالإيمان، فالمنافقون نفاق اعتقادي نطقوا بالإيمان ولكن كفروا بأنفسهم فهؤلاء لا يُحكم لهم بالإيمان، فهؤلاء مرجئة الكرامية.

ومرجئة أقل من هؤلاء المتقدمين وهم الذين قالوا: تصديق القلب ونطق اللسان هو الإيمان، وأعمال الجوارح ليست من الإيمان، الأعمال الصالحة زائدة على ذلك، وهذا قول مرجئة الكوفة، وهذا قولٌ مبتدع، فالأعمال الصالحة من الإيمان وكما تقدم ذكر الأدلة في ذلك وهي كثيرة، ولكنهم أقل في الضلال ممن قبلهم، ومن مرجئة الفقهاء هؤلاء من قال أنه يعاقب على المعصية وأنه بالعمل الصالح يزداد ثوابه ومنزلته عند الله ولكن أبوا أن يقولوا يزداد إيمانه، وهذا قولٌ متناقض؛ لأنه إذا ازداد أجره ومنزلته فلا شك أنه يدل على أن له منزلة أعظم، فالمؤمنون يتفاوتون في منزلتهم، وقد أثبت الله أن الإيمان يزداد، فإذا كانت الأعمال الصالحة، أعمال القلب واللسان والجوارح لا تزيده فما الذي يزيده، **ما هي الآيات في ذلك؟**

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر:٣١]، ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، والأدلة واضحة في زيادة الإيمان بالعمل الصالح وفي نقصه بالأعمال السيئة، فقول المرجئة قول مبتدع إلا أن مرجئة الفقهاء أقل ممن قبلهم، فإنهم أثبتوا أن العمل الصالح له تأثير في الأجر والثواب وزيادة في المنزلة وضلوا عند أن قالوا لا يزاد به الإيمان.

وضل المرجئة عند أن قالوا لا يصلح أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، فقالوا إذا قال أنا مؤمن إن شاء الله معناه أنه شك في إيمانه فيقتضي الكفر، فيلزم الكفر فحرَّموا عليه أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، والصحيح أنه يجوز تعليق الإيمان بالمشيئة لا على سبيل الشك، فكل شيء بمشيئة الله:

وَاللَّهِ لَـوْلاَ اللَّهُ مَـا اهْتَـدَيْنَا ... وَلاَ تَصَـدَّقْنَا وَلاَ صَـلَّيْنَا
فَـأَنْزِلَنْ سَـكِينَةً عَلَيْنَـا ... وَثَبِّـتِ الأَقْـدَامَ إِنْ لاَقَيْنَـا
إِنَّ الأُلَى قَـدْ بَغَـوْا عَلَيْنَـا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَـةً أَبَيْنَـا

فكل شيء بمشيئة الله ونعمته، أعني من النعم، ويصلح أيضًا أن يقول باعتبار أنه يرجو أن يثبته الله على الإيمان حتى يلقاه، **لماذا سمي إرجاء؟**

تأخير العمل عن مسمى الإيمان، فأخروا الأعمال عن الإيمان، وأعمال القلب واللسان والجوارح كلها من الإيمان، **فما المقصود بأعمال القلب مثل ماذا؟**

مثل الحب في الله والبغض فيه، والرهبة والرغبة والتوكل على الله والإخلاص والصدق مع الله وحسن الظن بالله، أعمال كثيرة، وأعمال القلوب في

الغالب تزيد المسلم إيمانا أعظم من أعمال الجوارح، فأغلب أعمال القلب يزداد بها الإنسان منزلة عظيمة، الإخلاص والصدق مع الله والمحبة والرهبة والرغبة، وكثير من أعمال الجوارح تكون لها المنزلة عند الله إذا احتفت بأعمال القلب من الصدق والإخلاص واليقين، وكما قال عبد الله بن المبارك كما في جامع العلوم والحكم: كم من عمل عظيم صغرته النية، وكم من عمل صغير عظمته النية، بسبب الإحتساب والصدق والإخلاص وحسن الظن بالله ينال به الأجر العظيم.

من أوائل من تلكم في الإرجاء، إرجاء الفقهاء هم: ذر بن عبد الله المرهبي، وحماد بن أبي سليمان، هؤلاء قبل أبي حنيفة، تلكموا به قبله.

هل يمكن أن يوجد في قلب المسلم بدون أعمال صالحة؟

ما يمكن أن يوجد إيمان صحيح بدون عمل صالح، لقوله ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».

وبعض المعاصرين يذكرون مسألة افتراضية لا وجود لها يقولون: لو أن إنسانًا ترك الأعمال كلها ما عنده إلا النطق بالشهادتين أهو مؤمن؟

يقال هذا سؤال مبتدع، وليس له وجود، «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، فإنسان لم يعمل خيرًا قط ولم يعمل واجبًا قط ولم يلتزم شيئًا من دين الإسلام من الطاعات والواجبات، إذا أُفترض وجود هذا الإنسان فهذا دليل على عدم وجود الإيمان في القلب، هذا منافق لا إيمان في القلب لم يصلي لله صلاة، ولم يتقرب لله بقربة ولم

يطع ربه بواجب من الواجبات ولا بنافلة لو فُرض وجود هذا الشخص ما حكم عليه إلا بالكفر والنفاق؛ لأن ما يصنع هذا إلا منافقًا كافرًا يدعي الإيمان وليس في قلبه.

وبنى بعض المبتدعة المتأخرين مسألة؛ قالوا: هل الأعمال الصالحة شرط في صحة الإيمان أم شرط في كماله؟

والجواب: السؤال مبتدع، والأعمال تختلف، بعض الأعمال شرط في صحة الإيمان، فلا يصح إيمانه إلا بهذا العمل، كبعض أعمال القلوب، من الرهبة والخوف من الله ومحبة الله والتوكل على الله، فإنسان ليس في قلبه خوف من الله هذا كافر، أو ليس في قلبه رهبة من الله أو محبة لله فهذا كافر، أو ليس في قلبه توكل على الله بالكلية فهذا كافر، والصلاة عند بعض أهل العلم من أعمال الجوارح جعلوها شرط من الشروط في صحة الإيمان، وبعض الأعمال من كمال الإيمان الواجب، لا يتم إيمانك إلا بها، وتركها ينقص إيمانك ويوقعك في الإثم كالواجبات، واجبات أخرى، وبعض الأعمال من كمال الإيمان، كمال استحباب، كالنوافل، إذن لابد من هذا التفصيل، أما أن يأتي عليك بهذا الإجمال، هل الأعمال شرط كمال أم شرط صحة، هذا إجمال مبتدع، هذا أوقع بعض الناس في الحرج وفي الشبهة والبدعة.

قوله: وَالْكَرَّامِيَّة.

وهذه أيضًا من فرق البدع والضلال، اتباع محمد بن كرام، وعنده عدد من البدع، من ذلك بدعة لم يسبق إليه وهي قوله: أن الإيمان بمجرد القول، مجرد النطق بالشهادتين ولا يدخل فيها التصديق، وعلى هذا دخل في كلامه المنافقون

فصاروا من المؤمنين، وله بدع فيما يتعلق بالتجسيم، فأثبت لله صفة الجسم وليس له دليل على ذلك، وبعض أتباعه بالغوا حتى شبهوا، شبهوا جسم الله بجسم الإنسان تعالى الله عن ذلك.

قوله: والسالمية.

أيضًا من فرق البدع والضلال وهم أتباع محمد بن أحمد بن سالم البصري أبو عبد الله، وله عدد من البدع في المعتقد؛ ومن ذلك قوله أن صفات الله الفعلية لا تتعلق بمشيئة الله، بل جاء بكلام لا يُعقل فقال الصفات الفعلية ومنها كلام الله أزلي قديم، وهو أيضًا مسموع، فكيف مسموع وهو أزلي قديم، هذا كلام لا يُعقل، الصفات الفعلية تحدث شيئا بعد شيء ومنها الكلام، فهذا كلام باطل من بدع السالمية ولهم أيضًا تصوف، يقولون الله بذاته في السماء وبذاته في كل مكان.

قوله: والكُلَّابِيَّة.

وهي من أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهي فرقة ضالة أيضًا، وهبد الله بن سعيد بن كلاب هو أول من أحدث القول بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يتصف بالصفات الفعلية، فإذا وصفت الله بالصفات الفعلية فإنك وصفت الله بأنه تحله الحوادث، وهو أيضًا من أوائل من ابتدع القول بأن القرآن عبارة عن كلام الله وأنه ليس بكلام الله حقيقة، وابتدع القول بأن الكلام نفساني وأنه ليس بحرف وصوت، فأكثر مذهب الأشاعرة مأخوذ من عبد الله بن سيعد بن كلاب، مذهب الأشاعرة أخذه أبو الحسن الأشعري من عبد الله بن سعيد بن كلاب، فنشره أبو الحسن الأشعري ولذلك صار ينسب إلى الأشعرية مع أن أبا الحسن الأشعري قد

رجع من مذهبه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وقد نص في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق.

وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن الممارسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته،

وهو فوق العرش، وفوق كل شيء، إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.

وأن له سبحانه وجها بلا كيف، كما قال: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:٢٧].

وأن له سبحانه يدين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [المائدة:٦٤].

وأن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [القمر:١٤].

وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًا.

وأن لله علمًا كما قال: ﴿ **أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ** ﴾ [النساء:١٦٦]، وكما قال: ﴿ **وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ** ﴾ [فاطر:١١].

ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج. إلى آخر كلامه، هذا مجرد إشارة إلى انه رجع عن مذهب الأشاعرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي الحقيقة أن الأشاعرة مذهبهم هو مذهب ابن كلاب، كلابية؛ لأن أبا الحسن الأشعري قد رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة فلا يصح أن يُنسبوا إليه، ولكن أشتهر ذلك فيُذكر من باب الاشتهار، وقد مر أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ثلاث مراحل:

كان في بداية أمره على مذهب الاعتزال، تأثر بزوج أمه أبو هاشم الجبائي المعتزلي، فأخذ في الاعتزال إلى ما يقارب أربعين سنة.

ثم هداه فترك كثيرًا من بدع المعتزلة فوقع في بعض بدع الكلابية، مكث على هذه المرحلة المتوسطة فترة من الزمن.

ثم رجع إلى مذهب الإمام أحمد، على إثبات الصفات، وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

قوله: وَنَظَائِرِهِمْ، فَهَذِهِ فِرَقُ اَلضَّلَال، وَطَوَائِفُ اَلْبِدَع، أَعَاذَنَا اَللَّهُ مِنْهَا.

.....

.....

.....

.....

فصل في ذكر بعض أنواع الخلاف

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٩٤ - وَأَمَّا اَلنِّسْبَةُ إِلَى إِمَامٍ فِي فُرُوعِ اَلدِّين، كَالطَّوَائِفِ اَلْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ اَلِاخْتِلَافَ فِي اَلْفُرُوعِ [شَائِعٌ]، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ محمودون فِي اِخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اِجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

الشرح:

قوله: وَأَمَّا اَلنِّسْبَةُ إِلَى إِمَامٍ فِي فُرُوعِ اَلدِّين، كَالطَّوَائِفِ اَلْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ.

يعني الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والمقصود بالانتساب إليهم أي انتساب دراسة وأخذ بالعلوم عنهم، واتباع في المذهب فيما يوافق الحق، وأما التعصب فهذا لا يقره أحد من أئمة المسلمين، فمن انتسب بهذا الاعتبار، باعتبار أنه يدرس على هذا المذهب يتبع هذا الإمام فيما يأتي به من الأدلة الشرعية وليس فيه طعن في المذاهب الأخرى، فهذا الأمر فيه أهون ممن يحصل منه التعصب المذهبي، والطعن في الآخرين، ومع ذلك فهذه النسبة تركها هو الذي ينبغي، ومن تعبد لله بهذا فيخشى أن يقع في البدع، عند أن يتعبد لله بهذا ويرى أن هذا له فضيلة أن ينتسب إلى إمام، فليس في هذا العمل فضيلة وليس له مزية وليس فيه ثواب، فنحن أتباع نبينا محمد ﷺ ، أتباع للصحابة رضوان الله عليهم، ومن اتبعهم بإحسان، وأما أن نتسمى بشافعي أو حنبلي أو مالكي أو حنفي فهذه تسميات من تعبد لله بها فيخشى أن يقع في البدع، قد سلك كثير من العلماء بالتسمي بهذا ولعله من باب أنه درس هذا المذهب وأخذ العلم على هذه

الطريقة، وكثير منهم ليسوا بمتعصبين بل يأخذون ما وافق الحق، وإن وجدوا الحق في المذهب الآخر أخذوا به، كما يصنع ابن قدمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرا في المغني، ربما أخذ بكلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل وخالف المذهب، وكذلك النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مر علينا الكثير مما يخالفون فيه مذهبهم، فلا يُعتق في هذا الانتساب فضيلة، وقوله: **فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ**: أي إذا لم يصاحبه تعصب وإذا لم يعتقد فيه فضيلة.

قوله: فَإِنَّ اَلِاخْتِلَافَ فِي اَلْفُرُوعِ [شَائِعٌ].

شائع أي: منتشر.

قوله: وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ محمودون فِي اِخْتِلَافِهِمْ.

وهذا فيه نظر؛ وإن كان المراد أنهم بسبب اجتهادهم ممن له اجتهاد فهو محمود على اجتهاده، وأما الاختلاف فليس بمحمود، الخلاف شر، ولكن قضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخلاف والاختلاف في هذه الأمة لحكم بالغة، وأما حديث: «**اختلاف أمتي رحمة**»، فهو حديث موضوع، وقد بين الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتكلم عليه في أوائل السلسلة الضعيفة، فالاختلاف لا يُحمد عليه، إنما هم محمودون على الاجتهاد، من كان مجتهدًا فهو محمود على اجتهاده مأجور على اجتهاده، وأما الخلاف فليس بمحمود.

قوله: مُثَابُونَ فِي اِجْتِهَادِهِمْ.

لحديث عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**».

قوله: وَاخْتِلَافِهِمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ.

أشار إلى الحديث المتقدم وفيه ضعف كما تقدم: «**اختلاف أمتي رحمة**»، الله عز وجل نهى عن الاختلاف ولكن قضى الاختلاف فحكم بالغة، والاجتماع هو الذي فيه الرحمة: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وذم الله الاختلاف في كتابه الكريم في آيات كثيرة، والمؤلف حمل الاختلاف في مسائل فروع الدين ومراده بفروع الدين أي المسائل العملية دون المسائل الاعتقادية.

قوله: وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

اتفاق العلماء المجتهدين، **ما تعريف الإجماع؟**

اتفاق مجتهدي الأمة على حكم مسألة شرعية، **وما الدليل على ان اجتماعهم حجة؟**

﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [النساء:١١٥]، ومعناه: إذا لم يختلف المؤمنون فاتباع غير سبيلهم ضلال، وحديث: «**لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ**»، أخرجه الترمذي وغيره عن ابن عباس، وهو حديث صريح وهو أصرح ما يُحتج به، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [الشورى:١٠]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء:٥٩]، فمعناه: أننا إذا لم نختلف ولم نتنازع فهو حجة.

والاختلاف ثلاثة أقسام:

اختلاف تضاد، واختلاف تنوع، واختلاف وأفهام.

فاختلاف التضاد: أن لا يكون مع أحد الأطراف دليل، والدليل صريح في المسألة مع الطرف الآخر فلا يجوز المخالفة في ذلك، ويُنكر على من خالف فيه ولو كان في مسألة عملية، ولو كانت من العبادات، فلا يجوز أن يخالف الدليل الصحيح وليس معه دليل، ويُنكر عليه، وليس على عموم قول المؤلف أنه ليس بمذموم، وكم أنكر العلماء على أبي حنيفة، أنكروا عليه مسائل كثيرة؛ لأنه قدَّمَ فيها الرأي على نصوص الكتاب والسنة، فتكلم عليه العلماء في مسائل متعددة ونسبوهم إلى الرأي فقالوا أصحاب الرأي، فليس على إطلاق من يقول لا يُنكر في مسائل الفروع وفي المسائل الفقيهة، ففي بعض المسائل القول فيها بعيد ليس فيها أي دليل.

والاختلاف الثاني: اختلاف تنوع وهو ما جاء فيه الدليل، كتنوع العبادات، في كيفية صلاة الليل، وتنوع التشهد الذي علَّمه النبي ﷺ للصحابة، فاختلاف التنوع يجوز فيه الأخذ بهذا أو بهذا، اختلاف تنوع، كل يأخذ بشيء مما جاءت فيه الأدلة.

والاختلاف الثالث: اختلاف الأفهام؛ يختلف المجتهدون في فهم الدليل الشرعي، فيبنون عليه المسائل، كلٌ يبني على فهمه، فهذا أيضًا لا يُنكر على المجتهد في ذلك ما دام الدليل يحتمل ذلك الخلاف، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا

ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فاختلفوا في فهم الحديث، فلم ينكر النبي ﷺ عليهم ولم يعنف هؤلاء ولا هؤلاء؛ لأنهم اختلفوا في فهم الدليل، فاختلاف الفقهاء والمجتهدين في فهم الأدلة الشرعية لا يوجب النكران ولا الذم.

وأما التعصب المذهبي فهو بدع ممقوتة، ومن تعصب وقدَّم قول إمامه حتى على الدليل الشرعي بعد أن يبلغه فهو مبتدع، وقد تكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه المسألة قال فهو مبتدع.

* * *

الخاتمة

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

٩٥- نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ البِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحيِينَا عَلى الإِسْلامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجعَلَنَا مِمن يَتَّبِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في الحياةِ، وَيَحشُرَنَا فِي زُمرَتِهِ بَعْدَ المماتِ بِرَحْمَتِهِ وَفْضلِهِ آمِينَ.

وَهَذا آخِرُ المعْتَقَدِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلى اللهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

***

الشرح:

ما الفرق بين الاتباع والتقليد؟

الاتباع: هو أن يتبع إمام من الأئمة بدليله من الأدلة الشرعية فهذا يسمى اتباع ولا يسمى تقليدًا، وليس بمذموم أن يسمى متبعًا لإمام من الأئمة؛ لأنه اتبعه بدليله، والدليل على أنه يشرع أن يقول أنا متبع للإمام فلان بن فلان وهو يقصد بالأدلة الشرعية، حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، وأصرح منه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ [التوبة:١٠٠]، في حق الصحابة رضوان الله عليهم، فسماه اتباع، أي بالأدلة الشرعية، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:١١٥]، دل على ان سبيل المؤمنين يجوز أن يطلق

عليه اتباع، وحديث: «**فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ يَرْشُدُوا**»، وحديث: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»، الأول في مسلم عن أبي قتادة، والثاني عند أحمد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأيضًا عموم قوله تعالى: ﴿ **اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [يس:٢١]، يشمل غير الأنبياء.

وبهذا نكون بحمد الله قد انتهينا من شرح "لمعة الاعتقاد"، والحمد لله، وهذا بفضل الله، نسأل الله جل وعلا أن يديم علينا هذه النعم، وأن لا يعاملنا بذنوبنا وأن يعفو عنا ويتجاوز عنا.

نحمده حمدًا لا نحصيه، نحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السماء والأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد.

بدأنا فيه في ليلة الثلاثاء الموافق (٤ رجب ١٤٤٠)، وكذلك انتهينا في ليلة الثلاثاء.

محتويات الكتاب

مقدمة الشارح ٣

ترجمة صاحب المتن ٤

عقيدته عقيدة السلف: ٥

إثبات هذا الكتاب ٧

المقدمة ٩

المقدمة وتتضمن (الثناء على الله تعالى وتنزيه صفاته سبحانه عن النقص) ١١

ما معنى الحمد؟ ١١

ما معنى: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»؟ ١٢

مسألة: كيف يُعرف إن هذا كوني وهذا شرعي؟ ١٧

إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا لله تعالى ٢١

فما معنى الاستواء على العرش؟ ٢٣

ما الدليل على أن الأرض سبع أرضين؟ ٢٥

هل السبع الأرضين طبقات أم في كل مكان أرض؟ ٢٥

* والعزة لها ثلاث معاني: ٢٧

ما المراد بالحكم في هذا الموضع؟ ٢٨

ما المقصود بالرحمة الخاصة؟ ٢٩

ما معنى قول أهل السنة والجماعة (من غير تحريف)؛ ما معنى هذا التحريف؟ ٣٠

لماذا قولنا (من غير تحريف) أولى من قولنا (من غير تأويل)؟ ٣٠

ما معنى قول أهل السنة والجماعة (من غير تحريف ولا تعطيل)؟ ٣١

هل كل محرِّف معطِّل أو كل معطل محرف؟ ٣٢

وما معنى قول أهل السنة (ومن غير تكييف ولا تمثيل؟ ٣٢

هل كل مكيِّف ممثل أم كل ممثل مكيف؟ ٣٢

التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات ٣٢

التأويل الذي ذكر المؤلف أن أهل السنة يثبتون الصفات بدون تأويل؛ ما مراده بهذا التأويل؟ ٣٥
هل الوقف على (إلا الله) أم بعد قوله (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)؟ ٣٨
ذم مبتغي التأويل الباطل في آيات الصفات ٣٨
فماذا عن قوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ٤٠
كلام أئمة السلف في الصفات ٤٧
ماذا يسمي العلماء هذا إذا نسبوا إليه ما لا يثبت وإنما ثبت معناه؟ ٥٠
ما المراد بالمحكم والمتشابه في هذا الكلام؟ ٥٢
كلام الإمام الشافعي رحمه الله في الصفات ٥٥
منهج السلف والخلف في الصفات ٥٦
وجوب اتباع السنة وذكر كلام السلف في التحذير من الإحداث في الدين ٥٨
[بعض الآثار في وجوب اتباع السلف] ٥٩
ذكر بعض آيات الصفات ٦٦
[إثبات صفة الوجه لله تعالى] ٦٦
[إثبات صفة اليدين لله تعالى] ٧٠
إشكال: في نصوص إثبات اليد لله جل وعلا فإن في بعضها الإفراد، وفي بعضها التثنية، وفي بعضها الجمع: ٧٤
[إثبات لله صفة النفس وهي ذاته سبحانه وتعالى] ٧٥
[إثبات صفة المجي والإتيان لله تعالى] ٧٧
ما المراد بالصفات الذاتية والصفات الفعلية؟ ٧٩
[إثبات صفة الرضا لله تعالى] ٨٠
[إثبات صفة المحبة] ٨١
[إثبات صفتي الغضب والسخط لله سبحانه وتعالى] ٨٣
ذكر بعض أحاديث الصفات ٨٤
[إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى] ٨٤

[إثبات صفتي العَجَب والضَّحِك لله سبحانه وتعالى] ٨٩
فهل نثبت لله صفة العُجب؟ ٩١
ما معنى: «**من قنوط عباده، وقرب غِيَرِه**»؟ ٩٢
[وجوب الإيمان بأحاديث الصفات الثابتة، ونفي الكيفية عنها الخاطرة في البال] ٩٤
[ذكر بعض أدلة صفتي الاستواء والعلو لله سبحانه وتعالى] ٩٨
فما معنى الاستواء؟ ٩٨
فصل في إثبات صفة الكلام لله تعالى ١٠٥
[ذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم في إثبات صفة الكلام لله سبحانه] ١١٠
هل كلام الله بحرف وصوت أم هو نفساني؟ وما الدليل؟ ١١٣
ما الدليل على أن حديث النفس لا يعتبر كلامًا؟ ١١٣
[ذكر بعض الأحاديث في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى] ١١٤
من أول من ابتدع أن كلام الله عز وجل نفسي وليس بصوت؟ ١١٦
القرآن العظيم من كلام الله سبحانه وتعالى ١١٧
القرآن كلام الله، ما الدليل على أن القرآن كلام الله؟ ١١٧
هل كلام الله تعالى محصور؟ ١١٧
ما معنى منه بدأ؟ ١٢٤
قوله: مُحْكَمَاتٌ، ما المراد المحكم هنا؟ ١٣١
هل يلزم من إنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا أن يكون الله قد تكلم به في ذلك الوقت؟ ١٣٣
وهل هو مكتوب في الكتب المتقدمة؟ ١٣٤
مسألة: تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءًا؟ ١٤٠
[ذكر بعض أقوال المكذبين بالقرآن والرد عليهم] ١٤٧
[الحث على قراءة القرآن والإيمان به والعمل به للآخرة] ١٥٤
فصل في إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ١٥٦
ما معنى لا تُضَامُونَ؟ ١٦٠
فصل في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ١٦٦

ما الفرق بين قولهم الصفات الفعلية والصفات الذاتية؟..... ١٦٧
من الذي قال: (إن أفعال العباد ليست تحت مشيئة الله)؟..... ١٦٨
أيهما أسبق العلم أم الكتابة؟ ١٧١
ما الدليل على أن الشر ليس في فعل الله؟..... ١٧٢
هل الإنسان مخير أم مسير؟..... ١٧٨
ما هي أدلة اللوح المحفوظ من القرآن، أو أنه قد كُتبتْ المقادير؟..... ١٧٩
[من أدلة الإيمان بالقضاء والقدر] ١٨٤
فصل: في الإيمان قول وعمل واعتقاد ويزيد وينقص ١٨٩
من الذي خالف أهل السنة وقال الإيمان لا يزيد ولا ينقص؟..... ١٩٣
فصل في وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ..... ١٩٥
كم حدث الإسراء والمعراج مرات؟..... ١٩٧
إلى أين كان الإسراء ومن أين ابتدأ؟..... ١٩٧
إشكال في هذا الحديث: أعور العين اليمنى، وفي حديث حذيفة أعور العين اليسرى. ... ٢٠٠
أيهما أسبق خروج الدابة من مطلعها أم طلوع الشمس؟ ٢٠٧
[وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه] ٢١١
فما معنى فتنة القبر؟ ٢١٥
[وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت وما بعده مشاهد يوم القيامة] ٢٢١
كم عدد النفخات في الصور؟ ٢٢٥
فمن أول من يُكسى من الخلائق بعد الخروج من القبور؟..... ٢٢٨
*وبقية الشفاعات: ٢٣٢
ما الدليل على أن الصلاة على الجنازة تعتبر شفاعة؟..... ٢٣٣
ما الدليل على وزن العمل نفسه؟ ٢٣٧
وما الدليل على وزن صحائف العمل؟..... ٢٣٧
وما الدليل على وزن صحاب العمل؟ ٢٣٧
أصحاب الكبائر من المسلمين الذين أراد الله تعذيبهم بكبائر ارتكبوها، هل هم ممن خفت موازينهم أم ممن تثقل موازينهم؟ ٢٣٨

[الإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وسلم] ٢٣٩
[وجوب الإيمان بالصراط والشفاعة] ٢٤٥
فصل في حقوق النبي ﷺ وأصحابه ٢٥٨
[الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم] ٢٥٨
[فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي] ٢٦٥
طرق الخلافة وتولي الخلافة يكون: ٢٧١
[نشهد بالجنة لمن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم] ٢٧٧
[من عقيدة أهل السنة والجماعة] ٢٨١
[وجوب تولي الصحابة ومحبتهم] ٢٨٥
ما تعريف الصحابي؟ ٢٨٥
حقوق زوجات النبي ﷺ ٢٨٩
[الرد على القادحين في معاوية رضي الله عنه] ٢٩١
من أحكام الولاية العامة ٢٩٢
التحذير من أهل البدع ووجوب مجانبتهم ٢٩٧
ما معنى البدعة في الشرع؟ ٣٠٧
من الذي قاتل الخوارج فنصره الله عليهم؟ ٣١٥
فما الدليل على أن الله يخلق أفعال العباد ويشاؤها؟ ٣٢٠
هل يمكن أن يوجد في قلب المسلم بدون أعمال صالحة؟ ٣٢٧
فصل في ذكر بعض أنواع الخلاف ٣٣٣
والاختلاف ثلاثة أقسام ٣٣٦
الخاتمة ٣٣٨
ما الفرق بين الاتباع والتقليد؟ ٣٣٨
محتويات الكتاب ٣٤٠